محن الشعراء والأدباء

وما أصابهم من السجن والتعذيب والقتل والبلاء

الدكتور يحيى الجبوري



دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى

دار الغرب الإسلامي

ص . ب . 5787-113 بيروت

مِحَنُ الشُّعَرَاءِ وَالأُدَبَاءِ

وَمَا أَصَابَهُم مِنَ السِّجنِ وَالتَّعذِيبِ وَالقَتلِ وَالبَلاءِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فهذا الكتاب تتمة وامتداد لكتاب (المحن) لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المتوفى سنة 333 هـ، وقد صدر كتاب المحن بتحقيقنا في طبعته الأولى سنة 1983 عن دار الغرب الإسلامي إبَّان حرب لبنان، وفُقدت المقدمة والدراسة بسبب قصف المطبعة، ونفدت الطبعة الأولى، وأعيد طبع الكتاب مع استدراك ما فات سنة 1988، ولقي الكتاب رواجاً واستجابة من المثقفين والأدباء والمعنيين بالتاريخ وسير العلماء والفقهاء، وبخاصة أولئك الذين شهدوا وعاشوا القهر السياسي والاجتماعي ومحن السياسة والاضطهاد والقهر الذي عاشته وما زالت تعيشه الأمة العربية والإسلامية.

وكان أبو العرب قد عاش المحنة في بلده بالمغرب، وألّف كتابه مصوراً فيه المحن التي نزلت بالأمة منذ عهد الخلفاء الراشدين ومقتل ثلاثة منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، ثم تابع المحن والمصائب والمقاتل التي نزلت بالصحابة والعلماء والفقهاء والقضاة، وما لقوا من ضرب وحبس وتشريد وتعذيب وقتل، وقد شملت مساحة من نزلت بهم المحن كل البلاد الإسلامية ممتدة منذ القرن الأول حتى زمن المؤلف في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري.

وإذا كان كتاب المحن قد تناول محن الخلفاء والفقهاء والقضاة والمحدثين وأشراف أهل العلم والأئمة ومن إليهم، فإن هذا الكتاب يتناول من لم يذكرهم أبو العرب وبخاصة الشعراء والأدباء والعلماء منذ العصر الجاهلي حتى العصور

العباسية المتأخرة وعصر الدويلات المتناحرة، وعلى مدى الدول الإسلامية من مشرقها إلى مغربها.

وإذا كنا في كتاب المحن ملتزمين بالنص نحققه ونخدمه، فإن كتاب (محن الشعراء والأدباء) تأليف فيه حرية الحركة والاختيار والتنظيم، وكان اختيارنا على من عاش المحنة الموجعة ونزل به البلاء من الشعراء والأدباء ممن سجنوا وشردوا وضربوا وصودروا وصلبوا وقتلوا، سواء أكان هؤلاء الممتحَنين مظلومين أو ظالمين، وسواء أكانوا من صرعى السياسة وغدر الحكام والولاة، أم كانوا صرعى ألسنتهم وأطماعهم، أما من سجن أو قتل بسبب جرم يستوجب إقامة الحد وتطبيق حكم الشريعة، أو من قتل في الحروب أو الصراعات القبلية، فهؤلاء لا تشملهم خطة الكتاب إذ لم تنزل بهم المحن التي نحن بصددها، وهم أكثر من أن يحيط بهم حصر.

لقد وقع اختيارنا على مجموعة من الشعراء والأدباء ممن عاشوا المحنة أو صرعتهم، وليس كل من ابتلي لأمد محدود، فهناك مجموعات من هؤلاء تجاوزنا عن ذكرهم، والشعراء والأدباء الذين وقع عليهم الاختيار هم تسعة وعشرون علماً، ويقوم منهجنا في دراستهم وعرض محنتهم على الترجمة للعلم وإلقاء الضوء على جوانب من حياته وأدبه، وبخاصة ما له صلة بالمحنة التي نزلت به، ثم نعرض لمحنته تفصيلاً وفق ما تعين المصادر على ذلك، وآثرنا أن نثري الترجمة بنماذج من أدب المترجم له أو شعره لتتضح الصورة وتكون دراستنا قد تناولت سيرة المترجَم له ومحنته وكذلك أدبه ومكانته وعلمه.

وقد صدرنا الكتاب بتمهيد يبين الظروف السياسية والاجتماعية التي أدت إلى استفحال العنف وانتشاره في الحياة الإسلامية، وخاصة في العصرين الأموي والعباسي، هذا العنف الذي ولَّد عنفاً مضاداً استمر طيلة حياة الأمة الإسلامية منذ فجر تاريخها وحتى الآن، ولم يتوقف إلا في سنوات قليلة معدودات مثل سنوات الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز، وقد تناول التمهيد التعذيب وأنواعه

وكيف طبق وبعض من شملهم ذلك العذاب.

والملاحظ أن أكثر الشعراء الذين نزلت بهم المحن والمصائب كانت بسبب قربهم من السلطان، سواء من كانوا صرعى هؤلاء الحكام والسلاطين أو تعرضوا لهم بالإساءة والهجاء، أو أن الحاكم قد اتخذهم أدوات لمصالحه فأغضب خصوم السلطان، فكان الشاعر ضحية الخصومات السياسية والأحقاد المذهبية، وما نزل بالشاعرين أبي نخيلة وسديف خير دليل.

وإذا لم يكن في هذه الدراسة من هدف بعد أداء حق الأدب والأدباء، إلا أن تبين أن الظلم قديم وموروث، وأن شهوة السلطان بالبطش والتنكيل أمر شائع في كل البيئات والأزمان، وأن مصلحة الحاكم تضرب بكل القيم الدينية والخلقية عرض الحائط في سبيل الحاكم ورغباته وشهواته، وأن الثقافات لم تغير في هذا الأمر شيئاً بل تزيد السلطان تفنناً في وسائل القهر والعذاب، فكفى بذلك هدفاً وهو نعم الهدف، أقول: إن الثقافة والعلم والتطور لا تغير في هذا الأمر شيئاً، ولربما زادته سوءاً وقد كان المأمون مثقفاً عالماً، ولكن لم يعصمه علمه من إشاعة الرعب والعذاب والقتل في محنة القول بخلق القرآن، ولم يمنعه علمه ووقاره من أن يقطع لسان الشاعر الأعمى علي بن جبلة، ثم يقتله لأنه حسد أبا دف العجلي الذي مدحه ابن جبلة بقصيدة رائعة أراد أن تكون صفات المدح فيه وليس في أحد غيره.

لقد شهد التاريخ الإسلامي مجموعة من الخلفاء والولاة الطغاة الذين كانوا يفتنون في وسائل القتل والتعذيب، وكانوا يجدون لذة ومتعة في مشاهد التعذيب وسماع الصراخ والأنين، وعلى الرغم من أن الإسلام دين رحمة وقد منع الظلم وذم الظالمين، وعلى الرغم من أن رسالة الإسلام لم يمض عليها غير بضعة عقود، فإن ما شهدته الحياة الإسلامية من تجاوز وخروج على تعاليم الدين وشريعة الإسلام، أمر يدعو للعجب العجاب.

لقد كان في سيرة كثير من ولاة الأمويين والعباسيين ومن تلاهم خير

مصداق على مخالفة أمر الدين، ونظرة فيما اقترفه هؤلاء، الولاة، تكفي للدلالة على أن الإسلام والمسلمين كانوا في واد وهؤلاء الطغاة في واد آخر، وإن الجاهلية لتأنف أن تأتي ببعض ما اقترفوا، ويكفي أن نذكر من هؤلاء القتلة الخارجين: زياد بن أبيه وابنه عبيد الله بن زياد ومسلم بن عقبة المري وقرة بن شريك وخالد بن عبد الله القسري ويوسف بن عمر والحجاج، والقائمة طويلة تمر بالسفاح العباسي وأبي مسلم الخراساني والحاكم بأمر الله، ولا ننسى من الثوار قادة الزنج والقرامطة ومن إليهم.

إن من يقرأ في كتاب الله سبحانه وفي أحاديث النبي الكريم ﷺ، وما في ذلك من عدل ورحمة ومساواة ودفع الظلم والقسوة، ويرى فيما شهدته الحياة الإسلامية من عسف واضطهاد وترويع، ليعجب هل قرأ هؤلاء الطغاة كتاب الله وتأملوا في أحاديث رسوله، أم اتخذوا كل ذلك وسائل لتثبيت سلطانهم وتلبية شهواتهم، يعينهم على ذلك مجموعة من المستأجرين من وعاظ السلاطين.

إن من يستقرىء من قتل وعذب ممن ذكرنا في هذا الكتاب قد قتل وعذب في سبيل شهوة السلطان أو تثبيتاً لسلطانه، وكلهم قد قتل ظلماً بعيداً عما أمر الله ورسوله، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: 151]، ورسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس»، فهل من قتلهم السلطان وجلاوزته جاوزوا هذه الحدود؟ اللهم لا وألف لا، إن هؤلاء الذين روعوا الناس وابتلوهم بالعذاب إن هم إلا ظالمون وأدوات قاسية بأيدي الظالمين، وقد أنذر الله سبحانه الظالمين بعذاب شديد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: 42]، ولعنهم الله سبحانه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: 18] وقطع دابرهم: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 45]، فهل يتعظ ظلمة هذه الأمة في كل زمان ومكان؟.

وبعد، فقد اجتهدت في عرض هذه المحن وما أردت بها إلا جلاء الحقيقة، ولعل في بيان أعمال الظالمين عبرة للمتقين ودعوة لإقامة العدل والإحسان والرجوع إلى قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90].

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه ومن تبعه من عباده المتقين.

27 جمادى الثانية 1423 هـ **يحيى وهيب الجبوري**

4 أيلول 2002 م



تمهيد

مسيرة العنف والتعذيب في التاريخ الإسلامي

كانت حياة العرب في الجاهلية حياة قبلية قوامها العصبية، وكانت القبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية، يرأسها شيخ أو رئيس تتوافر فيه صفات السيادة والشجاعة والشرف. ولما جاء الإسلام برسالته السماوية الخالدة، نقل العرب من النظام القبلي إلى نظام جديد، وحَّد القبائل وجعلهم أمة واحدة دستورها الإسلام، وتبعاً لذلك ظهر مفهوم الدولة وتضاءل المفهوم القبلي، وأصبح الولاء والعصبية للإسلام.

لقد رسَّخ الإسلام فكرة الأمة التي عمادها العقيدة والمساواة والتفاضل بالتقوى والعمل الصالح، وضمن الإسلام حرية الفرد، وجعل الحكم في الأمور العامة شورى، ومن الطبيعي أن لا تنتفي العصبية القبلية كليةً، فقد بقيت جذورها، وكان صوتها يعلو حين تسنح الظروف، وقد سنحت الظروف بوفاة الرسول ﷺ، ولكن سرعان ما أُطفِئت نار العصبية القبيلة بتولي أبي بكر ثم عمر بعده، وما اتبعاه من سياسة العدل والرحمة والمساواة والحزم أيضاً.

ويُقتل عمر بن الخطاب، ويجيء عثمان بن عفان، ويترافق عهده بالرخاء والغِنى، وقد أغدق على رعيته وولاته من هذا الغنى، وولَّى ذوي قرباه، وفيهم من لم تحمد سيرته، وتفاقمت الأمور بعد السنوات الست الأولى، وصار الناس يقارنون بين عهد الخليفتين والعهد العثماني القبلي الأموي، وتعالت أصوات المعارضة وقويت حتى انتهت بمصرع الخليفة عثمان بن عفان.

وبويع عليٌ بن أبي طالب خليفة، في جو مشحون بالخلاف والغضب، فقد أعلن معاوية عصيانه بالشام وأعلن نفسه خليفة بحجة الأخذ بثأر الخليفة القتيل وقصاص القاتلين، ونقض بيعة عليٍّ بعض من بايعه من القرشيين طمعاً في السلطة، فنقض طلحة والزبير البيعة وسارا إلى البصرة مصطحبين أم المؤمنين عائشة، ويسير عليٌّ بجيشه للقضاء على الفتنة في العراق، ويرى بعض الباحثين أن مسير عليٍّ إلى العراق وتركه الحجاز مقر الخلافة كان خطأً كبيراً[1]، ولكن علياً كان أبعد نظراً حين رأى ـ كما يقول ابن قتيبة ـ: «أن العراقين بهما الرجال والأموال، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع، ويضربا الضعيف بالبلاء، ويقويا على القوي بالسلطان»[2].

كان العراق ملتقى الحضارات، وموئل الشعوب الوافدة من الجزيرة ومن الدول المجاورة، وقد ضم أجناساً من العرب والفرس والروم والهنود، وكان للموالي أثر واضح في كل الثورات على مر العهود والأزمان، وعلى الرغم من انتصار عليٍّ وجيشه في معركة الجمل، ثم مسيره نحو الكوفة والالتقاء بجيش معاوية في صفين، فإن الانقسامات الداخلية في جيشه، والتذمر وعدم الطاعة، أدى كل ذلك إلى تشتت جيش علي، ولم يحقق انتصاراً في صفين، ثم يُقتل عليٌّ وتخلو الساحة لمعاوية، وتستقيم له الأمور، ويعلنها ملكة وراثية.

ومنذ هذا العهد الأموي، يعلو صوت العصبية، ويعلو صوت المعارضة أيضاً، وتكثر الفتن ويستحر القتل بالمعارضين من شيعة وخوارج وزبيرية وموالي، وكان معاوية يستطيع أن يتألف القلوب ويجمع شمل الناقمين بالسياسة السمحة والود، ولكن معاوية سنَّ سنَّة أججت الضغائن وأثارت الأحقاد وأدامت الفتن، وذلك بملاحقة ومحاربة من أحب علياً ومن والاه، وأمر أنْ يُلعن عليٌّ على المنابر،

---

(1) حسين مؤنس: تاريخ قريش ص 662 ط الدار السعودية للنشر والتوزيع 1988، محمد سيد كيلاني: أثر التشيع في الأدب العربي ص13، ط دار الكتاب العربي، مصر.
(2) الإمامة والسياسة ص 51، تحقيق طه محمد الزيني، ط الحلبي، مصر 1967.

فصار شتم الإمام سياسة أموية دامت طويلاً إلى عهد الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الذي قضى على هذه البدعة المنكرة، وكان لهذه السياسة، سياسة القمع والشتيمة، أن كانت سبباً في اشتداد واستمرار قوى المعارضة على اختلاف توجهاتها، واشتدت بالمقابل أيضاً قوى القمع المتمثل بالولاة القساة من أمثال زياد بن أبيه وابنه عبيد الله بن زياد ومسلم بن عقبة المري وقرة بن شريك ويزيد بن المهلب وخالد بن عبد الله القسري وأسد بن عبد الله القسري والحجاج وغيرهم، وكلهم قد تجاوز شرع الله وحكم بهوى الحاكم مخالفاً لحكم الإسلام.

لقد شهد العصر الأموي فظائع ومجازر كان في طليعتها مقتل الحسين سبط الرسول ﷺ ووقعة الحرة واستباحة الحرم المكي ورمي الكعبة بالمنجنيق، ومقتل عبد الله بن الزبير في الحجاز ومقتل أخيه مصعب في العراق، وثورة المختار الثقفي وثورة ابن الأشعث وثورات الخوارج وغيرها.

لقد انتهى أمر الخلافة إلى حكم ملكي مطلق، ولم يبق من الخلافة إلا اسمها، ولم يكن للمسلمين خيار في اختيار الخليفة، بل أصبحت بيعة تؤخذ بالترغيب والترهيب، وكان أول المتضررين وأبرزهم الشيعة، وأكثر الجماعات التي نزلت بهم المصائب والمحن، وكان معاوية قد اضطهد هذه الجماعة، واستعان على ذلك بالقوة الغاشمة، فقد اصطنع منافسيه من أشراف القبائل، واستطاع أن يقمع صوت المعارضة في الأقاليم بتولية أشد الولاة بطشاً وقسوة، وفوضهم في ذلك بمحاربة شيعة عليّ وقمعهم أشد قمع، وقد اتخذ معاوية سياسية سب علي بن أبي طالب واضطهاد من يذكر سجاياه ومحامده منهجاً لا يحيد عنه، وقد سجل التاريخ هذه السياسة في صلح الحسن بن علي، وكان الحسن قد طلب من معاوية: «أن لا يُشتم علي، فلم يُجِبْه إلى الكفِّ عن شتمِ عليٍّ، فطلب أن لا يُشتم وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك ولم يفِ له به أيضاً»[1]، وظهرت هذه السياسة في محاورة بين المغيرة بن شعبة وصعصعة بن صوحان، قال المغيرة محذراً ابن

(1) الكامل: ابن الأثير 3/272 حوادث سنة 41هـ.

صوحان: «إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئاً من فضل عليٍّ علانية، فإنك لست بذاكر من فضل عليٍّ شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أُخِذنا بإظهار عَيْبِهِ للناس، فنحن ندع كثيراً مما أُمِرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بداً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تَقيّةً، فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك، وفي منازلكم سراً، وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا ولا يعذرنا به»[1].

ويبدو أن ما تقدم من سياسة سب عليٍّ واضطهاد من يواليه كان مستنداً إلى توجيه معاوية فقد كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان جاء فيها: «انظروا إلى من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه... ومن اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره»[2].

وكان من أثر هذه السياسة أن انطلقت الأحقاد، وثار الوحش الذي كان كامناً في النفوس، وكثر العنف، وتنوعت أساليب التعذيب من الضرب والحبس والتشريد والتجويع والقتل وهدم البيوت، ومن نتائج هذا العنف يكثر الظلم والمنكر، ويقابل هذا المنكر تذمر واحتجاج، ويُقمع هذا التذمر بالبطش والعذاب، وكل هذا كان يجري بعيداً عن الإسلام وتعاليم الدين، بل تحت مظلة الدين وباسمه أحياناً، ومن صور ذلك: «أن زياداً لما حصبه أهل الكوفة وهو يخطب على المنبر، قطع أيدي ثمانين منهم، وعرضهم على البراءة من عليٍّ عليه السلام أو تخريب دورهم»[3].

---

(1) الطبري 5/189 حوادث سنة 43هـ.

(2) الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبد المحسن الأميني 11/29 ط دار الكتاب العربي، بيروت 1967، أعيان الشيعة 1/27 تحقيق حسن الأمين، ط دار التعارف للمطبوعات، بيروت 1983.

(3) المنتظم: ابن الجوزي 5/227 تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1992.

وتحفل كتب التاريخ بصور التعذيب والقتل، فقد كان من أثر قرار معاوية بشتم عليٍّ ومن والاه على المنابر، أن أجج الحقد في النفوس وأشاع التذمر، وكان من هؤلاء المتذمرين والمحتجين حُجر بن عدي وأصحابه في الكوفة، وحُجْر من أشراف كندة، وكان عابداً وممن شهد الوقائع مع علي بن أبي طالب، وكان حين يسمع بشتم عليٍّ على المنابر يقول: «بل إياكم فذم الله ولعن»، وله جدال مع زياد بن أبيه، وقد أخذ زياد حُجراً وأرسله مكبلاً إلى معاوية في عشرين من أصحابه، فقتله معاوية صبراً في مَرج عذراء[1]، وقيل في قتلهم: «أرسل إليهم معاوية رجلاً أعور معه عشرون كفناً، فجعل الرسول يعرض عليهم التوبة والبراءة من عليٍّ، فأبى عشرة وتبرّأ عشرة، فقتل الذين أبوا وترك الذين تبرأوا، وحفر لهم قبوراً فجعل يقتلهم ويقبرهم ويدفنهم، وكان ذلك سنة 51هـ»[2].

ولم يكن العنف خاصاً بأهل العراق ولا مقتصراً عليهم، فقد ذاقت منه الحجاز واليمن، فقبل أن يستتب الأمر لمعاوية أرسل جيشاً لمقاتلة أنصار علي بن أبي طالب بدعوى الأخذ بثأر عثمان، فقد أرسل بُسْرَ بن أرطأة بسرية إلى الحجاز واليمن ليأخذ له البيعة، ويقتل شيعة علي، فلما قدم المدينة هرب عامل المدينة لعليٍّ أبو أيوب الأنصاري، وصعد بُسْر المنبر ونادى بطون الأنصار وقال: «شيخي شيخي، عهدته هٰهنا بالأمس فأين هو؟ ـ يعني عثمان ـ ثم قال: والله لولا ما عهد إليَّ معاوية ما تركت محتلماً إلا قتلته. ثم هدم دوراً، وسار إلى مكة وأكره الناس على البيعة لمعاوية، ثم سار إلى اليمن، وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملاً لعلي بن أبي طالب، فهرب منه إلي عليٍّ بالكوفة، واستخلف عليٌّ على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فأتاه بُسر فقتله وقتل ابنه،

---

(1) مرج عذراء: قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان، وإليها ينسب مرج، وبها قتل حجر بن عدي وبها قبره، وقيل: هو الذي فتحها، وبالقرب منها راهط الذي كانت فيه الوقعة بين الزبيرية والمروانية. (معجم البلدان: عذراء 4/91).

(2) كتاب المحن لأبي العرب التميمي ص 132 ط2 تحقيق يحيى الجبوري، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.

وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما عبد الرحمان وقثم فذبحهما، وكانا عند رجل من كنانة بالبادية، فلما أراد قتلهما قال له الكناني: لِمَ تقتل هذين ولا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلهما فاقتلني معهما، فقتله وقتلهما بعده. وقيل: إن الكناني أخذ سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول:

اللیثُ من یمنعُ حافات الدارْ ولا یـزالُ مصلتـاً دون الجـارْ

وقاتل حتى قُتل، وأخذ الغلامين فدفنهما، فخرج نسوة من بني كنانة، فقالت امرأة منهن: يا هذا، قتلت الرجال فعلامَ تقتل هذين؟ والله ما كانوا يُقتلون في الجاهلية والإسلام، والله يا ابن أبي أرطأة إن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير، والشيخ الكبير، ونزع الرحمة، وعقوق الأرحام، لسلطان سوء»[1]. وهكذا بلغ العنف والحقد الأعمى حتى شمل قتل الأطفال الأبرياء الذي ترفعت عنه الجاهلية.

ويستمر العنف ويشتد في زمن يزيد الذي أخذ له معاوية البيعة في حياته عنوة، وأول محنة كانت في عهده قد تمثلت في مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب سبط النبي ﷺ وابن ابنته سنة 61 هـ، وقد بلغ العنف والترويع والتشهير حداً لم يعرف قبل ذلك، إذ تجرأ أهل الكوفة وأهل الشام على محاصرة الحسين ومن معه من نساء وأطفال، فمنعوه العودة من حيث أتى، ومنعوه الذهاب إلى الثغور مجاهداً، ومنعوه الماء، وقتلوه ومن معه وحزوا رأسه ورؤوس أصحابه، وجيء برأس الحسين إلى زياد بن أبيه، فأمر أن يطاف به في الكوفة[2]، ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى الشام إلى يزيد بن معاوية ومعه جماعة، وأرسل كذلك النساء والصبيان وفيهم عليُّ بن الحسين، وقد جعل ابن زياد الغُلَّ في يديه ورقبته، وحملهم على الأقتاب، ووُضِع رأس الحسين بين

(1) ابن الأثير 3/250ـ 251 حوادث سنة 40 هـ.

(2) قيل: وكان رأس الحسين أول رأس حُمل على خشبة، وقيل: بل إن أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحَمِق. (ابن الأثير 3/436 حوادث سنة 61هـ).

يدي يزيد فصار ينكث ثغره بقضيب تشفياً وحقداً[1].

وفي أثناء المعركة، كانت القبائل، قبائل الشر والهمجية، تتسابق في قطع رؤوس آل النبي وتقديمها إلى عبيد الله بن زياد: «فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين رأساً، وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وجاءت بنو تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس، وجاءت مذحج بسبعة رؤوس، وجاء سائر الجيش بسبعة أرؤوس، فذلك سبعون رأساً[2]، وهكذا حققت قبائل الشر سبقها وجهدها في إرضاء حاكم الكوفة عبيد الله بن زياد، ليرضي حاكم الشام يزيد بن معاوية، وهم يعلمون أن هذه الرؤوس رؤوس أبناء محمد رسول الله ﷺ، ولست أعجب بعد ذلك من ضعف الوازع الديني لدى الحزب الأموي ومن يواليه من ولاته وأتباعه، وقد صار العنف والغشم سمة لهم ولجنودهم المرتزقة الذين لا يردعهم دين، ولا تردهم تقوى أو خشية من الله سبحانه، هذا ولم يمض على مجيء الإسلام غير عقود معدودات، ولست أعجب أيضاً أن يستمر تيار العنف في العهود والدول اللاحقة حتى هذا الزمان، وقد كثرت المصائب والمحن التي نزلت بهذه الأمة التي تنكرت لدينها، وانحازت لخدمة طغاة حكامها في كل زمان ومكان.

وفي سنة 63 هـ استبيحت مدينة الرسول ﷺ، فقد أرسل يزيد مسلم بن عقبة للإيقاع بأهل المدينة الذين لم يبايعوا ليزيد، فسار مسلم بن عقبة بأهل الشام إلى المدينة، فأعملوا فيها القتل والنهب، وقتلوا عدداً كبيراف من خيار الصحابة والتابعين، وأباح مسلم بأمر يزيد المدينة ثلاثة أيام، وعرفت تلك الوقعة بوقعة (الحَرَّة)، وكان من فظائع ذلك اليوم أن أرسل يزيد عامله على فلسطين مسلم بن عقبة المري، وكان عاملاً له على فلسطين، فبعثه بالجيوش

---

(1) ابن الأثير 3/437.

(2) ابن الأثير 3/442.

وأوصاه قائلاً: «إذا قدمت المدينة، فمن عاقّك عن دخولها، أو نصب لك حرباً، فالسيفَ السيفَ، لا تبقِ منهم، واجهز على جريحهم، واقتل مدبرهم، وإياك أن تبقي عليهم»[1].

واقتحم مسلم بن عقبة المدينة، وأوقع فيهم السيف، وحرّض جنده من أهل الشام قائلاً: «من جاء برأس فله كذا وكذا، ومن جاء بأسير فله كذا وكذا، وجعل يغري قوماً لا دين لهم، وقتلوا ما لا يُحصى ولا يُعَد، فانتهبوا المدينة ثلاثاً»[2]. ونهب جند الشام دور المدينة، فما تركوا من حلي ولا أثاث ولا فراش إلا نُفض صوفه، حتى الدجاج والحمام كانوا يذبحونه، وكان عدد من قتل من أهل المدينة من صحابة رسول الله ﷺ وأبنائهم من قريش والأنصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس سبعمائة، وسائر ذلك عشرة آلاف، وأصيب بها نساء وصبيان بالقتل[3]. وأخذ مسلم البيعة ليزيد بالسيف، وشرط على أسارى أهل المدينة أن يبايعوا ليزيد على أنهم عبيد له، فقال: «أتبايعون لعبد الله يزيد أمير المؤمنين ولمن استخلف بعده على أن دماءكم وأموالكم وأنفسكم خَوَلٌ له يقضي ما شاء فيها»[4].

وبعد الانتهاء من استباحة المدينة وقتل من قتلوا من أهلها، توجه مسلم بن عقبة سنة 64 هـ نحو مكة كما رسم له يزيد للقضاء على عبد الله بن الزبير، وهلك مسلم في الطريق إلى مكة، وتولى إمرة الجيش حصين بن نمير، فقاتل أهل مكة ونصب المجانيق[5] على جبلي أبي قُبيس وقعيقعان[6]، ورمى الكعبة

---

(1) كتاب المحن ص 162، انظر في وقعة الحرة الطبري 5/485- 494، وابن الأثير 3/445- 462.

(2) كتاب المحن ص 164، الطبري 5/484.

(3) كتاب المحن ص 171.

(4) كتاب المحن ص 168، وانظر الطبري 5/495.

(5) المجانيق والمجانق والمنجنيقات: جمع منجنيق: آلة ترمى بها الحجارة على الأسوار والمدن لهدمها.

(6) أبو قبيس وقعيقعان: جبلان مشرفان على مسجد مكة. (معجم البلدان).

ومن فيها فاحترقت الكعبة، وأقام أهل الشام أياماً بعد حريق الكعبة[1]، وتوفي بعد ذلك بأيام يزيد بن معاوية، فعاد الجيش إلى الشام.

ولما تولى عبد الملك بن مروان، كان همُّه أن يقضي على ثورة ابن الزبير، فتبرع الحجاج بن يوسف الثقفي بالقضاء على ابن الزبير، وقال لعبد الملك: «إني رأيت في المنام كأني أسلخ ابن الزبير، فقال له عبد الملك: اخرج إليه»، فخرج الحجاج في ألف وخمسمائة رجل حتى نزل الطائف، وجعل عبد الملك يرسل إليه الجيوش رَسْلاً حتى تتامَّ من الناس إليه قدر ما يظن أنه يقوى على قتل ابن الزبير، ووصل الحجاج مكة، فحاصر بيت الله، ونصب المنجنيق على جبل أبي قبيس ونواحي مكة كلها، وهاجموا من في الكعبة وقتلوا عبد الله بن الزبير وحزوا رأسه ورؤوس أصحابه، وبعث الحجاج برؤوسهم إلى المدينة فنصبوها للناس، ثم بعثوا برؤوسهم إلى عبد الملك بن مروان[2].

هذه السياسة العنيفة القاسية التي اتبعها الأمويون في القضاء على معارضيهم، والتي تخالف التعاليم الدينية والمفاهيم الإسلامية، قد صارت قاعدة عامة اتبعها الخلفاء الأمويون وولاتهم بعد معاوية، وكان الولاة أشد بطشاً وغشماً من الخلفاء، ولم يكن الخلفاء العباسيون وولاتهم بأحسن حالاً من أسلافهم الأمويين، وقد أسرف ولاة الأمويين بقتل المسلمين ، فقد قتل الحجاج ما لا يحصى من الناس، وكان زياد بن أبيه يقتل على التهمة، ويقتل البريء لإخافة المذنب، وقتل النساء، وهو أمر ينكره العرب وينكره الإسلام، وأن سمرة بن جندب وكيل زياد على البصر قتل ثمانية آلاف على التهمة، وكذلك أسرف عبيد الله بن زياد وخالد القسري في قتل المسلمين.

وكان السفاح العباسي مسرفاً في قتل الأمويين، وقيل إن من قتلهم أبو مسلم الخراساني بلغ ستمائة ألف بين رجل وامرأة وغلام، وكان إبراهيم الإمام

---

(1) كتاب المحن ص 186، الطبري 5/ 498، ابن الأثير 3/ 464.

(2) كتاب المحن ص 192ـ 193.

قد أوصى أن يقتل أي غلام بلغ خمسة أشبار ممن يشك في ولائهم[1].

القتل والتعذيب، فنون وأنواع:

1 ـ قطع الرؤوس:

مر بنا في الإلمامة السابقة عن مسيرة العنف في صدر العهد الأموي، أن قطع الرؤوس وحملها على الأعمدة والطواف بها كان سمة مميزة، من ذلك رأس عمرو بن الحَمِق، أول رأس طيفَ به في الإسلام، ورأس الحسين بن علي وآل بيته، ورأس عبد الله بن الزبير، وما لا يُحصى من الرؤوس، واستمر قطع الرؤوس والطواف بها للتشهير والتشفي في العصر العباسي، وصارت هناك خزائن للرؤوس المقطوعة[2]، وفي الأندلس كان المعتمد بن عباد الشاعر صاحب أشبيلية قد أقام في قصره حديقة للرؤوس المقطوعة[3].

2 ـ الصلب:

ويكون الصلب بأن يعلق المذنب على خشبة، يعلق لفترة للتشهير ثم يُحدر، ومن حوادث الصلب دون القتل ما أمر به المتوكل أن يصلب علي بن الجهم وكان منفياً في خراسان، فصلبه أمير خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر، صلبه يوماً إلى الليل مجرداً من ثيابه، ثم أنزل إلى الحبس[4]، وإذا أريد قتله يسمر في يديه مسماران في حائط أو خشبة، ويُترك لشأنه حتى يموت، وربما خرق المسمار كفه فسلم، وقد يكون الصلب بعد القتل وقطع الرأس وتعليقه على خشبة بمكان مرتفع حتى يراه الناس، وكان من أوائل المصلوبين عبد الله بن

---

(1) الطبري 7/344، اليعقوبي 2/85.
(2) خزائن الرؤوس في العصر العباسي: ميخائيل عواد، مجلة الرسالة المصرية سنة 1948 وما بعدها.
(3) للباحث الأستاذ هادي العلوي فصل في كتابه (فصول من تاريخ الإسلام السياسي) بعنوان: من تاريخ التعذيب في الإسلام، فيه موضوعات مشابهة لموضوعنا، وقد أفدنا منه، ط مركز الأبحاث في العالم العربي، نيقوسيا 1999.
(4) الأغاني 10/253.

الزبير، صلبه الحجاج بمكة، وصُلب زيد بن علي، صلبه يوسف بن عمر، وزيد هو أخو أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وصُلب ماهان أبو صالح المسبِّح، صلبه الحجاج بن يوسف، وصلب الحجاج أيضاً عُمير بن ضابىء التميمي، وصلبَ عمر بن هبيرة الفزاري صالحَ بن عبد الرحمان وكان على خراج العراق[1].

وفي العصر العباسي صُلب أحمد بن نصر في محنة القول بخلق بالقرآن زمن الواثق العباسي، وقد يبقى المصلوب معلقاً أياماً أو شهوراً، وقد يُعلق رأسه في مكان وجسمه في مكان آخر، كما حصل لأحمد بن نصر الخزاعي، وكان من أشراف بغداد، وقد خالف من يقول بخلق القرآن فقتله الواثق وصلبه، وقد جُعل رأسه على خشبة في رحبة كبيرة عند داره، وكانت جثته مصلوبة في سامراء طيلة زمن الواثق، حتى إذا ولي المتوكل أمر أن تنزل جثته، فجُمعت مع الرأس ودفنوه[2].

وقد يكون الصلب للأحياء دون القتل، وكانت هذه عقوبة التشهير، استعملت ضد الهاربين من الجيش، ومن أوائل من استعملها بشر بن مروان أخو الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان التشهير للمخالف رمزياً، وتطور بالتدرج حتى بلغ القتل، وفي كامل ابن الأثير[3] قال الشعبي: كان الرجل إذا أخلَّ بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر وعثمان وعلي، نزعت عمامته ويُقام للناس ويُشهر أمره، فلما ولي مصعب قال: ما هذا بشيء، وأضاف إليه حلق الرؤوس واللحى، فلما ولي بشر بن مروان زاد فيه فصار يُرفع الرجل عن الأرض ويُسَمَّر في يديه مسماران في حائط، فربما مات، وربما خرق المسمار كفَّه فسلم، فقال الشاعر:

(1) كتاب المحن ص 255.
(2) كتاب المحن ص 252.
(3) الكامل في التاريخ 4/142.

لـولا مخـافـةُ بِشْـرٍ أو عقـوبتُـهُ   وأنْ يُنَـوَّطَ فـي كَفَـيَّ مِسمـارُ
إذاً لعطلـتُ ثغـري ثـم زرتكـمُ   إنَّ المُحِـبَّ لمـن يهـواهُ زَوَّارُ

فلما كان الحجاج قال: هذا لعب، اضرب عنقَ مَنْ يخل مكانهُ في الثغر.

3 ـ سمل العيون:

أول سمل للعيون فيما نعلم فعله عبيد الله بن زياد بالبلجاء، وهي امرأة من بني حرام بن يربوع من تميم من الخوارج، أمر ابن زياد بقطع يديها ورجليها وسمل عينيها، فلما قطعت ما نبست بكلمة، فأتى بنار لتكوى بها، فلما رأت النار صرخت، فقيل لها: قُطعت يداكِ ورجلاكِ فلم تنطقي بشيء، فلما رأيت النار صرخت من قبل أن تُدنى منك، فقالت: ليس من ناركم صرخت، ولا على دنياكم أسفت، ولكنني ذكرت بها النار الكبرى، فكان الذي رأيتم من ذلك، قال: فأمر بها فسُمِلت عيناها[1].

ثم شاع سمل العيون في العصر العباسي المتأخر حين تغلب عساكر الأتراك على الخلفاء فصاروا يسملون عين الخليفة الذي لا يرغبون فيه ليسقط حقه في الخلافة، إذ من شروط الخليفة أن يكون صحيح الجسد.

4 ـ تقطيع الأعضاء:

أول ما عُرف من قطع الأعضاء والتمثيل بالقتلى في الإسلام كان في وقعة أُحد، حيث وجدت هند بنت عتبة شفاء غيظها في التمثيل بجثث الشهداء المسلمين، فكانت وصواحبها تقطع الآذان وتجدع الأنوف، حتى اتخذت من ذلك خلخالاً وقلائد، وأعطت حُليها وحشياً غلام جبير بن مطعم، وكانت قد استأجرته ـ وهو يحسن استعمال الحربة ـ لقتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، فمرت بحمزة حيث صرعه وحشي فبقرت بطنه عن كبده، فلاكتها فلم تسغها، وكانت فرحة وهي ترتجز[2]:

---

(1) كتاب المحن ص 266.

(2) السيرة النبوية 2/91، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ص 175ـ 176.

شفيتُ من حمزة نفسي بأُحدْ   حتى بقرتُ بطنَهُ عن الكَبِد
أذهَبَ عني ذاكَ ما كنتُ أجِدْ   من لذعةِ الحزنِ الشديد المعتمدْ

هذا في تقطيع القتلى للتشفي، أما تقطيع أوصال الأحياء فقد كثر وشاع في العصرين الأموي والعباسي، وقد عرف من التقطيع قطع اليدين والرجلين واللسان وصلم الأذن وجدع الأنف وجبّ المذاكير، وكان الولاة يفتنون في ذلك، وكان زياد بن أبيه من السباقين في هذا المضمار، فقد أمر بقطع لسان رشيد الهجري وصلبه لأنه تكلم بالرجعة[1] وقد شاع تقطيع الأيدي والأرجل، وقد مر بنا ما فعله عبيد الله بن زياد بالبجاء إذ قطع يديها ورجليها وسمل عينيها.

ثم صارت الأوصال تقطع إلى قطع صغيرة بلغت في زمن الرشيد إلى أربع عشرة قطعة، ولزيادة الإيلام استعاضوا عن القطع بالسيف القطع بمدية غير حادة[2]، وقد قطع سفيان بن معاوية عامل المنصور على البصرة أعضاء ابن المقفع عضواً عضواً وهو يلقيها في التنور وابن المقفع حي ينظر[3].

ومن صور التقطيع ما ذكره الطبري في خلافة المكتفي سنة 291 هـ، فقد جيء بالحسين بن زكرويه قائد القرامطة المعروف بصاحب الشامة، ومعه ابن عمه المعروف بالمدثر، ومعهما جماعة الفرسان والرجالة: «فصُعد بهما إلى الدكة وأقعدا، وقُدِّم أربعةٌ وثلاثون إنساناً من هؤلاء الأسارى، فقُطِّعت أيديهم وأرجلهم وضُربت أعناقهم واحداً بعد واحد، وكان يؤخذ الرجل فيُبطح على وجهه، فيقطع يمنى يديه ويحلّق بها إلى أسفل ليراها الناس، ثم تُقطع رجله اليسرى، ثم يُسرى يديه، ثم يُمنى رجليه، ويُرمى بما قُطِع منه إلى أسفل، ثم يُقعَد فيمدُّ رأسه، فيُضرب عنقه، ويُرمى برأسه وجثته إلى أسفل، وكانت جماعة من هؤلاء الأسرى قليلة يضجون ويستغيثون، ويحلفون أنهم ليسوا من القرامطة»[4].

---

(1) اللباب في تهذيب الأنساب: ابن الأثير 2/85 ط القاهرة 1357هـ.
(2) الطبري 6/526.
(3) وفيات الأعيان 2/152 ـ 153، وانظر محنة ابن المقفع في هذا الكتاب.
(4) الطبري 10/114 ط محمد أبو الفضل إبراهيم.

ويواصل الطبري وصف قتل المدثِّر وابن زكرويه وتقطيعهما فيقول: «فلما فُرِغ من قتل هؤلاء الأربعة والثلاثين النفس ـ وكانوا من وجوه أصحاب القرمطي فيما ذُكر ـ وكبرائهم، قُدِّم المدثِّر فقُطِعت يداهُ ورجلاه وضُرِبت عُنُقُه، ثم قُدِّم القرمطي فضُرب مائتي سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه وكُوي، فغُشي عليه، ثم أخذ خشب فأضرمت فيه النار، ووضع في خواصره وبطنه، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضهما، فلما خافوا أن يموت ضُرِب عُنُقه، ورُفِع رأسُه على خشبة، وكبَّر مَنْ على الدكة، وكبَّر سائر الناس»[1]. وكذلك فُعِل بالحلاج إذ ضُرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وصُلب وهو لا يزال حياً، وبقي مصلوباً ثلاثة أيام، ثم قطعوا رأسه وصُبَّ على جسمه الزيت وأُحرق بالنار[2].

5 ـ الحرق:

لعل أقدم ما وصل إلينا من أخبار الحرق في الإسلام في زمن الردة فقد حرق أبو بكر الصديق الفجاءة إياس بن عبد ياليل لخيانته ونكثه وقتله المسلمين، وذلك: «أن الفجاءة قدم على أبي بكر فقال: أعِنِّي بسلاح ومُرْني بمن شئت من أهل الردة، فأعطاه سلاحاً وأمرَه أمْرَه، فخالف أمره إلى المسلمين، فخرج حتى نزل بالجواء، وبعث نجبة بن أبي الميثاء من بني الشريد وأمره بالمسلمين، فشنَّها غارة على كل مسلم من سُليم وعامر وهوازن، وكان يستعرض الناس المسلم والمرتد، يأخذ أموالهم ويقتل من خالفه منهم، وبلغ ذلك أبا بكر، فأرسل له جنداً فأسروا الفجاءة، وجيء به إلى أبي بكر، فأمر فأوقد له ناراً في مصلَّى المدينة على حطب كثير، ثم رمى به فيها مقموطاً»[3].

وكان الحرق في الحروب أمراً شائعاً، ففي وصية أبي بكر في قتال المرتدين قوله: «وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان،

---

(1) الطبري 10/114 حوادث سنة 291 هـ.

(2) انظر محنة الحلاج فيما يأتي من هذا الكتاب.

(3) الطبري 3/264 ـ 265، حوادث سنة 11 هـ.

وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه لداعية الله، فمن استجاب له وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحاً، قَبِل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا يُبقي على أحد منهم قدر عليه، أن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة»[1].

هذا في الحرب، أما في غيره فكان الحرق لمخالفي السلطان، وفيه إرادة التعذيب، ففي زمن الأمويين حرق خالد القسري وكان والياً على العراق لهشام بن عبد الملك، حرق المغيرة بن سعيد العجلي، وكان المغيرة يرمي بالسحر وهو من الروافض، وكان المغيرة قد خرج في سبعة نفر بظهر الكوفة، فأخبر خالد بخروجهم وهو على المنبر ففزع وقال: اطعموني ماء، فأتي بالمغيرة وبيان في ستة رهط أو سبعة، أمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع، وأمر بأطنان[2] قصب ونِفط فأحضرا، ثم أمر المغيرة أن يتناول طنّاً فكعَّ عنه وتأنَّى، فصُبَّت السياط على رأسه، فتناول طناً فاحتضنه، فشُدَّ عليه، ثم صُبَّ عليه وعلى الطن نفط، ثم أُلهبت فيهما النار فاحترقا، ثم أمر الرهط ففعلوا، ثم أمر بياناً آخرهم، فقدِم إلى الطن مبادراً فاحتضنه، فقال خالد: ويلكم! في كل أمر تحمُقون، هلاَّ رأيتم هذا المغيرة! ثم أحرقه»[3].

وأحرق المعتضد العباسي شيلمة، وهو محمد بن الحسن بن سهل، وكان مع صاحب الزنج إلى آخر أيامه، ثم لحق بالموفق في الأمان فأمّنه، وكان سبب أخذه أن بعض المستأمنة سعى به إلى المعتضد، وأعلمه أنه يدعو إلى رجل لم يوقَف على اسمه، وأنه قد استفسد جماعة من الجند وغيرهم، فقرره المعتضد فلم يقرَّ بشيء، وسأله عن الرجل الذي يدعو إليه فلم يقر بشيء، فأمر المعتضد بنار فأوقدت، ثم شُدَّ على خشبة من خشب الخيم، وأدير على النار حتى تقطَّع جلده، ثم ضُربت عنقه، وصُلب عند الجسر الأسفل في الجانب الغربي[4].

---

(1) الطبري 3/251.

(2) أطنان: جمع طن وهو حزمة الحطب.

(3) الطبري 7/129 حوادث سنة 119 هـ.

(4) الطبري 10/32 حوادث سنة 280 هـ.

ومما يتصل بالحرق حمي المعدن ووضعه على جسم المعذَّب، وقد عُذِّب عبد الحميد الكاتب بالطست المحمي فحين قُبض عليه بعد مقتل مروان بن محمد، وكان عبد الحميد كاتبه، سلم السفاح عبد الحميد لصاحب شرطته، فكان هذا يحمي طَسْتاً بالنار ويضعه على رأسه حتى مات[1].

6ـ الجلد:

والجلد هو الضرب بالسوط أو المقرعة، وينفذ في المجلود واقفاً أو مبطوحاً، وقد يقنطر ويضرب على ظهره أو على بطنه، ولا نريد بالجلد هنا لإقامة الحد على الزناة واللصوص، بل الجلد للتعذيب، ومن ذلك ما كانوا يجلدون الناس لاستخلاص الأموال، أموال الخراج أو الجزية من الفلاحين والموالي وأهل الذمة، وكثر ذلك في زمن الحجاج، ومُنع في زمن عمر بن عبد العزيز، وفي زمن الرشيد أيضاً، وذلك حين رأى المحدث الزاهد الفضيل بن عياض أناساً يعذبون في الخراج، فاستنكره، وذكر الحديث النبوي في النهي عن التعذيب، ولما بلغ هذا الأمرُ الرشيدَ، أمر برفع العذاب عن الناس، فارتفع العذاب في تلك السنة[2].

ومن الشعر الجيد في هذا المضمار، ما صوره الراعي النميري في قصيدته التي يخاطب بها عبد الملك بن مروان، ويتظلم للخليفة من جور عمال الخراج وتعذيبهم الناس ضرباً بالسياط، حيث أخذ السعاة عريف القوم فربطوه بجذع وجلدوه حتى شققوا لحمه وتركوه بين الموت والحياة، يقول فيها[3]:

أولـيَّ أمـرِ اللَّـهِ إنَّـا معشَـرٌ   حُنفـاءُ نسجـدُ بُكـرةً وأصيـلا

عَـرَبٌ نـرى للَّـهِ فـي أمـوالنـا   حـقَّ الـزكـاةِ مُنَـزَّلاً تنـزيـلا

---

(1) وفيات الأعيان 3/230.

(2) تاريخ اليعقوبي 2/122.

(3) ديوان الراعي النميري ص 229 ـ 242، تحقيق راينهرت فايبرت، ط صادر، بيروت 1980.

قومٌ على الإسلام لمَّا يمنعوا ماعونهم ويضيِّعوا التهليلا
فادفعْ مظالمَ عيَّلَتْ أبناءنا عَنَّا وأنقِذْ شِلْوَنا المأكولا

ويقول في ظلم السعاة وقسوتهم:

إنَّ السعاةَ عصوكَ حين بعثتَهم وأتَوا دواعيَ لو علمتَ وغُولا
إنَّ الذين أمرتَهم أنْ يعدِلوا لم يفعلوا مما أمرتَ فتيلا
أخذوا العريفَ فقطَّعوا حيزومَهُ بالأصبحيةِ قائماً مغلولا
حتى إذا لم يتركوا لعظامهِ لحماً ولا لفؤادهِ معقولا
نسيَ الأمانةَ من مخافةِ لُقَّحٍ شُمْسٍ تركنَ بضبعهِ مجزولا
كتبَ الدهيمَ وما تجمَّعَ حولها ظُلْماً فجاء بعدلها معدولا
وغدوا بصكِّهمُ وأحدبَ أسأرتْ منهُ السياطُ يراعةً إجفيلا
من عاملٍ منهم إذا غيَّبْتَهُ غالى يُريدُ خيانةً وغُلولا

وهكذا يبين ظلم السعاة وقسوتهم في أخذ الخراج وإغراق القبيلة بالديون إذ يجبرونهم على توقيع الصكوك حتى يأخذوا كل ما يقدرون عليه ويتركوا أغنياء الناس فقراء معوزين تركبهم الديون.

وليس للجلد ـ في غير الحد ـ عدد محدود، فالجلد في حد الزنا مئة جلدة، ولكن في جلد التعذيب قد يبلغ الألف سوط أو الألفين كما في حالة الحلاج، إذ جلد ألف سوط، ولم يمت ثم جلد ألفاً أخرى.

وممن جُلِد من أكابر المسلمين وفقهائهم مالك بن أنس، فقد أفتى بعدم شرعية البيعة التي تؤخذ بالإكراه، مثل بيعة المنصور لأنها أخذت بالإكراه، فأمر المنصور بقنطرته، وذلك برفعه من يديه ورجليه بعد أن قلبوه على وجهه، ثم جلدوه على الظهر، فضُرب سبعين سوطاً، وقيل مئة سوط، وكان الضرب شديداً أذهب بضعة (قطعة من لحمه) عن يمينه وفتقه، فكانت تخرج منه الريح، فلم يشهد جمعة ولا جماعة سبع سنين[1].

---

(1) كتاب المحن ص 320 ـ 323.

وجلد بشار بن برد فضرب سبعين سوطاً بأمر المهدي العباسي فهلك بها[1]، وجُلد الإمام أبو حنيفة، ضُرب مئة سوط بأمر عمر بن هبيرة والي العراق لأنه رفض العمل في الدولة، وقيل إنه مات بعد الجلد بخمسة أيام، وقيل بل مات في السجن مسموماً[2]، وضرب يوسف بن عمر والي العراق لهشام بن عبد الملك، زيدَ بن تيم القيني خمسمائة سوط، وضرب سالماً النفاط ألف سوط[3]، وممن ضرب حتى الموت الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، ظلوا يضربونه بالسياط فمات، وهم لا يعلمون أنه قد مات[4]، وضُرب الإمام أحمد بن حنبل في محنة القول بخلق القرآن، إذ أمر المعتصم أن يعلق بين السماء والأرض، ووقَّف له سبعين جلاداً ثلاثين ناحية وثلاثين ناحية، وظلوا يضربونه ولم يقر أن القرآن مخلوق وكان يقول: القرآن كلام الله وكلام الله غير مخلوق، فقال أحد الجلادين للمعتصم: يا أمير المؤمنين، إنْ أردت ضربته سوطين أقتله فيهما، فضربه سوطين شقَّ منهما خصريه وسالت أمعاؤه، فأمر به فأخرج من الحديد وشُدَّ بثوب تام[5]، ومن جلدوا من العلماء والفقهاء كثير أكثر من أن يحيط بهم عدد.

7 ـ السلخ:

ومن وسائل التعذيب التي كانت أقل شيوعاً هي سلخ الجلود، ومن أوائل حوادث السلخ، سلخ وجه أبي نخيلة الشاعر إذ استخدمه المنصور لخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، ليجعلها لابنه المهدي، فنظم الشاعر قصيدة باتفاق مع المنصور وأنشدها في مجلسه وولي العهد حاضر، جاء فيها:

---

(1) الأغاني 3/241 ـ 242.

(2) كتاب المحن ص 261، وفي رواية أن أبا حنيفة مات مسموماً، أمره المنصور أن يشرب اللبن وكان مسموماً، فمات من تلك الشربة.

(3) الطبري 7/260 حوادث سنة 126 هـ.

(4) الطبري 10/9.

(5) كتاب المحن ص 436.

ليس وليُّ عهدنا بالأسعدِ عيسى فزحلفها إلى محمدِ

وأمره المنصور أن يهرب إلى خراسان، فجرَّد عيسى خلفه مولى له يقال له قطري معه عدة من مواليه، وقال له: نفسَك نفسَك أن يفوتك أبو نخيلة، فخرج قطري مغذاً للسير، فلحقه في طريقه إلى خراسان، فقتله وسلخ وجهه[1].

وممن سُلخ جلده محمد بن عبادة أحد قادة الخوارج الذين أسروا في أيام المعتضد بالله العباسي، فسلخ جلده كما تسلخ الشاة[2]، وحين ظفر السلطان محمد بن ملكشاه بأحمد بن عبد الملك بن عطاس الذي كان متحصناً في قلعة أصفهان وهو من الباطنية: «أخذ أسيراً فتُرِك أسبوعاً، ثم إنه أمر به فشُهر في جميع البلد، وسُلِخ جلده فتجلد حتى مات، وحُشي جلده تبناً، وقُتل ولده وحُمِل رأساهما إلى بغداد»[3].

وسلخ المعز الفاطمي جلد أبي بكر النابلسي حين قبض عليه، وحُشي تبناً وصُلِب، وذلك لأن النابلسي كان قد قال: «لو أن معي عشرة أسهم لرميت تسعة في المغاربة وواحداً في الروم»[4].

8 ـ تكسير العظام:

وأبرز حادثة كسر العظام عرفناها في التاريخ الإسلامي، ما فعله يوسف بن عمر والي الكوفة، حين ظفر بخالد بن عبد الله القسري، والي الكوفة السابق، والذي لا يقل إجراماً وقسوة وغَشْماً عن صاحبه يوسف بن عمر، وذلك أن يوسف كسر عظام خالد وهو حي، روى الطبري قال: «قال أبو زيد: حدثني أبو نعيم قال: حدثني رجل قال: شهدتُ خالداً حين أتى به يوسف، فدعا بعود فوُضِعَ على قدميه، ثم قامت عليه الرجال حتى كُسِرت قدماه، فوالله ما تكلم ولا

---

(1) الأغاني 432/20، وانظر محنته في ترجمته الآتية في هذا الكتاب.
(2) ابن الأثير 375/6.
(3) ابن الأثير 109/9.
(4) ابن الأثير 344/7، حوادث سنة 630 هـ.

عبس، ثم على ساقيه حتى كُسِرتا، ثم على فخذيه، ثم على حَقْويه، ثم على صدره حتى مات، فوالله ما تكلم ولا عبس»[1].

ومما يقرب من تكسير العظام قرض اللحم، ولا نعرف من ذلك إلا حادثة واحدة استخدمها القرامطة، فقد اغتيل رأس القرامطة أبو سعيد الجنَّابي، اغتاله خادمه بعد أن دخل الحمام، وكذلك قتل الخادم عدداً من رؤوس القرامطة بعد أن استدرجهم إلى الحمام، فلما اكتشف القرامطة أمر الخادم، شدوه بالحبال، ثم أخذوا يقرضون لحمه بالمقاريض حتى مات[2].

9 ـ النفخ والفصد:

عُرف الخليفة المعتضد العباسي بقسوته وحبه لسفك الدماء، والتمثيل بمن يقتله، فمن ذلك أنه كان يبتكر وسائل للقتل والتعذيب لم يسبق إليها، فمن ذلك النفخ والفصد، فكان: «يأخذ الرجل فيُكَتَّفُ ويقيَّدُ، فيؤخذ القطن فيُحشى في أذنه وخيشومه وفمه، وتوضع المنافخ في دُبُره حتى ينتفخ ويعظم جسمه، ثم يُسَدُّ الدبرُ بشيء من القطن، ثم يُفْصَد ـ وقد صار كالجمل العظيم ـ من العرقين اللذين فوق الحاجبين، فتخرج النفس من ذلك الموضع»[3].

وعاقب المعتضد أيضاً لصاً سرق خزنة بالنفخ والفصد: «فأمر فقُبض على يديه ورجليه وأوثِق، ثم أمر بمنفاخ في دبُره، وأُتيَ بقطن فحُشيَ في أذنيه وفمه وخيشومه، وأقبل ينفخ، وخلَّى عن يديه ورجليه من الوثاق، وأمسك بالأيدي، وقد صار كأعظم ما يكون من الزِّقاق المنفوخة، وقد ورم سائر أعضائه وعظم جسمه، وعيناه قد امتلأتا وبرزتا، فلما كاد أن ينشق، أمر بعض الأطباء فضربه في عرقين فوق الحاجبين، وهما في الجبين، فأقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير، إلى أن خمد وتلف، وكان ذلك أعظم منظر

---

(1) الطبري 7/260 حوادث سنة 126 هـ.

(2) اتعاظ الحنفا ـ المقريزي ص 221، ط القاهرة 1947.

(3) مروج الذهب 4/232، ط دار الفكر، بيروت 2000.

رُئيَ في ذلك اليوم من العذاب»[1].

وما دمنا في سيرة الخليفة المعتضد المتفنن بأساليب التعذيب والقتل، فقد ابتكر طريقة لإخراج الروح من الدُبر، روى المسعودي قال: «وكان إذا غضب على القائد النبيل، والذي يختصه من غلمانه، أمر أن تُحفر له حفيرة بحضرته، ثم يُدلى على رأسه فيها ويُطرح التراب عليه، ونصفه الأسفل ظاهر على التراب، ويُداس التراب، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دُبُره»[2].

10 ـ التسهير:

والتسهير ضرب آخر من التعذيب لا يقل عن الجلد، فهو يحطم نفسية المعَذَّب وينهكه، وقد عُذب محمد بن عبد الملك الزيات من جملة ما عُذِّب بالتسهير، فلما حُبس ـ يقول الطبري ـ: «مكث أياماً ثم سوهر ومُنِع من النوم، يُساهر ويُنْخَس بمَسَلَّة، ثم تُرك يوماً وليلة فنام وانتبه فاشتهى فاكهة وعنباً، فأُتيَ به، فأكل ثم أعيد إلى المساهرة، ثم أمر بتنور من خشب فيه مسامير حديد قيام»[3]، وهو في التنور مُسَهَّر لا يستطيع النوم، إذا غفا مال فنخسته المسال وتنغرز في جسمه، فهو بين عذاب السهر وعذاب المسال التي تنغرز في جسمه.

واستعمل المعتضدَ العباسي التسهير مع لص سرق من بيت المال عشر بِدَر، سهَّره ليقر ويعترف بسرقته، واللص يأبى، فأمر المعتضد: «بإحضار ثلاثين أَسْوَد بحيث يراهم ويرونه، وأمرهم أن يتناوبوا في ملازمته، فأتت عليه أيام وهو قاعد لا يتكيء ولا يستند ولا يستلقي ولا يضطجع، وكلما خفق خفقة وُجِيءَ فكُّه وقُمِع رأسُه، حتى إذا ضعف وقارب التلف أمر بإحضاره، فأعاد عليه ما كان خاطبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الأيمان، بأنه ما أخذ المال ولا يعرف من أخذه»، ثم أُطعم وسُقي ونام، فلما استلقى واستراح وغفا، أمر بإزعاجه

(1) مروج الذهب 4/250.
(2) مروج الذهب 4/232.
(3) الطبري 9/159، حوادث سنة 233 هـ.

وسرعة إيقاظه، فحُمِل من موضعه حتى أُقعِد بين يديه وفي عينيه الوسن» فساءله كيف صنع وسرق، فاعترف اللص وهو لا يدري ما يقول تحت وطأة النعاس[1].

11 ـ خلع الأضراس وقلع الأظافر:

عاقب هشام بن عبد الملك عمارةَ الكلبي بخلع أضراسه وقلع أظافره، لأنه أجلس فوق هشام يوم كان ولياً للعهد، روى أبو علي القالي قال: «كانت وليمة في قريش تولى أمرها مقَّاس الفقعسي، فأجلس عُمارة الكلبي فوق هشام بن عبد الملك، فأحفظه ذلك وآلى على نفسه أنه متى أفضت الخلافة إليه عاقبه، فلما جلس في الخلافة، أمر أن يؤتى به وتقلع أضراسُه وأظفار يديه، ففُعِل ذلك به، فأنشأ يقول:

عــذَّبــونـــي بعــذابٍ قلعــوا جــوهَــرَ رأســي
ثــم زادونـــي عــذابــاً نـزعـوا عنـي طسـاسـي
بـالمُـدي خُـرِّزَ لحمـي وبـأطـرافِ المـواسـي

قال: الطساس: الأظفار، ولم أرَ أحداً من أصحابنا يعرفه، ثم أخبرني رجل من أهل اليمن قال: يقال عندنا: طَسَّهُ، إذا تناوله بأطراف أصابعه»[2].

12 ـ التعذيب بشرائح القصب:

عذَّب الحجاجُ فيروزَ حصين أحد قادة ثورة عبد الرحمان بن الأشعث بالقصب المشقوق، ولما جيء بفيروز قال له الحجاج: «أبا عثمان، ما أخرجك مع هؤلاء، فوالله ما لحمك من لحومهم، ولا دمك من دمائهم؟ قال: فتنة عمَّت الناس فكنا فيها، قال: اكتب لي أموالك، قال: ثم ماذا؟ قال: اكتبها أول، قال: ثم أنا آمن على دمي؟ قال: اكتبها ثم انظر، قال: أكتب يا غلام: ألف ألف، ألفي ألف، فذكر مالاً كثيراً، فقال الحجاج: أين هذه الأموال؟ قال: عندي، قال: فأدِّها، قال: وأنا آمن على دمي؟ قال: والله لتؤدينها ثم لأقتلنَّك،

---

(1) مروج الذهب 4/249.
(2) أمالي القالي 1/56.

قال: والله لا تجمع مالي ودمي، فقال الحجاج للحاجب: نَحِّه، فنحاه»[1]، ثم أمر بفيروز فعُذِّب فكان فيما عُذِّب به أن كان يُشَدُّ عليه القصب الفارسي المشقوق، ثم يُجَرُّ عليه حتى تخرق جسده، ثم ينضح عليه بالخل والملح، فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب: «إن الناس لا يشكون أني قد قُتِلتُ، ولي ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى إليكم أبداً، فأظهرني للناس ليعلموا أني حيٌّ فيؤدوا المال، فأعلم الحجاج فقال: أظهره، فأخرج إلى باب المدينة فصاح في الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا فيروز حصين، إن لي عند أقوام مالاً، فمن كان لي عنده شيء فهو له، وهو منه في حِلٍّ، فلا يؤدِّيَنَّ منه أحد درهماً، ليبلغ الشاهدُ الغائبَ، فأمر به الحجاج فقُتل»[2].

وعذَّب الحجاج بهذه الطريقة أيضاً حطيطة الزيات، وكان غلاماً ابن ثمان عشرة سنة، وهو أحد الخوارج، فسأله الحجاج: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: أقول فيهما خيراً، قال: فما تقول في عبد الملك بن مروان؟ قال: وما أقول في مَنْ أنت سيِّئةٌ من سيئاته، فأمر الحجاج بتعذيبه حتى يسمع صوته، فأخذ المعذِّب الوهق[3] على ساقيه فحطمهما، ولم يسمع صراخه، «فعمد إلى قصب فشقَّه، ثم أدرجه فيه وشده، وأمر الناس أن ينزعوه، قال: فجعلت القضب تحمل ما مرت عليه من اللحم، حتى ما تركت منه شيئاً إلا شرَّحتْه» ثم وُضِع في عباءة وأمر الناس فجلسوا عليه، حتى إذا لم يشك في موته ألقاه في الرحبة[4].

13 ـ التشهير:

ومن العقوبات التي استخدمت في التاريخ الإسلامي عقوبة التشهير، وكان يتم بحلق اللحى أو نتفها، وفي النتف تعذيب جسدي بالإضافة إلى عقوبة

(1) الطبري 6/380 حوادث سنة 83 هـ.
(2) الطبري 6/380 ـ 381.
(3) الوهق: حبل في طرفه أنشوطة.
(4) كتاب المحن ص 379.

التشهير، وكذلك حلق الرؤوس وخاصة الشعر الطويل الذي كان سمة المنحرفين والمخنثين والزنادقة، وقد أمر الواثق بقص طويلة (أي الشعر الطويل) المتوكل وكان صبياً، ونفذ ذلك الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، ويذكر ابن الجوزي في (القصاص والمذكرين) بأنه أسهم في حملة لقص أكثر من عشرة آلاف طائلة من شعور الفتيان اللاهين والماجنين.

ومن وسائل التشهير أن يُطاف بالمذنب على حمار ومعه أشخاص ينادون بجرمه ويشهرون به، وقد عوقب يزيد بن مفرغ بهذه العقوبة، فقد أمر عبيد الله بن زياد أن يُسقى ابن مفرغ نبيذاً حلواً قد خلط معه الشبرم[1]، فأسهل بطنه وطيف به وهو في تلك الحال، وقُرِن بهرة وخنزيرة، فجعل يسلح، وكانوا يطيفون به في أسواق البصرة، والصبيان خلفه يصيحون به، وألحَّ عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط، فأخبروا ابن زياد بذلك، وقيل له: إنه لما به لا نأمن أن يموت، فأمر به أن يُغسل ففعلوا[2].

وممن شُهِّر به جرير بن عطية الشاعر وعمر بن لجأ التيمي، فقد انتشر هجاؤهما وذاعت نقائضهما فأمر الوليد بن عبد الملك أبا بكر بن حزم الأنصاري وكان على شرطة المدينة، أن يضربهما، فضربهما وأقامهما على البُلس مقرونين[3].

هذه إلمامة بمسيرة العنف في التاريخ الإسلامي، وقد أسهم فيها مجموعة من الخلفاء القساة في العصرين الأموي والعباسي، وقد بالغ فيها وجاوز الحد، ولاة قساة لم يردعهم وازع من دين أو ضمير، وقد ضربوا بالشرائع الإسلامية والإنسانية عرض الحائط فأخذوا البريء بالمذنب، وقتلوا على الشبهة دون

(1) الشبرم: نبات له حب كالعدس، مسهل له ورق طوال كورق الحرمل، واحدته: شبرمة. (اللسان: شبرم).
(2) الأغاني 18/273، البيان والتبيين 1/143.
(3) الأغاني 8/72، البلس: غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه، وانظر شعر عمر بن لجأ ص 13 ـ 14 تحقيق يحيى الجبوري.

شاهد أو دليل، ولم يراعوا في ذلك شرع الله وسنّة رسول الله ﷺ.

فما موقف الإسلام من التعذيب والقتل والمثلة؟.

موقف الإسلام من التعذيب والقتل والمثلة:

إن كل الدماء التي سفكها الحكام والولاة في غير حد، هي خروج عن حكم الشريعة، فلا يجوز قتل المسلم إلا بحقه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: 151]، وبيَّنت السُّنة المستثنى بقول رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرىءٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاثٍ: كفرٌ بعد إيمان، أو زِنى بعد إحصانٍ، أو قتل نفسٍ بغير نفسٍ»[1].

لقد حفلت كتب الحديث والسيرة النبوية بأحاديث كثيرة تنهى عن التعذيب والمثلة، وضرب العبيد والضعفاء، وتشويه الأبدان وغير ذلك من أمور الإهانة والتعذيب، وحتى في الحدود كان يميل إلى مبدأ (درء الحدود بالشبهات)، والإسلام دين اليسر والرحمة، وفي ما يلي من أحاديث وآثار يتبين منهج الإسلام في البعد عن العنف والقسوة وإيثار العفو والرحمة:

في حديث هشام بن حكيم بن حزام أخرجه مسلم في الصحيح وأبو داود في السنن، جاء فيه: «مر هشام بن حكيم على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حُبِسوا في الجزية، فقال هشام: أشهد سمعت رسول الله يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا». ودخل على حاكم فلسطين فحدثه بالحديث فأمر بهم فخلوا»[2]. وكان رسول الله ﷺ يوصي سراياه بعدم الظلم والمثلة، ففي صحيح الترمذي قوله: «لا تغدروا ولا

---

(1) أخرجه الطيالسي 289، والدارمي 2/218، والبخاري 6878، ومسلم 1676، وانظر الواضح في أصول الفقه لعلي بن عقيل البغدادي الحنبلي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة 1420 هـ/ 1999 م 2/8 وفيه تخريج واف للحديث.

(2) صحيح مسلم 8/32، سنن أبي داود: باب الجهاد.

تمثلوا»[1]، وفي السيرة النبوية قوله: «لا تغلُّوا ولا تمثلوا»[2]، والنهي عن المثلة في أحاديث صحيحة منها حديث سَمُرة بن جندب قال: «ما قام رسول الله ﷺ في مقام قط ففارقه، حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة»[3]، ومثله حديث عمران بن حصين قال: «ما قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً إلا أمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة»[4] وفي حديث عبد الله الخطيمي قوله: «نهى رسول الله عن النُهبة والمثلة»[5]، وحديث المغيرة بن شعبة قال: «نهانا رسول الله ﷺ عن المثلة»[6].

وقد منع رسول الله ﷺ من إهانة العبيد وضربهم وإيذائهم، ففي حديث عمر بن شعيب أخرجه ابن ماجه قوله: «جاء رجل إلى النبي ﷺ صارحاً، فقال رسول الله: ما لك؟ قال: سيدي رآني أقبّل جارية له فجب مذاكيري، فقال النبي: عليَّ بالرجل، فطُلب فلم يقدر عليه، فقال رسول الله للعبد: اذهب فأنت حر»[7]. وقد نهى رسول الله ﷺ لطم الوجه، وجعل كفارة المملوك العتق، ففي سنن أبي داود: «من لطم مملوكه فكفارته أن يعتقه»[8]، وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه قوله: «من ضرب عبده في غير حد حتى يسيل دمه فكفارته عتقه»[9]، وفي حديث هلال بن عساف قال: «كنا نبيع البُر في دار سويد بن مقرن فخرجت جارية وقالت لرجل منا كلمة فلطمها، فغضب سويد وقال: لطمت وجهها؟ لقد رأيتني سابع سبعة من إخواني مع رسول الله ﷺ ما لنا إلا

---

(1) صحيح الترمذي: باب في النهي عن المثلة.
(2) السيرة النبوية 2/409.
(3) السيرة النبوية 2/96.
(4) مسند أحمد بن حنبل 4/329، 432، 439، 440، 445، الدارمي رقم 382.
(5) مسند أحمد بن حنبل 4/307.
(6) مسند أحمد 4/346.
(7) سنن ابن ماجه ص 894.
(8) سنن أبي داود: باب الحدود.
(9) تاريخ بغداد 8/162.

خادم واحدة فلطمها أحدنا فأمرنا رسول الله ﷺ فأعتقناها»[1].

وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الصبيان والضعفاء والنساء والعبيد من غير المسلمين حتى لو كانوا من الكافرين، ففي السيرة النبوية، قال ابن إسحق: وحدثني بعض أصحابنا: أن رسول الله ﷺ مرَّ يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصفون عليها[2]، فقال: ما هذا؟ فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: أدرِك خالداً، فقل له: «إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً»[3].

وشملت الرحمة حتى الحيوان فمنع من قتله وإيذائه والتمثيل به، ففي حديث أبي أيوب الأنصاري: «سمعت رسول الله ﷺ نهى عن قتل الصبر، فوالذي نفسي بيده لو كانت دجاجة ما صبرتها»[4].

وهناك أحاديث في النهي عن صبر البهائم، منها أن النبي ﷺ: «نهى أن تصبر البهائم» ونهى عن المجثمة أي المصبورة[5].

وبعد، فإن حوادث القتل والتعذيب التي أشاعها الحكام والولاة الغاشمون في المجتمع الإسلامي إنْ هي إلا خروج عن شرع الله وظلم، وقد غضب الله على الظالمين في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ [إبراهيم: 42 ـ 43]، وقد لعنهم الله سبحانه: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: 18]، اللهم آمين لعنة الله عليهم أينما ثقفوا في كل زمان ومكان.

---

(1) صحيح مسلم 5/91، الاستيعاب 2/594.
(2) متقصفون: أي مزدحمون.
(3) السيرة النبوية 2/458، والعسيف: الأجير والعبد المستعان به.
(4) صحيح مسلم 6/72، 73، سنن الدارمي 253.
(5) مسند أحمد 5661، 5682، 5956.



مِحَن الشعراء والأدباء

وما أصابهم من السجن والتعزيب والقتل والبلاء

الدكتور يحيى الجبوري



لقيط بن يعمر الإيادي

قطع لسانه وقتل (250 ق هـ/ 380 م)

شاعر جاهلي فحل مُقِل من أهل الحيرة، اشتهر بقصيدته العينية التي ينذر بها قومه بني إياد من غزو كسرى.

كان لقيط يحسن الفارسية، واتصل بكسرى (سابور) ذي الأكتاف، فكان من كُتَّابه، والمطلعين على أسرار دولته، ومن مقدمي تراجمته، وكان كاتباً للمراسلات في ديوان كسرى[1].

كانت إياد قبيلة الشاعر تسكن تهامة، ونزل بها قحط فغادرت تهامة ونزلت في نواحي العراق، في منطقة بين سنداد إلى كاظمة وإلى بارق والخورنق[2]، واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة، ولم يزالوا يغيرون على ما يليهم من أرض السوا، ويغزون ملوك آل نصر، حتى أصابوا امرأة من أشراف العجم، كانت عروساً قد أهديت إلى زوجها، فَوَليَ ذلك منهم سفهاؤهم وأحداثهم[3]، فغضب لذلك كسرى، وأرسل إليهم من كان يليهم من الفرس، فانحازت إياد إلى العراق، وعبروا بإبلهم الفرات، حيث وضعوا إبلهم في سفن

---

(1) مختارات ابن الشجري ص 1، معجم ما استعجم 1/72.

(2) سنداد: منازل لإياد، نزلتها لما قاربت الريف، بعد لصاف وشرج وناظرة، أسفل سواد الكوفة، وراء نجران الكوفة. كاظمة: ماء في طريق البحرين من البصرة. بارق: ماء بالعراق بين القادسية والبصرة. الخورنق: قرية على نصف فرسخ من بلخ، وهي موضع للشرب. (ياقوت: سنداد، كاظمة، بارق، الخورنق).

(3) الأغاني 22/357 ـ 358، ديوان لقيط ص 9 تحقيق عبد المعبد خان، ط بيروت 1987 م.

طويلة تسمى القراقير، واجتازوا الفرات إلى الشاطىء الآخر، وبذلك يقول راجزهم[1]:

بئس مُناخ الحلقات الدُّهْمِ　　في ساحة القرقور وسطَ اليَمِّ

ولما عبروا الفرات تبعهم الأعاجم، ووجدوا غلاماً يقال له ثواب بن محجن، كان يرعى إبل أبيه، فقتلوه، وأخذوا الإبل، ولقيتهم إياد في آخر النهار، فهزمت الأعاجم، وكانت معركة شديدة قُتل فيها عدد كبير من الفرس، من الذين عبروا الفرات إلى الجانب الغربي، ولم يفلت منهم إلا القليل، وجمعت إياد جماجم وأجساد من قُتِل من الفرس إلى جانب دير، فكانت جماجمهم وأجسادهم كالتل العظيم، فسُمي ذلك الموضع بدير الجماجم[2].

ولما بلغ خبر قتل الفرس كسرى، بعث مالك بن حارثة، أحد بني كعب بن زهير بن جشم، في آثارهم، ووجه معه أربعة آلاف من الأساورة، فكتب إليهم لقيط بن معمر ـ وكان مقيماً في الحيرة ـ قصيدة عينية طويلة ينذر فيها قومه، وما أعد لهم كسرى من القتل المبير، وجعل عنوان الكتاب[3]:

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ　　إلى مَنْ بالجزيرة من إيادِ
بأنَّ الليثَ كسرى قد أتاكم　　فلا يشغلكمُ سَوقُ النِّقادِ[4]
أتاكم منهمُ سبعونَ ألفاً　　يُزَجُّونَ الكتائبَ كالجرادِ
على حَنَقٍ أتيناكمْ فهذا　　أوانُ هلاككمْ كهلاكِ عادِ

وسقطت القصيدة في يد من أوصلها إلى كسرى، فسخط عليه، وقطع لسانه، ثم قتله[5].

---

(1) الأغاني 22/358.

(2) دير الجماجم: بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها، على طرف البر للسالك إلى البصرة. (ياقوت: دير الجماجم).

(3) الديوان ص 35 ـ 36، الأغاني 22/360.

(4) النقاد: جنس من الغنم قبيح الشكل، واحده نقد.

(5) الديوان ص 12، ومختارات ابن الشجري ص 1. وهناك من يتحدث بأن لقيطاً كان على=

أما قائد جند الأكاسرة، وهو مالك بن حارثة التغلبي، فقد سار في ستين ألف مقاتل، حتى لقي إياداً، وهم غارُّون[1]، لم يلتفتوا إلى قول لقيط، وتحذيره إياهم، ثقة منهم بأن كسرى لا يقدم عليهم، فلقيهم بالجزيرة، في موضع يقال له مرج الأكم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفر بهم وهزمهم[2]، وأنقذ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفرات، ولحقت إياد بأطراف الشام، ولم تتوسطها خوفاً من غسان يوم الحارثين، ولاجتماع قضاعة وغسان في بلد، خوفاً من أن يصيروا يداً واحدة عليهم، فأقاموا حتى أمنوا، ثم إنهم تطرَّفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية أنقرة، وفي ذلك يقول الشاعر[3]:

حَلُّوا بـأنقـرةٍ يسيـلُ عليهـمُ ماءُ الفراتِ يجيءُ من أطوادِ[4]

وقصيدة لقيط التي يحذر بها قومه من استعداد كسرى لغزوهم وإبادتهم، من القصائد الرائعة، وقد نالت شهرة واسعة، وعناية بالغة، حتى إن ياقوت المستعصمي الخطاط المشهور كتبها بخطه، بخط نسخي جميل، وقد جعلها ابن الشجري أول قصيدة في مختاراته الشعرية[5]، ويقول ابن دريد: إنه ليست هناك قصيدة تحذير نظمها العرب خيرٌ منها، وكذلك فإن المبرد اقتبس بعض أبياتها في الكامل، مثالاً على خير وصف للقائد[6]، ويذهب ابن عبد ربه إلى أن القصيدة نظمت في يوم ذي قار[7]، ولم يقل أحد بأن القصيدة نظمت في يوم ذي قار غير

= صلة بزوجة كسرى وبينهما حب. (الديوان ص 12).

(1) غارون: غافلون.

(2) الشعر والشعراء ص 97 ـ 98.

(3) الأغاني 22/360، معجم ما استعجم 1/67، 71.

(4) الأطواد: الجبال، جمع طود.

(5) مختارات ابن الشجري ص 1 ـ 6، ضبطها وشرحها محمود حسن زناتي، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1980 م.

(6) الديوان ص 14.

(7) العقد الفريد 3/97، وتابعه في ذلك جاد المولى والبجاوي في كتابهما «أيام العرب في الجاهلية» ص 8، وانظر في معركة ذي قار: الأغاني 2/22 ـ 25، والعقد الفريد =

صاحب العقد الفريد، ومعنى هذا أن وقعة دير الجماجم، ووقعة مرج الأكم كانتا قبل ذي قار.

وقصيدة لقيط التحذيرية تقع في خمسة وخمسين بيتاً[1]، يبدؤها بثمانية أبيات فيها غزل تقليدي، وذلك في قوله:

يا دار عَمْرةَ من محتلها الجرعا   هاجت لي الهمَّ والأحزانَ والوجعا

تامتْ فؤادي بذاتِ الجِزْعِ خَرْعَبةٌ مَرَّتْ تُريدُ بذاتِ العَذْبَةِ البِيعَا

بمقلتي خاذلٍ أدماءَ طاعَ لها   نبتُ الرياضُ تُزجِّي وسطَهُ ذَرَعا

ويبدأ الرسالة في إنذار قومه بقوله:

بلْ أيها الراكبُ المزجي على عجلٍ نحو الجزيرةِ مرتاداً ومنتَجِعا

أبلِغْ إياداً وخَلِّلْ في سَرَاتهِمِ   إني أرى الرأيَ إنْ لم أعْصَ قد نصعا

يا لَهْفَ نفسيَ إنْ كانتْ أمورُكمُ   شتى وأحكِمَ أمرُ الناسِ فاجتمعا

ألا تخافونَ قوماً لا أبا لكُمُ   أمسَوا إليكم كأمثالِ الدَّبا سُرُعا

ويحرِّض قومه على الاتحاد والتكاتف، لأن القادمين قوم قساة، لا يردعهم وازع من دين، وقد استعدوا للقتال كل الاستعداد، وهم قوم أشداء لا يقف في وجههم شيء مهما بلغ من القوة والشدة:

أبناءُ قومٍ تأوَّوكمْ على حَنَقٍ   لا يشعرون أضَرَّ اللَّهُ أم نفعا

أحرارُ فارسَ أبناءُ الملوكِ لهم   من الجموعِ جموعٌ تزدهي القَلَعا

فهم سِراعٌ إليكم بين ملتقطٍ   شوكاً وآخرَ يجني الصابَ والسَّلَعَا[2]

= 3/97، ومعجم البلدان 7/8، وقد قدَّر الطبري 1/1015 ط بريل 1881 م أن معركة ذي قار حدثت أبان حكم كسرى أبرويز بن هرمز، ومعركة ذي قار حدثت بعد وقت قصير من بعثة النبي ﷺ سنة 610 ـ 611 م.

(1) انظر القصيدة في ديوان لقيط ص 35 ـ 51، ومختارات ابن الشجري 1 ـ 6، وبعضها في الأغاني 22/359 ـ 360 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1992 م.

(2) الشوك والصاب والسلع: كناية عن السلاح وحدته.

لــو أنَّ جمعَهــمُ رامــوا بهَــدَّتــهِ   شمَّ الشماريخِ من ثهلانَ لا نصدعا

في كلِّ يومٍ يسنونَ الحِرابَ لكمْ   لا يهجعون إذا ما غافلٌ هَجَعا

ويقارن بين اهتمام الفرس بالاستعداد للحرب، ولم تشغلهم أمور دنياهم، وبين قومه الذين شغلتهم أمور الرزق والكسب من الحرث والزرع وتكثير الماشية:

لا الحَرْثُ يشغَلهُمْ بل لا يرونَ لهم من دونِ بيضتِكمْ رِيًّاً ولا شِبَعا

وأنتمُ تحرثونَ الأرضَ عن سَفَهٍ   في كلِّ معتَملٍ تبغونَ مُزْدَرَعا

وتُلقِحــون حيــالَ الشَّــوْلِ آوِنَــةً   وتُنتِجــونَ بــدارِ القُلْعَــةِ الــرُّبَعَــا

أنتــمْ فــريقــانِ هــذا لا يقــومُ لــهُ   هَصْرُ الليوثِ وهذا هالكٌ صَقَا

وقد أظلَّكُمُ من شطْرِ ثَغْرِكمُ   هَــوْلٌ لــهُ ظُلَــمٌ تغْشــاكُــمُ قِطَعَــا

ويكبر على الشاعر أن يرى قومه نياماً آمنين، غير مدركين ما ينتظرهم من هول المصاب الذي سيحيق بهم، ويتمنى أن يتنبهوا للخطر المحدق، ويتأهبوا للحرب فيدفعوا عنهم ذل القعود والخنوع، وذلك بالاستعداد وصون الجياد، وجلاء السيوف، وتجديد القسي والنبال، ويحذرهم بأن كسرى سيبيرهم ويسبي نساءهم:

ما لي أراكم نياماً في بُلَهْنِيَةٍ   وقد ترونَ شهابَ الحَربِ قد سطعا

فاشفوا غليلي برأيٍ منكمُ حَسَنٍ   يَضحي فؤادي لهُ رَيَّانَ قد نُقِعا

ولا تكونوا كمَنْ قد باتَ مُكْتَنِعاً   إذا يُقالُ لهُ افرِجْ غُمَّةً كَنَعا[1]

صونوا جِيادكُمُ واجلوا سيوفَكُمْ   وجَدِّدوا للقِسِيِّ النبْلَ والشِّرَعا[2]

واشروا تِلادكُمُ في حِرْزِ أنفُسِكُمْ   وحِرْزِ نسوتِكم لا تهلكوا هَلَعا[3]

---

(1) كنع: خشع وانقبض.

(2) الشرَع: الأوتار الدقاق، الواحدة: شرعة.

(3) أشروا: أي بيعوا، وليس يريد أن تباع بثمن، ولكن يقول: طيبوا عنها أنفساً وتحولوا عنها.

ولا يدعْ بعضُكمْ بعضاً لنائبةٍ كما تركتمْ بأعلى بيشَةَ النَّخَعا

وعلى هذه الشاكلة تمضي القصيدة في التحذير والتخويف من سطوة كسرى، وما سيصيبهم من بلاء، وإن أهم ما يحرص عليه كسرى هو سبي نسائهم وإبادتهم، وسيبيد كل شيء، الضرع والزرع والحرث والنسل، ويرسم الشاعر لقومه طريق النجاة، بأن يولُّوا أمرهم رجلاً حازماً عاقلاً، يقودهم في الحرب، ويدفع عنهم بلاء الأعاجم:

فـلا تغـرنَّكـم دنيـا ولا طَمَـعُ لن تنعَشوا بزِماعِ ذلك الطَّمَعا
يا قومُ بيضَتُكم لا تُفْجَعَنَّ بها إنِّي أخافُ عليها الأزْلَمَ الجَذَعا[1]
يا قومُ لا تأمنوا إن كنتمُ غُيُراً على نسائكُمُ كِسرى وما جمعا
هو الجلاء الذي يجتثُّ أصلَكُمُ فمنْ رأى مثلَ ذا رأياً ومن سَمِعا
فقلِّـدوا أمـرَكـمْ للَّـهِ درُّكُـمُ رحْبَ الذراع بأمرِ الحَربِ مُضْطَلِعا
لا مشرفاً إنْ رخاء العيشِ ساعدَهُ ولا إذا عَـضَّ مكـروهٌ بـه خَشَـا
مُسَهَّـدَ النـومِ تعنيـهِ ثغـورُكُـمُ يرومُ منها إلى الأعداءِ مُطَّلَعا
ما انفكَ يحلبُ دَرَّ الذهرِ أشْطُرَهُ يكـونُ مُتَّبِعـاً طـوراً ومُتَّبعـا
وليـس يشغلُـهُ مـالٌ يُثَمِّـرُهُ عنكم ولا ولَدٌ يبغي لهُ الرِّفَعا
حتى استمرَّتْ على شَزْرٍ مَريرَتُهُ مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لا قَحْماً ولا ضَرَعا

ويختم رسالته التحذيرية الاستيقاظية، بأنه قد برَّأ ذمَّتَه وأنذر قومه:

لقد بذلتُ لكم نُصحي بلا دَخَلٍ فاستيقظوا إنَّ خيرَ العلمِ ما نفعَا
هذا كتابي إليكم والنذيرُ لكم لمَنْ رأى رائهُ منكم ومَنْ سَمِعا

وكان من أثر هذه القصيدة الفذة التي حذّر بها قومه ورسم لهم طريق النجاة، أن قبض عليه كسرى فقطع لسانه ثم قتله، كما تقدم.

أقول: كأني بهذه القصيدة قد وجهت إلى العرب أجمعين في هذا الزمان،

(1) بيضتكم: أصلكم. الأزلم الجذع: الدهر، لأنه لا يهرم أبداً، فهو جذع.

وإلى حكامهم خاصة، وإذا حذفنا اسم (كسرى) واستبدلنا به (العدو الإسرائيلي) ومن خلفه، فإن القصيدة خير رسالة تحذير وإنذار وتوجيه لهذه الأمة وأبنائها، المقطوعة ألسنتهم، المستباحة ديارهم، المنهوبة أموالهم، المذبوحة شعوبهم، المهانة حكامهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

سُحَيْم عبد بني الحسحاس

عُذِّب وأُحْرِق بالنار (40 هـ/ 660 م)

سحَيْم عبد حبشي، اشتراه بنو الحسحاس، فنُسِب إليهم، وبنو الحسحاس بطن من أسد، قيل إن اسمه حيَّة، ويكنى أبا عبد الله[1]، اشتراه عبد الله بن أبي ربيعة، وكتب إلى عثمان بن عفان: «إني قد ابتعت لك غلاماً شاعراً حبشياً»، فكتب إليه عثمان: «لا حاجة لي به فاردده، فإنما قصارى أهل العبد الشاعر، إن شبع أن يشبب بنسائهم، وإن جاع أن يهجوهم»، فرده عبد الله، واشتراه معبد، وقيل إن مولاه هو جندل بن معبد من بني الحسحاس بن نفاثة[2].

وسحيم شاعر من المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام، (ولا يعرف له صحبة)[3]، وقد أدرك النبي ﷺ، وأن النبي تمثل بشعره، فقال: «كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

فلما أعادها النبي ﷺ، قال أبو بكر: أشهد أنك لرسول الله، [وما علمنا الشعر وما ينبغي له]، وقيل: إن سحيماً أنشد هذه القصيدة التي منها البيت:

---

(1) الأغاني 5/20، الاشتقاق ص 225، وسحيم: تصغير أسحم، أي الأسود.

(2) الشعر والشعراء 1/369، الأغاني 22/307، الخزانة 2/104، ديوان سحيم ص 5، سمط اللآلىء ص 720 ـ 721.

(3) الخزانة 2/102.

عُميرةَ ودِّعْ إن تجهَّزْتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلام للمرءِ ناهيا

لعمر بن الخطاب، فقال له عمر: لو قلت شعرك كله مثل هذا، لأعطيتك[1]. ويقال إن عمر قال له: «لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك»[2]، وكذلك قيل: إن النبي ﷺ سمع قوله:

الحمدُ للَّهِ لا انقطاعَ له فليس إحسانه عنَّا بمقطوعِ

فقال: «أحسن وصدق، والله يشكر مثل هذا، ولئن سدد وقارب إنه لمن أهل الجنة»[3].

وسحيم من الشعراء المجيدين، جعله ابن سلام في فحول شعراء الجاهلية، ووضعه في الطبقة التاسعة، مع ضابىء بن الحرث، وسويد بن كراع، والحويدرة[4]، وشعره جيد لا يعيبه إلا عجمته، فهو لا يحسن نطق الحروف، لأنه يرتضخ لكنة حبشية، فهو يجعل الحاء هاء، والسين شيناً، وتاء الضمير كافاً[5]، وقال ابن جني حين استشهد ببيت سحيم:

فلو كنتُ ورداً لونه لعشقنني ولكن ربي شانني بسواديا

إنه كان ينشده بالسين[6].

وفي شعره وأخباره ما يدل على أنه كان ماجناً يتغزل بالنساء ويعابثهن، ولأنه عبد أسود فقد كان النساء يتجرأن على معابثته، ولا يجدن في ذلك حرجاً، فقد كان يجالس نسوة من بني صبير بن يربوع، ويتغزل بهن، وفي شعره ضروب

---

(1) ديوان سحيم ص 16، الأغاني 20/2 ـ 3 ط ساسي 22/307 ط دار الكتب العلمية، بيروت.
(2) الأغاني 22/308، الكامل للمبرد 1/372.
(3) الأغاني 20/2، خزانة الأدب 2/102 ـ 103.
(4) طبقات الشعراء 1/172.
(5) البيان والتبيين 3/71، الكامل 2/585.
(6) سر صناعة الإعراب 1/214.

من الغزل الماجن المكشوف، الذي يصور فيه إقبال النساء عليه، على خلاف ما هو معهود من أن المرأة تكون دائماً هي المتمنعة المتحرجة، وقد جعل نساء بني صبير يعابثنه بشق الثياب لإبداء المحاسن، في مثل قوله[1]:

كـأنَّ الصبيـريـات يـومَ لقينـا ظباءٌ حَنَتْ أعناقها في المكانسِ
وهنَّ بنات القوم: إنْ يشعروا بنا يكن في بنات القوم إحدى الدهارسِ
فكـم قـد شققنـا مـن رداء مُنَيَّرٍ ومن بُرقعٍ عن طفلة غير عانسِ
إذا شُقَّ بُردٌ شُقَّ بالبُردِ بُرقُعٌ دواليك حتى كلنا غيرُ لابسِ

ويبدو أنه كان معجباً بنفسه أيما إعجاب، فهو يروج في شعره بعض الأقاصيص حول صلته بالنساء وتعلقهن به، فهو يزعم أنهن يأخذن سواكه ويتنازعنه، ويعطينه عوضاً عنه خاتماً من ذهب للذكرى، فهو يقول:

تعاورنَ مسواكي وأبقينَ مُذْهَباً من الصوغِ في صُغرى بنان شماليا

ويكثر في شعره من تصوير المغامرات الغرامية، وأن المرأة على الرغم من خوفها وتحفظها، فهي تطيعه وتستجيب له، وهي تحذره مما يضمره أهلها له لو عرفوا سرهما[2]:

وماشيةٍ مَشْيَ القطاةِ اتبَعْتُها من السترِ تخشى أهلها أنْ تكلَّما
فقالت: صهٍ يا ويحَ غيرك إنني سمعتُ حديثاً بينهم يقطرُ الدَّما
فنفَّضْتُ ثوبيها ونظَّرتُ حولها ولم أخشَ هذا الليلَ أنْ يتصرَّمَّا
أعَفِّـي بـآثـارِ الثيـابِ مبيتَهـا وألقطُ رضَّاً من وقوفٍ تحطَّما[3]

وتظهر في شعره أسماء جملة من النساء، فمنهن: عميرة، وغالية، وهند، وميَّه، وأسماء، وسليمى، وأم عمرو، ولا شك أن مغامرات الشاعر هذه ـ وهو

(1) ديوانه ص 15 ـ 16، الأغاني 22/310.
(2) الأغاني 22/311.
(3) الوقوف: جمع وقف، وهو سوار من عاج أو خلخال من فضة.

العبد الأسود ـ لا يمكن أن تكون حقيقية متحققة، بل هي أحلام من أحلام اليقظة، وتخيلات وتمنيات، وهو في غزله هذا شهواني، يصور ثورة الجسد وعرامة الشهوة، دون حياء أو تحفظ، ومشاهد اللذة المتخيلة في شعره كثيرة، منها قوله[1]:

وبتنـا وسـادانـا إلـى عَلَجـانـةٍ ... وحِقْفٍ تهاداهُ الرياح تهادياً
تـوسـدنـي كفَّـاً وتَثني بمعصَـمٍ ... عليَّ وتحوي رجلَها من ورائيا
وهبَّت لنـا ريـحُ الشمـالِ بقـرَّةٍ ... ولا ثـوبَ إلا بـردهـا وردائيـا
فما زال بردي طيباً من ثيابها ... إلى الحولِ حتى أنهجَ البُردُ باليا
وأشهدُ عندَ اللّهِ أنْ قد رأيتُها ... وعشرينَ منها أصبعاً من ورائيا

ولا يمكن أن تكون هذه المغامرات حقيقية، بل هي أمانٍ متخيلة، بدليل أنه يحس بوضاعة حاله، وقُبح وجهه، ودمامة خلقه، وعبوديته، فقد كان سحيم أسودَ قبيح الوجه مُعَلَّطاً[2]، ويقر أنه شخص مزدرى في مجتمعه، وكذلك هو مزدرى من النساء خاصة، يقول[3]:

أشارت بمدراها وقالت لتربها ... أعبد بني الحسحاس يُزجي القوافيا
رأت قَتَبـاً رثّـاً وسُحْـقَ عبـاءةٍ ... وأسود مما يملك الناسُ عاريا
يُرَجِّلْنَ أقواماً ويتركنَ لمَّتي ... وذاكَ هوانٌ ظاهرٌ قد بدا ليا

وهو لا يخفي حسرته بأنه لم يخلق حراً أبيض، ولو كان كذلك لعشقته النساء[4]:

لو كنتُ ورداً لونه لعشقنني ... ولكـنَّ ربِّـي شـانني بسـواديـا

---

(1) الديوان ص 34.
(2) معلِّط: أي موسوم بالعلاط، والعلاط: خطوط تجعل سِمة في عنق البعير. الشعر والشعراء 1/408.
(3) ديوانه ص 25.
(4) الديوان ص 26.

فما ضرَّني أنْ كانت أمي وليدةً تصرُّ وتبري باللقاحِ التَّواديا

وهناك من يزعم أن علاقته الجنسية بالمرأة صحيحة، وبامرأة بذاتها، وكان تعلقه بها وشعره فيها سبباً في مقتله، ولذلك قصة، روى البغدادي: أن امرأة من بني الحسحاس أسرها بعض اليهود واستخصها لنفسه، وجعلها في حصن له، فبلغ ذلك سحيماً فأخذته الغيرة، فما زال يتحيَّل له حتى تسوَّر على اليهودي حصنه فقتله، وخلَّص المرأة فأوصلها إلى قومها، فلقيته يوماً فقالت له: يا سُحيم، والله لودِدتُ أني قدرت على مكافأتك على تخليصي من اليهودي، فقال لها: والله إنك لقادرة على ذلك - عرَّض لها بنفسها - فاستحيت وذهبت، ثم لقيته مرة أخرى، فعرَّض لها بذلك فأطاعته، فهويها وطفق يتغزل فيها، ففطنوا له فقتلوه خشية العار»[1].

وقيل: إن بني الحسحاس قبل أن يقتلوه، رفعوا أمره إلى الخليفة، فجُلد ثمانين جلدة، وسُجن، ثم رجع إلى بلاده[2]، وقد ذكر سحيم الجلد والسجن في شعره، قال يعاتب سيده[3]:

أيا معبد والله ما حلَّ حبُّها ثمانون سوطاً بل تزيد به وجدا

فإن تقتلوني تقتلوا ابن وليدة وإن تتركوني تتركوا أسداً وردا

ويقول في السجن والجلد:

وما السجن إلا ظل بيت سكنته وما الجلد إلا جلدة قارنت جلدا

وكان مشهد قتله عنيفاً مروعاً، مع صبره وعناده وتحديه، فهو لم يضعف، ولم يطلب الرحمة، قيل: إنهم لما أرادوا قتله، أوثقوه كتافاً، قرَّبوه من نار، وجعلوا يجمعون عيدان العرفج الرطبة، ويضربون استه بها، ويرتجزون عليه[4]:

(1) خزانة الأدب 2/90 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1998.

(2) الديوان ص 66، تزيين الأسواق ص 143.

(3) الديوان ص 66.

(4) الديوان ص 59.

أوجع عِجانَ العبد أو ينسى الغزلْ   بالعرفجِ الرطبِ إنْ الصوت انخزلْ

فلما مرت به التي اتهموه بها، وهو مقيد، أهوى لها بيده، فأكثروا من ضربه، فقال:

إن تقتلوني فقد أسخنتُ أعينَكُمْ   وقد أتيتُ حراماً ما تظنونا
وقد ضممتُ إلى الأحشاءِ جاريةً   عـذبٌ مُقَبَّلُهـا ممـا تصـونـونـا

ويروى أيضاً أنهم حينما غدوا به ليقتلوه، رأتهُ امرأة كان بينه وبينها مودة، ثم فسدت، ضحكت به شماتة، فنظر إليها وقال[1]:

فإن تضحكي مني فيا رُبَّ ليلةٍ   تركتُكِ فيها كالقَباءِ المُفرَّجِ

وحين يئس من الحياة، وصار يعاني سكرات الموت، أنشد، وفيه بقية من عناد وتحدٍ[2]:

شدوا وثاق العبد لا يفلتكمُ   إن الحياة من المماتِ قريبُ
فلقد تحدرُ من جبين فتاتكم   عرقٌ على ظهرِ الفراشِ وطيبُ

ويُروى في مقتله أيضاً أنهم سقوه الخمر، ثم عرضوا عليه نسوة، فلما مرت به التي كان يتهم بها، أهوى إليها، فقتلوه[3].

وفي رواية أنهم أحرقوه، (جمعوا له حطباً كثيراً، ثم جعلوه حظيرة ضخمة، ثم أوثقوه برجله ويده، وأدخلوه الحضيرة، وأرسلوا النار في الحطب، فسُمِع وهو يتفَقَّع)[4].

وكانت نهايته في حدود سنة أربعين من الهجرة، وقيل: بل قُتل في خلافة عثمان بن عفان، وكان عمره حوالي الأربعين عاماً[5].

(1) الديوان ص 59.
(2) أسماء المغتالين ص 272.
(3) الديوان ص 5 ـ 6، الشعر والشعراء 1/409، طبقات الشعراء 1/188.
(4) سمط اللآلىء 2/721، الخزانة 2/89.
(5) ديوان سحيم ص 59 ـ 60، أسماء المغتالين ص 272، تثقيف اللسان ص 276.

آمنة بنت الشريد

قتلوا زوجها وسجنوها، ووضعوا رأس زوجها في حجرها

(توفيت سنة 51 هـ)

امرأة من أهل الكوفة، زوجة عمرو بن الحَمِق الخزاعي، كانت فصيحة لسنة، أسلوبها ينم عن بيان قوي، له وقع في النفوس والآذان، امرأة قوية شجاعة رابطة الجأش، صابرة على البلاء، قاست من آلام المصائب ما يعجز عن تحمله أولو البأس، صبرت على المحنة فلم تجزع، ولم تضعف، محنة السجن الطويل، ومحنة قتل زوجها، وقد جابهت السلطان المتمثل بمعاوية بقوة وحزم وجرأة، فدعت عليه وعلى أولاده، وجابهت أهل المجلس ممن حضر بالسخرية، وهزأت بمن حرض على قتلها، فأفحمت معاوية ومجالسيه، واتقى معاوية لسانها القوي البليغ بأن نفاها عن الشام، خوفاً من جرأتها التي ستكشف ظلم الظالمين وتفسد عليه أهل الشام، فمن هي آمنة بنت الشريد؟.

امنة زوجة عمرو بن الحَمِق، أحد أشداء أهل الكوفة، وأبرز أعوان حجر بن عدي، وكان عمرو متهماً بطعن عثمان بن عفان يوم الدار بمشقص تسع طعنات، وحين أرسل معاوية المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة سنة إحدى وأربعين، أوصاه فيما أوصاه: «لا تترك شتم عليٍّ وذمِّه، والترحم على عثمان، والاستغفار له، والعيب لأصحاب عليٍّ، والإقصاء لهم، والإطراء بشيعة عثمان، والإدناء لهم»[1].

فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة، وهو أحسن شيء سيرة، غير أنه لا يدع شتم عليّ والوقوع فيه، والدعاء لعثمان، والاستغفار له، فإذا سمع ذلك حجر بن عدي قال: «بل إياكم ذمَّ الله ولعن»، وقد لام المغيرة أصحابه على ترك حُجْر بن عدي يتجرأ على سلطانه، فقال لهم: «إني قد قتلته، سيأتي من بعدي أمير يحسبه مثلي، فيصنع به ما ترونه يصنع بي، فيأخذه ويقتله، إني قد قرب

(1) الكامل لابن الأثير 3/326 حوادث سنة 51.

أجلي، ولا أحب أن أقتل خيار أهل هذا المصر، فيسعدون وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية، ويشقى في الآخرة المغيرة»[1].

ويُتوفى المغيرة، ويُولَّى زياد بن أبيه على الكوفة، ويبالغ زياد في لعن علي وأصحابه، ويعترض حُجر بن عدي، ويفعل ما كان يفعله زمن المغيرة، ولكن زياداً يأمر بالقبض على حجر بن عدي وأصحابه، ويُرسَل حجر مكبلاً إلى معاوية، فيقتله معاوية صبراً.

وكان عمرو بن الحمق من جملة المدافعين عن حجر بن عدي حين أراد جند زياد أخذه، ويضرب رجل من الحمراء رأس عمرو بن الحمق بعمود، فيقع عمرو، ويحمله أصحابه إلى الأزد، فاختفى عندهم حتى خرج، ويُلاحَق أصحاب حجر بعد مقتله، ويهرب عمرو بن الحمق إلى الموصل، ومعه رفاعة بن شداد، فيختفي الرجلان في جبل هناك، ويُرفع خبرهما إلى عامل الموصل، وهو عبد الرحمان بن عثمان الثقفي، الذي يعرف بابن أم الحكم، وهو ابن أخت معاوية، ويؤخذ عمرو بن الحمق وصاحبه، ويكتب ابن أم الحكم إلى معاوية، فيقول له معاوية: «إن عمراً هذا كان قد طعن عثمان بن عفان تسع طعنات بمشاقص معه، فاطعنه كما طعن عثمان، وارسل لي رأسه»، فأخرج عمرو بن الحمق، وطُعن فمات في الطعنة الأولى أو الثانية، وأرسل رأسه إلى معاوية، وكان رأس عمرو بن الحمق أول رأس حُمل في الإسلام.

وكان معاوية حين علم بهرب عمرو بن الحمق من الكوفة، أخذ امرأته آمنة بنت الشريد، فحبسها، فبقيت في السجن سنتين، حتى إذا قُتِل زوجها وجِيء برأسه، أمر معاوية أنْ يُلقى رأسَه في حجر زوجته آمنة، وأمر الحرسي أن يسمع ويحفظ ما تقول، ففعل، فارتاعت ساعة، ثم وضعت يدها على رأسها، وقالت: «واحزناً لصغره في دار هوان، نفيتموه عني طويلاً، وأهديتموه إليَّ قتيلاً، فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية، وأنا له اليوم غير ناسية، ارجع به أيها الرسول إلى

(1) الكامل 3/327.

معاوية، فقل له: أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر لك ذنبك»[1].

وأخبر معاوية بما قالت، فأرسل إليها فأتته، وعنده نفر فيهم (إياس بن حسل)، وكان في شدقيه نتوء عن فمه، فقال لها معاوية: «أأنتِ يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني؟»، قالت: نعم، غير نازعة عنه، ولا معتذرة منه، ولا منكرة له، فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء إن نفع الاجتهاد، وإن الحق لمن وراء العباد، وما بلغت شيئاً من جزائك، وإن الله بالنقمة من ورائك»، فأعرض عنها معاوية، فقال إياس: «اقتل هذه يا أمير المؤمنين، فوالله ما كان زوجها أحق بالقتل منها»، فالتفتت إليه، فلما رأته ناتىء الشدقين، ثقيل اللسان، قالت: «تباً لك وبلك، بين لحييك كجثمان الضفدع، ثم أنت تدعوه إلى قتلي، كما قُتل زوجي بالأمس، إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض، وما تريد أن تكون من المصلحين» فضحك معاوية، ثم قال: «لله درك، اخرجي، ثم لا أسمع بك في شيء من الشام»، قالت: «وأبي لأخرجنَّ، ثم لا تسمع لي في شيء من الشام، فما الشام لي بحبيب، ولا أعوج فيها على حميم، وما هي لي بوطن، ولا أخرج فيها إلى سكن، لقد عظم فيها ديني، وما قرّت فيها عيني، وما أنا فيها إليك بعائدة، ولا حيث كنتَ بحامدة»، فأشار إليها ببنانه: اخرجي، فخرجت وهي تقول: «واعجبي لمعاوية، يكفُّ عني لسانه، ويشير إليَّ الخروج ببنانه، أما والله، ليعارضنه عمرو[2] بكلام مؤيد سدسد، أوجع من نوافذ الحديد، أو ما أنا بابنة الشريد. . .»، ثم التفت معاوية إلى عبيد بن أوس فقال: «ابعث لها ما تقطع به عنا لسانها، وتقضي به ما ذكرت من دينها، وتخف به إلى بلادها»، ففعل، وخرجت تريد الجزيرة، فمرت بحمص فقتلها الطاعون، وكان ذلك سنة 50 هـ[3].

---

(1) بلاغات النساء ـ أحمد بن طيفور ص 87، ط النهضة الحديثة، بيروت 1972 م، الفرج بعد الشدة 3/364.

(2) عمرو: تريد عمرو بن الحمق، زوجها.

(3) بلاغات النساء 87/88.

هُدبَة بن الخَشْرَم العُذري

سجن طويلاً وقُتل صبراً (سنة 57 هـ)

هدبة بن الخشرم أول شاعر في تاريخ الأدب العربي يصور حياة السجن بتفصيل وتدقيق، فإذا كانت معلوماتنا عن السجن وحياة السجناء في العصورالقديمة غامضة ومشوشة، فإن هدبة يقدم وصفاً واضحاً ودقيقاً، فالسجين يعيش أيامه ولياليه الطويلة الحزينة، وسط غرفة ضيقة رطبة مظلمة، في بناء كبير محكم، فيه حديد مرصوص بالشَّيْد والجندل، وله شرفات عالية للحراسة، ومرَاقب كثيرة، مَرْقب فوق مرقب، والباب ضخمة صفيقة محكمة، مضبَّبة بسيور من حديد، ووقع أقدام الحارس الرتيبة تأتيه من خلف الباب، وبين آونة وأخرى يطل عليه الحارس الغليظ الجلف، من كوة صغيرة في أعلى الباب، يلقي نظرة، أو يقذف لفظة، ليس هناك لون، إلا لون الجدران الداكنة القذرة الكئيبة، يتعاقب عليها لونان؛ لون النور الضئيل في النهار، ولون الظلمة القاتمة في الليل وأطراف النهار، وليس هناك صوت غير أنفاسه، وحسرات صاحبه، ووقع أقدام الشرطي، أو صرير الباب حين يفتح لحاجة أو طعام، فإذا تحرك السجين قعقع الحديد في ساقيه أو معصميه.

وفي شعر هدبة[1] تصوير صادق فريد لحالة الإنسان الذي يترقب الموت، ويتوقع نزوله بين ساعة وأخرى، وهو يعيش في سجنه، تتنازعه حالتان؛ الأولى: رهبة الموت والخوف منه، وتخيل حياة القبر وما بعد الموت. والثانية: اصطناع التصبر والتماسك، والظهور بمظهر الشجاع الجلد الصبور،

---

(1) انظر شعر هدبة بن الخشرم العذري ـ دراسة وتحقيق يحيى الجبوري، ط 2 دار القلم، الكويت 1986 م.

الذي يرضى بقضاء الله وقدره، غير خائف ولا جزع، اتقاء لشماتة الأعداء، والحالة الثانية هذه مصطنعة مجتلبة، سرعان ما تتلاشى أمام صورة الموت وتوقع المصير.

وهدبة بن الخشرم بن كُرْز بن أبي حية العذري(1)، شاعر إسلامي فصيح، لم يُحفَظ إلا جزء يسير من شعره، وذلك لأنه قُتل شاباً، والشعر الذي وصلنا أكثره قيل في السجن، وعند سوقه ليقتل صبراً، أي يُعدم.

وهدبة من أسرة شاعرة، فأمه حيَّة بنت أبي بكر بن أبي حية شاعرة، وقد سماها التبريزي ريحانة(2)، وأخوته: حَوْط وسَيْحان والواسع كلهم شاعر، وأختاه شاعرتان أيضاً، وهما سلمى، تزوجها زيادة بن زيد الذبياني الذي قتله هدبة، والثانية فاطمة التي تغزل بها زيادة، وكانت سبب القتال بين الحيين.

ولهدبة زوجة واحدة من قبيلة قضاعة، كانت من أجمل نساء زمانها شكلاً وقواماً، وقد شُهرت بالوفاء له والجزع عليه، فقد جدعت أنفها وقطعت شفتيها عند قتله، لئلا تحدثها نفسها بالزواج بعده، وله منها ولدان، وكان هدبة يحبها ويتشوق إليها وهو في سجنه، ويتغزل بها ويشكو إليها وجده وفراقه، ويكنيها بأم مالك مرة وأم بوزع مرة أخرى(3).

تبدأ المصادر بالتحدث عن هدبة وشعره من قصة الخلاف والمهاجاة، وتتفق الروايات في هذه القصة الحزينة، كان أول ما أثار الخصومة بين هدبة وابن عمه زيادة، المراهنة التي جرت بين حَوْط بن خشرم أخي هدبة، وبين زيادة بن زيد، وجرَّت هذه المراهنة الحرب بين القبيلين، بني عبد الله بن ذبيان، رهط هدبة، وبين بني رقاش رهط زيادة، ذكر أبو الفرج في هذه الحادثة

---

(1) معنى هدبة: اسم طائر، ويقال: هدب واحدة الهدب، وهي للثوب وللأرطي، والخشرم: جماعة النحل وأميرها.

(2) شرح الحماسة 2/14.

(3) أسماء المغتالين ص 259، محاضرات الأدباء 1/287.

فقال[1]: «إن حوط بن خشرم أخا هدبة راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما، وكان مطلقهما من الغاية، على يوم وليلة، وذلك في القيظ، فتزودوا الماء في الروايا والقِرَب، وكانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت ابن زيد، فمالت مع أخيها على زوجها، فوهنت أوعية زيادة، ففني ماؤه قبل ماء صاحبه، فكان ذلك أول ما أثبت الضغائن بينهما».

ثم إن هدبة وزيادة اصطحبا وهما مقبلان من الشام في ركب من قومهما، فكانا يتعاقبان في السوق بالإبل، وكان مع هدبة أخته فاطمة، فنزل زيادة فارتجز[2]:

عوجي علينا واربعي يا فاطما ما دون أنْ يُرى البعيرُ قائما
ألا تَرَيْنَ الدمع مني ساجما حِـذارَ دارٍ منـكِ لـن تُـلائمـا

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته، فنزل فرجز بأخت زيادة، وكانت تدعى أم حازم أو أم قاسم، فقال هدبة:

لقـد أرانـي والغـلام الحـازمـا نُزجي المَطيَّ ضُمَّراً سواهما
متـى تظـن القُلُـصَ الـرواسمـا والجِلَّـةَ النـاجيـة العـواهمـا
يبلغـنَ أمَّ قـاسـمٍ وقـاسمـا

إلى آخر الأرجوزة التي أفحش فيها، مثلما أفحش زيادة في رجزه، فشتمه زيادة، وشتمه هدبة، وتسابا طويلاً فصاح بهما القوم: «اركبا لا حملكما الله، فإنَّا قوم حجاج»، وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه، وهدبة أشدهما حنقاً، لأنه رأى أن زيادة قد ضامه، إذ رجز بأخته وهي تسمع قوله، ورجز هو بأخت زيادة وهي غائبة لا تسمع قوله، فأمسكا حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشائرهما[3].

---

(1) الأغاني 21/278، وشرح التبريزي 2/13، وتزيين الأسواق ص 185 ـ 186.
(2) شعر هدبة ص 9، أسماء المغتالين ص 256، الأغاني 21/28.
(3) الأغاني 21/281 ـ 282، شرح التبريزي 2/14.

أما هدبة وزيادة فقد مضيا يتهاجيان ويتهاديان الأشعار ويتفاخران، ولم يقف الأمر عند التفاخر والهجاء، بل تفاقم الشر بينهما، فأدى إلى إشهار السيوف، فقد عزم زيادة على ضرب هدبة، ثم التقى هدبة وزيادة، فضربه هدبة فأطنَّ عضلة رجله، فاعتمد على الرمح وجعل يذبب بسيفه عن نفسه، حتى غشيه هدبة وصرعه، وزعموا أن زيادة جدع أنف هدبة في تذبيبه عن نفسه، وضربه القوم حتى ظنوا أنهم أجهزوا عليه.

وانصرف هدبة وأصحابه، ولا يعلم هدبة أنه جُدِع، فلما هبت الريح أصابت أنفه، فلمسه فإذا هو أجدع، فقال: «يا بني عامر، جُدِعت»، ورجع إلى زيادة، فوجده صريعاً بين النساء يبكين عليه، فضرب عاتقه بالسيف حتى خرجت الرئة من بين كتفيه، فانصرف إلى أهله، وشبت الحرب بين الحيين.

وتنحى هدبة مخافة السلطان، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص، فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم، فلما علم هدبة بذلك أقبل حت أمكن من نفسه، وتخلص عمه وأهله، ولم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمان بن زيد، أخو زيادة، إلى معاوية، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد منه إذا قامت البيِّنة، فأقامها، فمشت عذرة إلى عبد الرحمان، فسألوه قبول الدية، فامتنع.

ويقال: إن سعيد بن العاص كره الحكم بينهما، فحملهما إلى معاوية فلما صارا بين يدي معاوية قال عبد الرحمان: «يا أمير المؤمنين، أشكو إليك مظلمتي، وقتل أخي، وترويع نسوتي»، فقال معاوية: «يا هدبة، قل»، فقال: «إن هذا الرجل سجَّاعة، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت»، قال: «لا بل شعراً»، فقال هدبة مرتجلاً[1]:

ألا يا لقومي للنوائب والدهرِ	وللمرءِ يُردي نفسهُ وهو لا يدري
رُمينا فرامينا فصادفَ رَمْيُنا	منايا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ
وأنتَ أميرُ المؤمنينَ فما لنا	وراءَكَ من معدى ولا عنكَ من قَصْرِ

(1) الكامل 3/1247، الأغاني 21/287.

فإنْ تكُ في أموالنا لا نَضِقْ بها ذِراعاً وإنْ صَبْرٌ فنصبرُ للصَّبْرِ

فقال معاوية: «أراك قد أقررت بقتل صاحبهم»، ثم قال لعبد الرحمان: «هل لزيادة ولد؟» قال: نعم، المِسْوَر، وهو غُلام لم يبلغ، وأنا عمُّه وولي دم أبيه، فقال: «أنت لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق، والمسور أحق بدم أبيه»، فرده إلى المدينة، فمكث في السجن ثلاث سنين (وقيل: ستاً، وقيل: سبعاً).

فلما جيء بهدبة إلى سجن المدينة، قالت أمه تخاطب أهل المدينة: [1]

يا أخوتي أهلَ المدينةِ أكرموا أسيرَكُمُ إنَّ الأسيرَ كريمُ
فرُبَّ كريمٍ قد قراهُ وضافَهُ ورُبَّ أمورٍ كلهنَّ عظيمُ

وأرسل هدبة في أول سنة من سجنه إلى عبد الرحمان أخي زيادة، فكلموه وعرضوا عليه الدية، فامتنع، وقال في ذلك شعراً يبين فيه رغبته في قتل هدبة، ومكث هدبة في السجن ما شاء الله أن يمكث، حتى أدرك المسورُ، وجعل عمُّه عبد الرحمان بن زيد يقدم المدينة فيكلمه القرشيون وغيرهم، وكان أهل المدينة قد رقُّوا لهدبة لوفائه وشعره، وأنه أول مصبور رأوه في المدينة بعد زمن النبي ﷺ، وأضعفوا لعبد الرحمان والمسور الدية، حتى بلغت عشر ديات، وكان ممن عرض عليه الديات؛ الحسين بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وسعيد بن العاص، وعمرو بن عثمان بن عفان، ومروان بن الحكم، وسائر القوم من قريش، فأبى إلا القَوَد، وكان عبد الرحمان يقول لهم: «لو أردت قبول الدية لمنعني قوله: [2]

لنَجدَعَنَّ بأيدينا أنوفَكمُ ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هَدَرا

وبقي هدبة في سجنه ينتظر الموت.

---

(1) الأغاني 21/288.

(2) الأغاني 21/294، تزيين الأسواق ص 187.

وذهب عبد الرحمان بن زيد بالمسور بن زيادة - وقد بلغ - إلى والي المدينة، وهو سعيد بن العاص، وقيل مروان بن الحكم، فأخرج هدبة.

وكان في الليلة التي قُتل في صباحها هدبة، قد أرسل إلى زوجته، وكان يحبها: ايتيني الليلة أستمتع بك وأودعك، فأتته في اللباس والطيب، فصارت إلى رجل قد طال حبسه، وأنتنت في الحديد رائحته، فحادثها وبكى وبكت، ثم راودها عن نفسها فطاوعته، فلما علاها سمعت قعقعة الحديد، فاضطربت تحته، فتنحى عنها، وأنشأ يقول[1]:

وأدنيتني حتى إذا ما جعلتني ... لدى الخَصْرِ أو أدنى أستقلُّكِ راجفُ
فإن شئتِ واللَّهِ انتهيتُ وإنني ... لأنْ لا تريني آخِرَ الدهرِ خائفُ
رأتْ ساعدَي غُولٍ وتحتَ ثيابهِ ... جآجئُ يدْمَى حدُّها والحراقِفُ

وقبل سوقه إلى القتل أرسل إليه وجوهُ قريش من أصدقائه كَفَناً وحَنوطاً، وفي اليوم الذي سبق فيه هدبة من السجن، أرسل إليه سعيد بن العاص بلوزينة وخبزة، فلما انصرف من الصلاة، دفعه أولياؤه إلى زيادة، فخرجوا يسوقونه.

وكان أبواه وامرأته يمشون على أثره، فنادته امرأته: يا هدبة، يا هدبة، فالتفت، فقطعت قَرْناً من قرون شعرها، ثم نادته ثانية، فالتفت فقطعت قرناً، فناشدوه الله أن لا يلتفت إليها، وجعل الناس يتعرضون له ويخبرون صبره ويستنشدونه، فقد أدركه عبد الرحمان بن حسان، فاستنشده الشعر، فأنشده، ثم قال له: يا هدبة، أتأمرني أن أتزوج هذه بعدك، يعني زوجته، وهي تمشي خلفه وتولول كأنها ظبي عطشان، فقال: نعم، إن كنت من شَرْطها، قال: وما شرطها؟ قال: قد قلت في ذلك[2]:

أقلي عليَّ اللومَ يا أمَّ بوزعا ... ولا تجزعي مما أصابَ فأوجعا
ولا تنكِحي إنْ فرَّقَ الدهرُ بيننا ... أغَمَّ القَفا والوجْهِ ليس بأنزعا

(1) الأغاني 21/289 ـ 290، تزيين الأسواق ص 186، أسماء المغتالين ص 259.
(2) شعر هدبة ص 113 ـ 114، الأغاني 21/291 ـ 292.

وكوني حبيساً أو لأروعَ ماجدٍ إذا ضَنَّ أعشاشُ الرجالِ تبرَّعا

أما زوجه الوفية الحبيبة، فقد استأذنت مروان بن الحكم، وقالت له: إنَّ لهدبة عندي وديعة فأمهله حتى آتيه بها، قال: أسرعي، فإنَّ الناس قد كثروا، وكان جلس لهم بارزاً عن داره، فمضت إلى السوق، فانتهت إلى قصاب قالت: أعطني شَفْرتَك، وخذ هذين الدرهمين، وأنا أردها عليك، ففعل، فقربت من حائط، وأرسلت ملحفتها على وجهها، ثم جدعت أنفها من أصله، وقطعت شفتيها، ثم ردت الشَّفْرة، وأقبلت حتى دخلت بين الناس، قالت: يا هدبة، أتراني متزوجة بعدما ترى؟ قال: لا، الآن طابت نفسي بعدُ بالموت(1).

ثم خرج يرسف في قيوده، فإذا هو بأبويه يتوقعان الثكل، فهما بسوء حال، فأقبل عليهما وقال:

أبليانـي اليـومَ صبـراً منكمـا إنَّ حزنـاً إنْ بـدا بـادىء شرْ

لا أرانـي اليـومَ إلا ميّتـاً إنَّ بعـدَ المـوتِ دارَ المستقـرْ

اصبـرا اليـومَ فـإنـي صـابـرٌ كـلُّ حَـيٍّ لقضـاءٍ وقَـدَرْ

فدُفِع إلى أخي زيادة ليقتله، فاستأذن هدبة في أن يصلي ركعتين، فأذن له، فصلاهما وخفَّف، ثم التفت إلى من حضر فقال: لولا أنْ يُظَنَّ بي الجزع لأطلتهما، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما.

وقال هدبة قبل أن يقتل(2):

إنْ تقتلوني في الحديد فانَّني قتلتُ أخاكم مطلقاً لم يُقَيَّدِ

فقال عبد الرحمان بن زيد: والله لا قتله إلا مطلقاً من وثاقه، فأطلق، فقام إليه وهز السيف، ثم قال:

قد علمت نفسي وأنتَ تعلمُهْ لأقتلـنَّ اليـومَ مـن لا أرحمـهْ

---

(1) أسماء المغتالين ص 262، المحبر ص 397.

(2) أسماء المغتالين ص 262، الشعر والشعراء 2/294.

ثم قتله.

وفي رواية أن الذي قتله هو المسور بن زيادة، دفع إليه عمه عبد الرحمان السيف، وقال له: قم فاقتل قاتل أبيك، فقام فضربه ضربتين قتله فيهما، ويقال إن هدبة قال للمسور: «أثبت قدميك، وأجِد الضربة، فإني أيتمتك صغيراً، وأرملت أمك شابة»[1].

وكان مقتله في حَرَّة المدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة، وهو شاب، ويقال: إن هدبة أول من أقيد منه في الإسلام[2].

* * *

عُبَيد الله بن الحُر الجُعَفي

سُجن مرات، وقُتِل جريحاً غريقاً، وحُز رأسه (سنة 68 هـ)

من بني سعد العشيرة من مذحج، ولد ونشأ في الكوفة كان فارساً شجاعاً فاتكاً شهماً كريماً، له نفس أبية حرة (لا يعطي للأمراء طاعة) ولذلك سماه من ترجم له لصاً فاتكا، وما كان لصاً، ولكنه كان فارساً حراً، يأبى الضيم، ويعتز بفرديته، ويصون كرامته، ولأجل ذلك ركب المخاطر، وذاق السجن والعذاب، وخاض المعارك، حتى لقي حتفه قتيلاً غريقاً.

كان في شبابه من فرسان قومه المعدودين، وأفضلهم صلاحاً وصلاة واجتهاداً، كان عفيفاً يجتنب الفواحش، شارك في الفتوح الإسلامية، وشهد القادسية مع خاليه زهير ومرثد ابني قيس بن مشجعة[3]، كان من شيعة عثمان، ولذلك انحاز إلى معاوية بن أبي سفيان، وقاتل معه في وقعة صفين، كان معاوية

---

(1) الكامل 3/1249، تزيين الأسواق ص 187.
(2) الأغاني ٢١/ ٢٩٥، السمط 1/249.
(3) الخزانة 1/297.

يكرمه ولكنه ارتاب في الجماعة التي اتخذها عبيد الله بطانة وهم من الفرسان وهو قائدهم، وكلَّمه معاوية في ذلك قائلاً: «يا ابن الحر، ما هذه الجماعة التي بلغني ببابك؟ قال: إنها بطانتي، أقيهم، وأتقي بهم إنْ ناب جَورُ أمير، فقال معاوية: لعلك يا ابن الحر تطلعت نفسك نحو بلادك، ونحو علي بن أبي طالب؟ قال عبيد الله: إن زعمت أن نفسي تطلع إلى بلادي، وإلى علي بن أبي طالب، إني لجدير بذلك، وإنه لقبيح بي الإقامة معك وتركي بلادي، فأما ما ذكرت من عليٍّ، فإنك تعلم أنك على الباطل، فقال له عمرو بن العاص: كذبت يا ابن الحر وأثمت، فقال له عبيد الله: بل أنت أكذب مني، ثم خرج مغضباً»[1].

وهذا الحوار يدل على جرأة عبيد الله واعتزازه برأيه، وعدم الخضوع لذي سلطان، وفي سيرته تحقيق لمقولة القدماء فيه (لا يعطي للأمراء طاعة)، وحين كان ابن الحر بالشام، كانت زوجته بالكوفة، فلما طالت غيبته زوَّجها أخوها رجلاً يقال له عكرمة بن الخبيص، وبلغ ذلك عبيد الله، فأقبل من الشام قبل مقتل علي، فخاصم عكرمة إلى علي بن أبي طالب، فقال له علي: «ظاهرت علينا عدونا فغللت، فقال له: أيمنعني ذلك من عدلك؟ قال: لا، فقص عليه قصته، فرد عليه امرأته، وكانت حبلى، فوضعها عند من يثق إليه، حتى وضعت، فألحق الولد بعكرمة، ودفع المرأة إلى عبيد الله، وعاد إلى الشام، فأقام بها حتى قُتل علي، فلما قتل أتى الكوفة[2].

وحين سار عبيد الله قاصداً الكوفة، كان معه خمسون فارساً من الفرسان الأشداء، حتى إذا بلغ مسالح معاوية منعوه من السير، فشد عليهم، وقتل منهم نفراً، وهرب الباقون، فأخذ دوابهم وما احتاج إليه، وكان وهو في طريقه إلى الكوفة، يغير على القرى الشامية التي يمر بها، غير عابىء بسطوة السلطان.

---

(1) الخزانة 2/138 ط بيروت 1998.

(2) الكامل 4/78 ـ 79.

وكانت الكوفة تضطرب بالأحداث، من ذلك أن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، الذي أرسله الحسين بن علي، قبل مسيره، قد قتل وشُرِّد أصحابه، قتله عبيد الله بن زياد، وعلم ابن الحر بمسير الحسين من الحجاز إلى الكوفة، وكان ابن الحر متحرجاً من دم الحسين ومن معه من أهل بيته، فخرج من الكوفة وأتى قصر بني مقاتل وعسكر هناك، ومعه خيل مضمرة وناس من أصحابه، فلما قدم الحسين قصر بني مقاتل ونزل، رأى فسطاطاً مضروباً، فسأل عن هذا الفسطاط، فقيل له: إنه لعبيد الله بن الحر الجعفي، وكان مع الحسين رجلان جعفيان، هما الحجاج بن مسروق وزيد بن معقل، فبعث الحسين الحجاج بن مسروق ليدعوه إليه، فقال له ابن الحر: «أبلغ الحسين أنه إنما دعاني إلى الخروج من الكوفة حين بلغني أنك تريدها، فرارٌ من دمك ودم أهل بيتك، ولئلا أعين عليك، وقلت: إن قاتلته كان عليَّ كبيراً، وعند الله عظيماً، وإن قاتلت معه ولم أُقتل بين يديه كنت قد ضيَّعت قتله، وأنا رجل أحمى أنفاً من أن أمَكِّن عدوي فيقتلني ضيعة، والحسين ليس له ناصر بالكوفة، ولا شيعة يقاتل بهم»[1].

فأبلغ الحجاجُ الحسينَ بما قال ابن الحر، فعظم عليه ذلك، ثم أقبل الحسين حتى دخل على ابن الحر الفسطاط، فأوسع له عن صدر مجلسه، وقام إليه حتى أجلسه، فقال الحسين: ما يمنعك أن تخرج معي؟ قال: لو كنت كائناً مع أحد الفريقين لكنت معك، ولكن هذه خيل لي معدة، وأدلاء من أصحابي، وهذه فرسي المحلقة فاركبها، فوالله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا أدركته، ولا طلبني أحد إلا فته، فاركبها حتى تلحق بمأمنك، وأنا لك بالعيالات حتى أؤديهم إليك، أو أموت أنا وأصحابي عن آخرهم، وأنا ـ كما تعلم ـ إذا دخلت في أمر لم يضمني فيه أحد. ولم يرض الحسين بكلام ابن الحر، وقال: إني سأنصح لك كما نصحت لي، إن استطعت ألا تسمع صراخنا، ولا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد لا ينصرنا إلا أكبَّه الله في نار جهنم»[2].

---

(1) الطبري 5/407، الكامل ـ ابن الأثير 3/410.

(2) الخزانة 2/140.

وخرج عبيد الله حتى أتى منزله على شاطىء الفرات، وخرج الحسين فأصيب بكربلاء ومن معه، وندم ابن الحر على عدم نصرته الحسين وبكى عليه، ثم دخل الكوفة، وكان عبيد الله بن زياد يتفقد الأشراف من أهل الكوفة، فلم يرَ عبيد الله بن الحر، فلما جاءه بعد أيام سأله ابن زياد وجرى بينهما الحوار الآتي: أين كنت يا ابن الحر؟ قال: كنت مريضاً، قال: مريض القلب أو مريض البدن؟ قال: أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد منَّ الله عليَّ بالعافية، فقال ابن زياد: كذبت ولكنك كنت مع عدونا، فقال: لو كنت مع عدوك لرُئي مكاني، وما كان مثل مكاني يخفى، وغفل عنه ابن زياد، فخرج فركب فرسه، ثم طلبه ابن زياد فقالوا: ركب الساعة، فأجرى الشرطة خلفه، فلما بلغوه قالوا: أجب الأمير، فقال: أبلغوه عني أني لا آتيه طائعاً أبداً، ثم أجرى فرسه ففاتهم، فاجتمع إليه أصحابه ثم خرج حتى أتى كربلاء، فنظر إلى مصارع الحسين ومن قُتل معه، فاستغفر لهم هو وأصحابه، ثم مضى حتى نزل المدائن، وقال في ذلك[1]:

يقـولُ أميـرٌ غـادرٌ حـقّ غـادرٍ ... ألا كنتَ قاتلتَ الشهيدَ ابنَ فاطمهْ

فيـا نـدمـي ألا أكـونَ نصـرتُـهُ ... ألا كـلُّ نفسٍ لا تُسَـدَّدُ نـادمـهْ

وإنِّي لأنِّي لم أكنْ من حُماتِهِ ... لذو حسرةٍ ما إنْ تفارقُ لازمة

سقى اللَّهُ أرواحَ الذين تأزَّروا ... على نصرهِ سُقْياً من الغيث دائمهْ

وقفتُ على أجداثهم ومجالِهِمْ ... فكادَ الحشا ينفضُّ والعينُ ساجمهْ

وأقام ابن الحر بمنزله على شاطىء الفرات إلى أن مات يزيد ووقعت الفتنة، فجمع ابن الحر أعوانه، ثم خرج إلى المدائن فلم يدع مالاً قدم به للسلطان إلا أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه، ويكتب لصاحب المال بذلك، ثم جعل يتقصَّى الكور على مثل ذلك، إلا أنه لم يتعرض لمال أحد ولا ذمة، فلم يزل كذلك حتى ظهر المختار الثقفي، وسمع ما يصنع في السواد، فأخذ المختار امرأة ابن الحر فحبسها، فأقبل ابن الحر إلى الكوفة، فكسر باب السجن،

(1) الطبري 5/470، خزانة الأدب /140 ـ 141.

وأخرجها وأخرج كل امرأة فيه، وقال في ذلك[1]:

ألم تعلمي يا أمَّ توبة أنَّني ... أنا الفارسُ الحامي حقيقةَ مَذْحِجِ
وأنّي صبحتُ السجنَ في رونق الضحى ... بكلِّ فتىً حامي الذِّمارِ مُدَجَّجِ
وما إنْ بَرِحْنا السجنَ حتى بدا لنا ... جَبينٌ كقَرنِ الشمسِ غيرُ مشَنَّجِ
وخدٌّ أسيلٌ من فتاةٍ حَيِيَّةٍ ... إلينا سقاها كلُّ مُزْنٍ مُثَجَّجِ
فما العيشُ إلا أنْ أزورَكِ آمِناً ... كعادتِنا من قبلِ حربي ومُخرَجي
وما أنتِ إلا مُنْيَةُ النفسِ والهوى ... عليكِ السلامُ من خليطٍ مُسَحَّجِ

من قصيدة طويلة، وقيل: إن ابن الحركان قد أقبل في ثلاث مئة من أصحابه إلى الأنبار، فأغار عليها، وأخذ ما في بيت مالها، فلما فعل ذلك أمر المختار بهدم داره، وأخذ امرأته فسجنها، كما تقدم.

وقد شارك ابن الحر في قتال المختار مع مصعب بن الزبير، واستمر كذلك حتى قُتل المختار. فلما قُتل المختار، كان الناس يخشون ابن الحر أن يثب على السواد، كما كان يفعل زمن المختار، وخاطب الناس مصعب بن الزبير في ولايته الثانية، قائلين: «إنَّ ابن الحر شاقَّ ابن زياد والمختار، ولا نأمنه أن يثب بالسواد، كما كان يفعل»، فحبسه مصعب بن الزبير، فقال ابن الحر في سجنه يصف حاله وكثرة القيود في ساقيه[2]:

من مبلغُ الفتيانَ أنَّ أخاهمُ ... أتى دونَهُ بابٌ شديدٌ وحاجِبُهْ
بمنزلة ما كان يرضى بمثلها ... إذا قامَ عَنَّتْهُ كبولٌ تجاوبُه
على الساقِ فوقَ الكعبِ أسودُ صامتٌ ... شديدٌ يُداني خطوَهُ ويُقارِبُهْ
وما كان ذا من عُظْمِ جُرْمٍ جنيتُهُ ... ولكنْ سعى الساعي بما هو كاذبُهْ
وقد كان في الأرضِ العريضةِ مسلكٌ ... وأيُّ امرىءٍ ضاقت عليهِ مذاهِبُه
وفي الدهر والأيام للمرءِ عِبْرةٌ ... وفيما مضى إنْ نابَ يوماً نوائبُهْ

---

(1) الطبري 6/129، ابن الأثير 4/80.

(2) الطبري 6/130 ـ 131، ابن الأثير 4/81، أنساب الأشراف 5/295.

ويعجب ابن الحر من فعلة مصعب، بعد أن نصره وأبلى البلاء الحسن في قتال المختار وجنده، فكان جزاؤه السجن والقيود وكثرة الحراس، مع أنه لم ينكث بيعته، ولم يحدث أمراً يستحق عليه السجن.

وكلّم ابن الحر قوماً من وجوه مذحج ليشفعوا له عند مصعب، وأرسل إلى فتيان مذحج يقول: البسوا السلاح واستروه، فإن شفعهم مصعب فلا تعترضوا لأحد، وإن خرجوا ولم يشفعهم فاقصدوا السجن، فإني سأعينكم من داخل، فلما شفع أولئك النفر فيه، وأطلق ابن الحر، أتى منزله، وأتاه الناس يهنئونه، فقال لهم[1]: «إن هذ الأمر لا يصلح إلا بمثل الخلفاء الماضين الأربعة، وما نرى لهم فينا ندّاً ولا شبيهاً فنلقي إليه أزمتنا، ونمحضه نصيحتنا، فإن كان إنما هو (مَنْ عزَّ بزَّ)، فعلامَ نعقد لهم في أعناقنا بيعة، وليسوا بأشجع منا لقاء، ولا أعظم منا لقادً، وقد عهد إلينا رسول الله ﷺ: ألا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وما رأينا بعد الأربعة الماضين إماماً صالحاً، ولا وزيراً تقياً، كلهم عاص مخالف، قويُّ الدنيا، ضعيف الآخرة، فعلامَ تُستحَلُّ حُرَمُنا، ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند، نلقى الأسنة بنحورنا، والسيوف بجباهنا، ثم لا يُعرف لنا حقنا وفضلنا، فقاتلوا عن حريمكم، فأي الأمر ما كان فلكم فيه الفضل، وإني قد قلبت ظهر المِجَنِّ، وأظهرت لهم العداوة، ولا قوَّة إلاَّ بالله».

وخرج من الكوفة وحاربهم، فأرسل إليه مصعب سيف بن هانىء المرادي، فعرض عليه خراج بادوريا وغيرها، ويدخل في الطاعة، فلم يجب إلى ذلك، فبعث إليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحي، فقاتله فهزمه عبيد الله، وصار مصعب يرسل إليه القواد واحداً تلو الآخر فيهزمهم عبيد الله، حتى اضطر مصعب أن يدعوه إلى الأمان والصلة، وأن يوليه أي بلد شاء، فلم يقبل، واستمر ابن الحر يقاتل عمال ابن الزبير ويهزمهم ويأخذ أموالهم، حتى أتى

---

(1) الطبري 6/131.

تكريت، فأقام يجبي الخراج، فبعث إليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحي والجون بن كعب الهمداني في ألف مقاتل، وأمدهم المهلب بيزيد بن المغفل في خمس مئة، فقال لعبيد الله رجل من أصحابه: قد أتاك جمع كثير فلا تقاتلهم، فأبى عبيد الله وقال[1]:

يخوفني بالقتلِ قومي وإنما   أموتُ إذا جاء الكتابُ المؤجَّلُ
لعل القنا تُدني بأطرافها الغِنى   فنحيا كراماً أو نكرُّ فنقتلُ

وقاتلهم عبيد الله يومين، وهو في ثلاث مئة، ولما كان عند المساء، تحاجزوا، وخرج عبيد الله من تكريت وقال لأصحابه: إني سائر بكم إلى عبد الملك بن مروان فتجهزوا، فسار يريد عبد الملك، وكان في طريقه يقاتل من يلقاه من جنود مصعب فيهزمهم، فلما صار إلى عبد الملك أكرمه وأجلسه معه على السرير، وأعطاه مئة ألف درهم، وأعطى لأصحابه مالاً، وطلب ابن الحر من عبد الملك أن يوجه معه جيشاً ليقاتل بهم مصعب بن الزبير، فقال له عبد الملك: سر، فإني أقطع البعوث وأمدك بمائة ألف، فسار ابن الحر حتى نزل بجانب الأنبار، واستأذنه أصحابه في دخول الكوفة، فأذن لهم، وأمر أن يخبروا أصحابه بقدومه ليخرجوا إليه، فبلغ ذلك القيسية، فأتوا الحارث بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير، فسألوه أن يرسل معهم جيشاً يقاتلون عبيد الله، ويغتنمون الفرصة فيه بتفرق أصحابه، فبعث معهم جيشاً كثيفاً، فساروا فلقوا عبيد الله بن الحر، فقال أصحابه: نحن في نفر يسير، وهذا الجيش لا طاقة لنا به، فأبى ابن الحر وقال: ما كنت لأدعهم، وحمل عليهم وهو يقول[2]:

يا لك يوما فات فيه نهبي   وغاب عني ثقتي وصحبي

ثم عطفوا عليه وكشفوا أصحابه، وحاولوا أن يأسروه، فلم يقدروا على

(1) الطبري 6/133، ابن الأثير 4/82، أنساب الأشراف 5/22296، حماسة ابن الشجري 106 ـ 107.
(2) أنساب الأشراف 5/297، الكامل 4/83.

ذلك، وأذن لأصحابه في الذهاب، فذهبوا فلم يعرض لهم أحد، وجعل يقاتل وحده، فحمل عليه رجل من باهلة يكنى أبا كدية، فطعنه، وجعلوا يرمونه ولا يدنون منه، وهو يقول: أهذه نبل أم مغازل؟ فلما أثخنته الجراح، مال إلى معبر هناك فدخله ولم يدخل فرسه، فركب السفينة ومضى به الملاح، حتى توسط الفرات، فأشرفت عليه الخيل، وكان معه في السفينة نَبط، فقالوا لهم: إن في السفينة طلبة أمير المؤمنين، فإن فاتكم قتلناكم، فوثب ابن الحر ليرمي نفسه في الماء، فوثب إليه رجل عظيم الخلق، فقبض على يديه، وجراحاته تجري دماً، وضربه الباقون بالمجاذيف، فلما رأى أنه يقصد به نحو القيسية، قبض على الذي معه، وألقى نفسه معه في الماء، فغرقا معاً.

وقيل: وسُمِع شيخٌ ينادي وينتف لحيته ويقول: يا بختيار، يا بختيار! فقيل له: ما لك يا شيخ؟ قال: كان ابني يقتل الأسد، وكان يُخرج هذا المعبر من الماء فيقره ثم يعيده وحده، حتى ابتُلي بهذا الشيطان الذي دخل السفينة فلم يملكه من أمره شيئاً حتى قذف به في الماء فغرقا جميعاً، فجعلوا يسكنونه وهو يقول: ما كان ليُغرق ابني إلاّ شيطان. فلما انتهى الخبر إلى عبد الملك جزع عليه جزعاً شديداً وندم على بعثه إياه، وتمنى أن يكون بعث معه الجيوش[1].

وأما جثة ابن الحر، فقد أُخرجت من الماء، وإيغالاً في التنكيل به، وتنفيساً لحقدهم عليه، جزوا رأسه وبعثوا به إلى الكوفة ثم إلى البصرة.

وهكذا كانت نهاية بطل حر أبي (لا يعطي للأمراء طاعة) ولم يخضع لسلطان، فقد قاتل ابن زياد، وبني أمية، والمختار الثقفي، ومصعب بن الزبير، وقتل وهو يقاتل، ويذل أعداءه، فلفظ أنفاسه الأخيرة، والناس وجيوش الحاكمين تخشى صولته، وترهب من اسمه.

* * *

---

(1) خزانة الأدب 2/142.

يزيد بن مفرغ الحميري

حُبس وعُذِّب وربط بخنزيرة وطيف به

(توفي سنة 69 هـ)

يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب بمفرغ الحميري، أبو عثمان، لُقِّب جده ربيعة (مفرِّغاً) لأنه راهن على أن يشرب عُسَّاً من لبن فشربه حتى فرغ، فلقب بذلك، وهو الذي وضع سيرة تبَّع وأشعاره، وقد طعن النسابون في انتسابه إلى حمير[1].

كان يزيد شاعراً محسناً والسيد الحميري من ولده (المتوفى سنة 173 هـ) كانت حياة يزيد حياة لهو وعبث وإسراف، أحب امرأة اسمها أناهيد بنت الأعنق، وكان الأعنق دهقاناً، وكانت تسكن بين سرّق ورامهرمز من كور الأهواز وخوزستان، وكان يزيد يتنقل بين حبيبته أناهيد في الأهواز، وبين ندماه في البصرة، ويسرف في اللهو ويتلف الأموال، أما من أين جاءته هذه الأموال، فمن ممدوحه عبيد الله بن أبي بكرة، الذي كان والياً على سجستان بين سني 50 ـ 53 هـ، وكان عبيد الله قد دعا يزيد إلى سجستان، فلحق به، فأكرمه بأن أعطاه مئة ألف درهم، ومئة وصيفة، ومئة نجيبة، وأمر له بنفقة إلى بلده سوى المئة ألف، وبمن يكفيه الخدمة من غلمانه وأعوانه، ولكن الأموال هذه كان ينفقها على أناهيد، وعلى لهوه وندمانه، وكان يستدين وينفق على حبيبته، حتى ركبته الديون، وشكاه الغرماء غير مرة لعبيد الله بن زياد، فقال به ابن زياد، كما يقول البلاذري[2]: «لئن أعادوك إليَّ بعتك لهم»، فعاد غرماؤه إلى تقديمه،

(1) الأغاني 262/8.

(2) أنساب الأشراف 501/1.

فقال ابن زياد: بيعوه، فقال لهم أبوه: والله ما له ثمن، ولكن نسأل الناس، فأقعدوه على الطريق فجعل الرجل يمر به فيضمن عنه الألف والألفين، حتى مر به عبيد الله بن أبي بكرة، فقال: كم عليك؟ قال: ثمانون ألفاً، قال: هي عليَّ وادَّن بعدها في مالي ما شئت[1].

وكان يزيد صديقا لسعيد بن عثمان بن عفان، وله فيه قصائد مدح، فلما ولي سعيد خراسان سنة 56 هـ استصحب يزيدَ بن مفرغ، فأبى عليه وآثر أن يصحب عبَّاد بن زياد إلى سجستان، فنصحه سعيد وحذره من ابن زياد، وقال له: «أما إذا أبيت أن تصحبني، وآثرت عبَّاداً، فاحفظ ما أوصيك به، إن عباداً رجل لئيم، فإياك والدالة عليه، وإن دعاك إليها من نفسه فإنها خدعة منه لك عن نفسك، واقلل زيارته، فإنه طَرِفٌ ملول، ولا تفاخره، فإنه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله». ثم دعا سعيد بمال فدفعه إلى ابن مفرغ، وقال: «استعن به على سفرك، فإن صح مكانك من عباد وإلا فمكانك عندي ممهد فأتني»[2].

كان الولاة حريصين على اصطحاب الشعراء، فالشاعر هو الذي يشيد بالوالي وأعماله، ويتغنى بفتوحاته، ويمجد وقائعه ويشجع جنده، وقد آثر يزيد بن مفرغ صحبة عبَّاد، وكانت هذه الصحبة وبالاً على يزيد، ووبالاً على عباد أيضاً، وندم يزيد، وسجل في شعره ـ فيما بعد ـ هذا الندم، في مثل قوله[3]:

لهفي على الأمر الذي	كانت عواقبه ندامهْ
تركي سعيداً ذا الندى	والبيتُ ترفعه الدعامهْ
وتبعتُ عبدَ بني عِلا	جٍ تلك أشراط القيامهْ

---

(1) أنساب الأشراف 1/501، وانظر رواية أخرى جعلت المبلغ سبعين ألفاً في الأغاني 17/71 ط ساسي، ولباب الآداب ص 135، والمستجاد من فعلات الأجواد ص 97.

(2) الأغاني 18/264 ط دار الكتب العلمية بيروت 1992 م.

(3) الأغاني 18/269، وديوان يزيد بن مفرغ ص 209 ـ 211، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1993.

أما عبيد الله بن زياد فقد كان غير راض عن اصطحاب أخيه لابن مفرغ، ورأى في ذلك خطورة عليهما جميعاً، لما يعرف من أخلاق أخيه عباد وتقلبه ونفرته، وما يعرف من سيرة الشاعر ونزقه وطيشه، فقد دعا عبيد الله بن زياد يزيدَ بن مفرغ وقال له: إنك سألت عباداً أن تصحبه، وأجابك إلى ذلك، وقد شقَّ عليَّ، فقال له ابن مفرغ: ولمَ أصلحك الله؟ قال: لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض، لأنه يظن فيجعل الظن يقيناً، ولا يعذر في موضع العذر، وإن عباداً يقدم على أرض حرب، فيشتغل بحروبه وخراجه عنك، فلا تعذره أنت، وتكسبنا شراً وعاراً»[1].

وقد كان الذي خشيه عبيد الله، فقد بسط يزيد لسانه في عباد بن زياد، فذمه وهجاه، وصار يهزأ من عباد ويسخر من لحيته، وكان عباد عظيم اللحية كأنها جوالق، وسار يزيد بن مفرغ يوماً مع عباد، فهبت الريح فنفشت لحيته، فضحك ابن مفرغ، وقال في ذلك:

ألا ليتَ اللحى كانت حشيشاً فنعلفَهـا خيـولَ المسلمينـا

وكان بجنبه رجل من لخم، فسعى به اللخمي إلى عباد، فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال: لا يجمل بي عقوبته في هذه الساعة مع الصحبة لي، وما أؤخرها إلا لأشفي نفسي منه، لأنه كان يقوم فيشتم أبي في عدة مواطن، وبلغ الخبر ابن مفرغ، فقال: إني لأجد ريح الموت من عباد[2].

وكان يزيد قد قال في لحية عباد بيتاً آخر، ذلك أن عباداً أجرى الخيل، فجاء سابقاً، فقال ابن مفرغ[3]:

سَبَـقَ عبّـادٌ وصَلَّـتْ لحيتُـهْ وكـان خـرّازاً تجـودُ قِـربتُـهْ

وأدرك يزيد أنه هالك، فحاول أن يصلح ما بدر منه، وأن يعتذر ويطلب

(1) الأغاني 18/362.
(2) الأغاني 18/266.
(3) الأغاني 18/266، وديوان يزيد ص 85. صلت لحيته: جاءت تالية.

الإذن بالرحيل، فدخل على عباد وقال له: أيها الأمير، إني كنت مع سعيد بن عثمان، وقد بلغك رأيه فيَّ، ورأيت جميل أثره عليَّ، وإني اخترتك عليه، فلم أحظَ منك بطائل، وأريد أن تأذن لي بالرجوع، فلا حاجة لي بصحبتك. فاستمهله عباد بعد أن يقضي حقه، وعلم عباد أن ابن مفرغ إذا عاد إلى أهله سينال منه ويفضحه، وبدأ عباد يكيد ليزيد، ويفتنُّ في أذاه، وبيَّتَ له خطَّةَ غدر، وهو الماكر الخبيث اللئيم، كما وصفه سعيد بن عثمان بن عفان، وفي مجلس حافل قال ابن عباد لابن مفرغ: انشدني هجاء أبيك الذي هُجي به، فقال: أيها الأمير، ما كُلِّف أحد ما كلَّفتني، فأمر غلاماً أعجمياً وقال: قم على رأسه، فإن أنشد ما أمرته، وإلا فصب السوط على رأسه، أو ينشده، فأنشده أبياتاً هُجِي بها أبوه، أولها:

قَبَـحَ الإلٰـهُ ولا يقبِّـح غيـره   وجهَ الحمارِ ربيعةَ بن مفرغِ

وجعل عباد يتضاحك به، فخرج ابن مفرغ من عنده وهو يقول: والله لا يذهب شتم شيخي باطلاً[1].

وبدأ عباد يفتنُّ في إهانة ابن مفرغ وإذلاله وتعذيبه، فدس إلى قوم كان لهم عليه دين، فأمرهم أن يقدموه إليه، ففعلوا، فحبسه وأضرَّ به، وكان لابن مفرغ جارية وغلام ضنين بهما، فبعث إليه أنْ بِعني الأراكة وبُرداً، وكانت الأراكة قينة له، وبرد غلامه، رباهما وكان شديد الضن بهما، فبعث ابن مفرغ من سجنه مع الرسول قوله: «أيبيع المرء نفسه وولده؟» فغُصِب على بيعهما، وفيهما يقول[2]:

شريتُ بُرداً ولو مُلِّكتُ صفقَتَهُ   لما تطلب في بيعٍ له رَشَدا
لولا الدعيُّ ولولا ما تعَرَّضَ لي   مـن الحـوادثِ مـا فـارقتـهُ أبـدا
أما الأراكُ فكانت من محارمنا   عيشاً لذيذاً وكانت جنَّةً رغَدا

(1) الأغاني 18/298 ـ 269.
(2) الأغاني 18/267 ـ 268.

كانت لنا جنَّةً كنا نعيشُ بها نَغْنَى بها إنْ خشينا الأزلَ والنكدا

ولم يكتفِ عبَّاد بهذا، بل بالغ في إيذائه وإذلاله، فقال لحاجبه: «ما أرى هذا يبالي بالمقام في الحبس، فبِعْ فرسه وسلاحه وأثاثه، واقسم ثمنها بين غرمائه»، ففعل ذلك وقسَّم الثمن بينهم، وبقيت عليه بقية حبسه بها[1].

وأدرك يزيد أنَّ عبَّاداً لا يدخر وسعاً في إيذائه وإذلاله، فلا بد من سياسته ومداهنته، فصار يقول للناس إذا سألوه عن حبسه ما سببه؟ يقول: رجل أدَّبه أميره ليقوِّم من أوده، أو يكفَّ من غَرْبه، وهذا لعمري خيرٌ من جر الأمير ذيله على مداهنة لصاحبه، فلما بلغ عباداً قولُه، رقَّ له وأخرجه من السجن، فهرب حتى أتى البصرة، ثم خرج منها إلى الشام، وجعل يتنقل في مدنها هارباً ويهجو زياداً وولده[2].

وكتب عباد إلى أخيه عبيد الله بن زياد بهرب يزيد بن مفرغ، وهجائه لآل زياد، وكان عبيد الله على علم بما يفعله ابن مفرغ، وكان الناس في البصرة يتناشدون شعر ابن مفرغ في هجاء آل زياد، ويجدون فيه متنفساً وشماتة بهذه الأسرة الظالمة، فسعى عبيد الله في قتل ابن مفرغ، ولكنه وهو الحقود الحذِر، أراد أن يستأذن معاوية في قتله ـ وقيل يزيد بن معاوية ـ فذهب إلى معاوية، وأنشده من شعر ابن مفرغ في أبي سفيان وسميَّه، ليوغر صدره، فأنشده قوله[3]:

ألا أبلغْ معاوية بن حربٍ مغلغلةً من الرجل اليماني
أتغضبُ أنْ يُقالَ أبوكَ عَفٌّ وترضى أن يقالَ أبوك زانِ
فأشهدُ أنَّ رحمكَ من زيادٍ كرحمِ الفيلِ من ولد الأتانِ
وأشهدُ أنَّها ولدتْ زياداً وصخرٌ من سُمَيَّةَ غيرُ دانِ

(1) الأغاني 18/267، الخزانة 4/515.
(2) الأغاني 18/268.
(3) ديوان يزيد بن مفرغ ص 230 ـ 232، الأغاني 18/274.

ولم يأذن معاوية بقتل ابن مفرغ، وقال لعبيد الله: «أدبه أدباً وجيعاً مُنَكِّلاً ولا تتجاوز ذلك إلى القتل». وأمر الخليفة بطلب ابن مفرغ، الذي صار يتنقل في قرى الشام، ويغلغل في نواحيها، ولم يجد أحداً يجيره ويحميه، فرجع إلى البصرة، واستجار برؤسائها وأشرافها فلم يجره أحد، خوفاً من بطش ابن زياد، التجأ إلى الأحنف بن قيس سيد تميم، فاعتذر عن إجارته، وقال: إني لا أجير على ابن سمية، وإنما يجير الرجل على عشيرته، فأما على سلطانه فلا، واستجار بعدد من وجوه البصرة فأبوا إجارته، وانتهى به المطاف إلى المنذر بن الجارود العبدي، فأجاره لدلالة المنذر على ابن زياد بالصهر، لأن ابنته (بحرية بنت المنذر) كانت تحت عبيد الله، وكان المنذر من أكرم الناس عليه، فاغترَّ المنذر بذلك، وأدلَّ بموضعه منه، وطلب عبيد الله ابنَ مفرغ، وقد بلغه وروده البصرة فقيل له: أجاره المنذر بن الجارود، فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه، فلما دخل عليه بعث عُبيد الله بالشُّرَط فكبسوا داره، وأتوه بابن مفرغ، فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ قد أُقيمَ على رأسه، فقام المنذر إلى عبيد الله فكلمه فيه، فقال: أذكِّرك الله أيها الأمير أن تُخفر جواري، فإني قد أجرته، فلم يستجب عبيد الله له، ورده قائلاً: يا منذر، ليمدحنَّ أباك وليمدحنَّك، ولقد هجاني وهجا أبي، ثم تجيره عليَّ، لاها الله[1]، لا يكون ذلك أبداً، ولا أغفرها له[2].

وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ يقرعه ويوبخه، وكان ابن مفرغ ثابتاً جريئاً، لم يتخاذل ولم يستعطف، وجرى بينهما حديث كلذع السياط.

«قال عبيد الله بئسما صحبت عباداً.

قال ابن مفرغ: بئسما صحبني عباد، اخترته على سعيد، وأنفقت على صحبته كل ما أفدته، وكل ما أملكه، وظننتُ أنه لا يخلو من عقل زياد، وحلم معاوية، وسماحة قريش، فعدل عن ظني كله، ثم عاملني بكل قبيح، وتناولني

---

(1) أي: لا والله.
(2) الأغاني 272/18.

بكل مكروه، من حبس وغُرم وشتم وضرب، فكنت كمن أمَّ برقاً خُلَّباً في سحاب جَهام، فأراق ماءه طمعاً فيه فمات عطشاً، وما هربت من أخيك، إلا لما خفت من أن يجري فيَّ إلى ما يندم عليه، وقد صرت الآن في يدك، فشأنك فاصنع بي ما أحببت»، فأمر عبيد الله بحبسه، وكتب إلى يزيد بن معاوية أن يأذن له في قتله، وكان رد يزيد: «إياك وقتله، ولكن عاقبه بما ينكله ويشد سلطانك، ولا تبلغ نفسه، فإن له عشيرة وهي جندي وبطانتي، ولا ترضى بقتله مني...»[1].

وبدأ ابن زياد يسوم ابن مفرغ ويشفي غليله وغليل أخيه عباد، وأراد أن يجعل ابن مفرغ عبرة لكل من ينتقص من آل زياد، أو يذكرهم بعار النسب المغموز، وأمر عبيد الله أن يجلد يزيد بن مفرغ كل يوم، وصادر ماله، وهدم داره، وابن مفرغ صابر جلد لم يخضع ولم يستكِنْ أو يطلب الرحمة، ولما رأى عبيد الله جلد الشاعر وصبره على العذاب، أمر فسُقي نبيذاً حلواً، قد لخط معه الشبرم[2]، فأسهل بطنه، وطيفَ به، وهو في تلك الحال، وقُرِن بهرة وخنزيرة، فجعل يسلح، والصبيان يتبعونه ويقولون بالفارسية: أين جيست؟ فيقول:[3]

آبَ اسْـــتَ نبيـــذ اسْـــت عصـــارات زبيـــب اســـت

سُميَّة روسبيد است

وجعل كلما جرَّ الخنزيرة ضجت، فيقول:

ضجَّت سُمَيَّةَ لما لزَّها قَرَني لا تجزعي إن شرَّ الشيمةِ الجَزَعُ

وكانوا يطيفون به في أسواق البصرة، والصبيان خلفه يصيحون به، وألحَّ

---

(1) السابق نفسه.

(2) الشبرم: نبات له حب كالعدس، مسهل له ورق طوال كورق الحرمل، واحدته: شبرمة. (اللسان: شبرم).

(3) أين جيست: أي ما هذا، ومعنى البيت: إنما هو ماء ونبيذ، ينتج عن عصر الزبيب، ولكن سمية هي البغي. ينظر: الأغاني 18/273، البيان والتبيين 1/143، الشعر والشعراء 1/320، الطبري 6/177، الخزانة 2/519.

عليه ما يخرج منه، حتى أضعفه فسقط، فأخبروا ابن زياد بذلك وقيل له: إنه لما به لا نأمن أن يموت، فأمر به أن يُغسل، ففعلوا ذلك به، فلما اغتسل، قال:

يغسلُ الماءُ ما فعلتَ وقولي   راسخٌ منك في العظامِ البوالي

ولم تنتهِ دورة العذاب بعد، ولم يشفِ عبيد الله غليله، ويزداد حقده كلما تذكر الهجاء الذي قاله في آل زياد، وما فيه من تذكير بالنسب المغموز، فأودع ابن مفرغ السجن، وأراد أن يزيد في إذلاله بأن يجعله حجَّاماً، فأمر بأن يسلم محجماً، وقدموا له علوجاً، وأمِر بأن يحجمهم، فكان يأخذ المشارط، فيقطع بها رقابهم، فيتوارون منه، فتركه ورده إلى محبسه، وقامت الشُّرَطُ على رأسه، تصب عليه السياط، ويقولون: احجمهم، فيقول:

وما كنتُ حجَّاماً ولكن أحلَّني   بمنزلة الحجامِ نأيي عن الأهلِ

وبقي يزيد في سجنه يُسامُ سوء العذاب، وهو صبور جلد، يصور ما لقيه من العذاب في شعره، فيذيع بين الناس، ويزداد عبيد الله حنقاً وغضباً، وكان مما قاله ابن مفرغ يحكي حاله وما لقيه من العذاب، ويخاطب ابن زياد[1]:

أيها المالكُ المرهِّبُ بالقَتْـ   ـلِ بلغتَ النَّكالَ كلَّ النَّكالِ
فاخشَ ناراً تشوي الوجوهَ ويوماً   يقذفُ الناسَ بالدواهي الثِّقالِ
قد تعدَّيْتَ في القصاصِ وأدركْـ   ـتَ ذُحولاً لمعشَرٍ أقتالِ
وكسرتَ السِّنَّ الصحيحةَ مني   لا تُذِلَّنْ فمُنْكَرٌ إذلالي
وقرنتمُ مع الخنازيرِ هِرَّاً   ويميني مغلولةٌ وشِمالي
وكلاباً ينهَشْنَني من ورائي   عَجِبَ الناسُ ما لهنَّ وما لي
وأطلتمْ مع العقوبةِ سجني   فكم السجنُ أو متى إرسالي
يغسلُ الماءُ ما صنعتَ وقولي   راسخٌ منكَ في العظامِ البوالي

وبقي يزيد في سجن ابن زياد، يقول الشعر في هجاء زياد وولده وكان

---

(1) ديوان يزيد بن مفرغ ص 187 ـ 188.

شعره يتسرب من السجن، فيذاع بين الناس، وكانت نفوس أهل البصرة عطشى إلى هذا الشعر الذي يجد الناس فيه متنفساً وشماتة بآل زياد، وأراد ابن زياد أن يبعد ابن مفرغ عن البصرة حتى ينسى الناس شعره في هجاء آل زياد، وأراد كذلك أن يتيح لأخيه عباد بن زياد كي يشفي غليله من ابن مفرغ، ويذيقه نصيبه من العذاب، فأرسل عبيد الله ابنَ مفرغ إلى أخيه عباد في سجستان، يقول أبو الفرج: «ووكل به رجالاً وجههم معه، وكان يزيد لما هرب من عباد يهجوه ويكتب كل ما هجاه على حيطان الخانات، فأمر عبيد الله الموكلين به أن يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره، وأمرهم ألا يتركوه يصلي إلا إلى قِبلة النصارى، إلى المشرق، فكانوا إذا دخلوا بعض الخانات التي نزلها، فرأوا فيها شيئاً مما كتبه في الهجاء، أخذوه بأن يمحوه بأظافره، فكان يفعل ذلك ويحكه، حتى ذهبت أظافره، فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه، حتى سلَّموه إلى عباد فحبسه وضيَّق عليه»[1].

ومثلما افتن عبيد الله في تعذيب يزيد بن مفرغ وزاد في إيلامه وإذلاله، فكذلك فعل أخوه عباد بن زياد، وكأنهما يجدان في تعذيب الشاعر لذة في أنفسهما، وغسلاً لعار النسب، وعار الهجاء، وكلما زاد العذاب بابن مفرغ، زاد في هجاء آل زياد، وافتن هو أيضاً في تعذيبهما بلسانه ولاذع شعره، وهو في كل ذلك عنيد صبور، يأبى الاعتذار والخنوع، وقد صور في شعره ما لقيه من عذاب الأخوين أصدق تصوير، على شاكلة قوله[2]:

أصابَ عذابي اللونَ فاللونُ شاحبٌ ... كما الرأسُ من هَولِ المنيَّةِ أشيَبُ
قُــرِنْــتُ بخنــزيــرٍ وهِــرٍّ وكلبــةٍ ... زماناً وشانَ الجلدَ ضَرْبٌ مشَذَّبُ
وجُرِّعْتُها صهباءَ من غيرِ لذَّةٍ ... تصَعَّدُ في الجُثْمانِ ثم تُصَوَّبُ
وأطْعِمــتُ مــا لا يحــلُّ لآكــلٍ ... وصَلَّيْتُ شَرْقاً بيتُ مكَّةَ مَغْرِبُ

---

(1) الأغاني 18/277، الخزانة 2/516، شواهد العيني 1/442.
(2) ديوان يزيد بن مفرغ ص 55 ـ 59، الأغاني 18/277 ـ 278.

من الطَّفِّ مجلوباً إلى أرضِ كابُلٍ فمَلُّوا وما ملَّ الأسيرُ المُعَذَّبُ

فلو أنَّ لحمي إذْ وَهَى لَعِبَتْ بهِ — كِرامُ ملوكٍ أو أسودٌ وأذْؤبُ
لَهَوَّنَ من وجدي وسلَّى مُصيبتي — ولكنَّما أودى بلحميَ أكلُبُ
أعبَّادُ ما للؤمِ عنكَ مُحَوَّلٌ — ولا لك أمٌّ في قريشٍ ولا أبُ
سينصرني من ليس تنفعُ عندَهُ — رُقاكَ وقَرْمٌ من أميَّةَ مُصْعَبُ
وقلْ لعُبَيدِ الله ما لك والدٌ — بحقٍّ ولا يدري امرؤٌ كيفَ تُنْسَبُ

وطال العذاب، وطال السجن، وليس هناك بارقة من أمل في النجاة، وليس من هَمِّ الشاعر أن يذلَّ ويستكين، وهو في كل ذلك يقول الشعر الذي يخترق جدران السجن، وكان شعره تحمله الريح ـ رغم الحراس والجلادين ـ فينتشر بين الناس، وتتلقفه الآذان، وتردده الألسن، وفي هذا الشعر رسائل لوم وعتاب وتقريع لقومه اليمنيين، وعتاب واستنهاض لأحلافه القرشيين، يدعوهم أن يقصدوا الخليفة يزيد بن معاوية في دمشق ويحملوا رسالته إليه، وهو يحثهم في مثل قوله[1]:

قلْ لقومي لدى الأباطِحِ من آ — لِ لُؤيٍّ بنِ غالبٍ ذي الجودِ
سامني بعدكم دعِيُّ زيادٍ — خُطَّةَ الغادرِ اللئيمِ الزهيدِ
كان ما كان في الأراكة واجْتَـ — ـبَّ بِبُرْدٍ سنامَ عيشي وجيدي
أوغَلَ العبْدُ في العقوبةِ والشَّتْـ — ـمِ وأودى بطارفي وتليدي
فارحلوا في حليفكم وأخيكم — نحوَ غَوثِ المستصرخينَ يزيدِ
واطلبوا النَّصْفَ من دَعِيِّ زيادٍ — وسَلُوني بما ادَّعيْتُ شُهودي

وقيل إن ابن مفرغ استأجر رسولا إلى دمشق، وقال له: إذا كان يوم الجمعة، فقف على درج جامع دمشق، ثم اقرأ هذين البيتين بأرفع ما يمكنك من صوتك، وكتبهما في رقعة وهما[2]:

أبلِغْ لديكَ بني قحطانَ قاطِبةً — عضَّت بأيْرِ أبيها سادةُ اليمنِ

---

(1) الديوان ص 111 ـ 112، الأغاني 18/281.

(2) الديوان ص 226 ـ 227، الأغاني 18/283.

أمسى دعيُّ زيادٍ فقْعَ قرقَرةٍ　　يا للعجائبِ يلهو بابنِ ذي يزَنِ

ففعل الرسول ما أمره به، فحميت اليمانية، وغضبوا له، وكذلك فعلت قريش، وقيل: إن وفود القرشيين واليمنيين اجتمعت معاً في دمشق، ودخلوا على معاوية[1]، وجرى بينهم حديث طويل، ثم وجه معاوية رجلاً من بني أسد يقال له (خَمْخام)، أو (جهنام)، بريداً إلى عباد، وكتب له عهداً، وأمره بأن يبدأ بالحبس فيخرج ابن مفرغ منه ويطلقه قبل أن يعلم عباد فِيْمَ قَدِمَ فيغتاله، ففعل ذلك، وكتب ببناء دار ابن مفرغ ورد ماله وتخلية سبيله، وأن لا إمرة لأحد من بني زياد عليه[2].

فلما خرج ابن مفرغ من الحبس، قُرِّبت إليه بغلة من بغال البريد فركبها، فلما استوى على ظهرها أنشد:

عَدَسْ ما لعبَّادٍ عليكِ إمارةٌ　　نجوتِ وهذا تحملينَ طليقُ

وأدخل ابن مفرغ على الخليفة في دمشق، فشكا إليه أمره وما نزل به من عذاب آل زياد، وقال: «ركب مني ما لم يركب من مسلم قط على غير حدث في الإسلام، ولا خلع يد من طاعة ولا جرم»، وقد أنَّب الخليفة الشاعر، وذكره بالأشعار التي قالها في آل زياد وعرَّض فيها بمعاوية، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، وكان بعض بني أمية قد شجعوا الشاعر على هجاء آل زياد، وكانوا راضين عن خصومته معهم، وحين نزل ابن مفرغ على مروان بن الحكم، أعطاه وكساه، واسترفد له كل من قدر عليه من بني أبي العاص بن أمية[3].

وهكذا أصبح يزيد بن مفرغ حراً طليقاً، وذهب ما كان من آلام عذابه، وبقي ما قال من شعر في آل زياد عار الدهر ووصمة الأبد، وكانت وفاة ابن مفرغ في الطاعون الجارف، الذي اجتاح البصرة سنة تسع وستين من الهجرة، في ولاية مصعب بن الزبير على العراق.

---

(1) وفي رواية: على يزيد بن معاوية.

(2) الأغاني 18/279، 286.

(3) الأغاني 18/279، 297.

الأقَيْشِر الأسدي

أُحرق بالنار (سنة 80 هـ)

الأقيشر لقب غلب عليه، لأنه كان أحمر الوجه أقشر، واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة، يكنى أبا مُعْرِض، نشأ في الجاهلية، وعاش طويلاً في الإسلام، وكان عثمانياً، قال أبو الفرج: «كان الأقيشر كوفياً خليعاً ماجناً، مدمناً لشرب الخمر، وهو الذي يقول لنفسه[1]:

فـــانَّ أبـــا معـــرضٍ إذ حســـا ... من الراحِ كأساً على المِنْبَرِ
خطيـــبٌ لبيـــبٌ أبـــو مُعْـــرِضٍ ... فصـــار خليعـــاً علـــى المَكْبَـــرِ
أحـــلَّ الحـــرامَ أبـــو مُعـــرضٍ ... فان لِيمَ في الخمرِ لم يصبرِ
يُجِـلُّ اللئـامَ ويلحـى الكِـرامَ ... وإنْ أقصـروا عنـهُ لـم يُقْصِـرِ

كان الأقيشر لا يحب لقبه هذا، ويغضب حين ينادونه به، قيل: إنه مرَّ يريد الحيرة، فاجتاز على مجلس لبني عبس، فناداه أحدهم: يا أقيشر، وكان يغضب منها، فزجره الأشياخ، ومضى الأقيشر، ثم عاد إليه ومعه رجل، وقال له: قفْ معي، فإذا أنشدت بيتاً، فقل لي: ولمَ ذلك؟ فأقبل الأقيشر حتى أتى مجلس القوم، فوقف عليه ثم تأملهم، وعرف الشاب، فأقبل عليه وقال[2]:

أتدعوني الأقيشرَ ذلك اسمي ... وأدعـوك ابـنَ مُطفِئـةِ السـراجِ

فقال له الرجل: ولِمَ ذلك؟ فقال:

تُنـاجـي خِـدْنَهـا بـالليـلِ سِـرّاً ... وربُّ الناسِ يعلمُ ما تُناجي

(1) الأغاني 11/253 ـ 254، وديوان الأقيشر الأسدي ص 45 تحقيق خليل الدويهي ط بيروت 1991 م.

(2) الأغاني 11/254 ـ 255، ديوان الأقيشر ص 28.

قيل: فلُقِّب ذلك الرجل ابن مُطْفِئةِ السراج.

كان الأقيشر ماجناً هجَّاءً، قبيحَ السيرة، ولكنه حين يمدح فهو يحسن المديح، وقد أعجب عبد الملك بشعره، حين سمع غناء في مديح زكريا بن طلحة الفياض، وقال: أشعر الناس الأقيشر، وقيل: إن الكميت بن زيد لقي الأقيشر في سفرة، فقال له: أين تقصد يا أبا معرض؟ فقال:

سَأَلَني الناسُ أين يقصدُ هذا قلتُ آتي في الدارِ قَرْماً سَرِيَّا

. . . الأبيات، فلم يزل الكميت يستعيده إياها مراراً، ثم قال: ما كَذِبَ من قال: إنك أشعر الناس[1].

وأخبار الأقيشر في المجون وشرب الخمر كثيرة، نجتزىء منها بهذا الخبر، فقد كان من عادته ألا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم، يجعل درهمين في كراء بغل إلى الحيرة، ودرهمين للشراب، ودرهماً للطعام، وكان له جار يكنى أبا المضاء، له بغلٌ يُكريه، وكان يعطيه درهمين، ويأخذ بغله فيركبه إلى الحيرة، حتى يأتي بيت الخمَّار، فينزل عنده ويربطه بلجامه وسرجه فيقال: إنه أعطى ثمنه في الكراء، ثم يجلس فيشرب حتى يمشي، ثم يركبه وينصرف[2].

ويبدو أن الشرطة في كل زمان ومكان، جُبِلوا على الرشوة ـ إلا من عصم الله ـ فإذا أخذوا المال سكتوا، وغضوا الطرف عن الجرائم، ومصداق ذلك، أن الأقيشر شرب في بيت خمار بالحيرة فجاءه الشُّرَطُ ليأخذوه، فتحرَّز منهم، وأغلق بابه، وقال: لست أشرب، فما سبيلكم عليَّ؟ قالوا: قد رأينا العُسَّ في كفك[3]، وأنت تشرب، قال: إنما شربت من لبن لقحة[4] لصاحب الدار، فلم يبرحوا حتى أخذوا منه درهمين، فقال[5]:

---

(1) الأغاني 11/257، ديوانه ص 82.

(2) الأغاني 11/262.

(3) العس: القدح الكبير.

(4) اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

(5) الأغاني 11/259، الديوان ص 20 ـ 21.

إنَّمـــا لقحتُنـــا بـــاطيَّـــةٌ   فإذا ما مُزِجت كانت عجبْ
لبـــنٌ أصفـــرُ صـــافٍ لـــونُـــهُ   ينزعُ الباسورَ من عَجْبِ الذنبْ
إنمـــا نشـــربُ مـــن أمـــوالنـــا   فسلوا الشرطيَّ ما هذا الغضَبْ

وشرب الأقيشر يوماً في بيت خمَّار بالحيرة، فجاء شُرَطيٌّ من شُرَطِ الأمير ليدخل عليه، فغلق الباب دونه، فناداه الشرطي: اسقني نبيذاً، وأنت آمن، فقال: والله ما آمنك، ولكن هذا ثقب في الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه، ثم وضع له أنبوباً من قصب في الثقب، وصبَّ فيه نبيذاً، من داخل، والشرطي يشرب من خارج الباب، حتى سكر، فقال الأقيشر[1]:

ســـألَ الشـــرطـــيُّ أنْ نسقيَـــهُ   فسقينـــاه بـــأنبـــوبِ القصَـــبْ
إنَّمـــا نشـــربُ مـــن أمـــوالنـــا   فسلوا الشرطيَّ ما هذا الغضَبْ

أما نهاية الأقيشر، فقد كانت فاجعة، وقد جر لسانه عليه الوبال، ذلك أنه كان مولعاً بهجاء عبد الله بن إسحاق، ومدح أخيه زكريا، فقال عبد الله لغلمانه: ألا تريحونني منه؟ فانطلقوا فجمعوا بعراً وقصباً بظهر الكوفة، وجعلوه في وسط إرَةٍ[2]، وأقبل الأقيشر سكران من الحيرة، على بغل أبي مضاء المكاري، فأنزلوه عن البغل، وشدوه رباطاً، ثم وضعوه في تلك الإرة، وألهبوا النار في القصب والبعر، فمات ولم يُعلم من قتله، وكان ذلك في حدود سنة ثمانين من الهجرة[3].

* * *

(1) الأغاني 11/265 ـ 266، الديوان ص 21.
(2) الإرة: موضع النار.
(3) نهاية الأرب ـ النويري 4/56.

أعشى هَمْدان

أُسِر وقتله الحجاج صَبْرا (سنة 83 هـ)

عبد الرحمان بن عبد الله بن الحارث الهمداني القحطاني، يكنى أبا المصبح، شاعر كوفي فصيح، من شعراء الدولة الأموية، قال الأصمعي حين سئل عنه: «هو من الفحول، وهو إسلامي كثير الشعر»[1]، وهو صهر الشعبي الفقيه، تزوج الشعبي أخته، وزوَّجه أخته، كان أحد الفقهاء، وكانت أشعاره الأولى فيها منزع للصلاح والتقوى والزهد في الدنيا، قيل: إن عمر بن عبد العزيز سأل يوماً سابقاً البربري: أنشدني يا سابق شيئاً من شعرك تُذكِّرُني به، فقال: أو خيراً من شعري؟ فقال: فهات، قال: قال أعشى همدان:

وبينما المرءُ أمسى ناعماً جَذِلاً ... في أهلِهِ معجَباً بالعيشِ ذا أَنَقِ
غِرّاً أُتيحَ له من حَيْنِهِ عَرَضٌ ... فما تلبَّثَ حتى مات كالصَّعِقِ
ثُمَّتَ أضحى ضُحىً من غِبِّ ثالثةٍ ... مُقَنَّعاً غيرَ ذي روحٍ ولا رَمَقِ
يُبْكى عليه وأدْنَوهُ لمُظلِمةٍ ... تُعْلى جوانِبُها بالتُّرْبِ والفِلَقِ
فما تزوَّدَ مما كان يجمعُهُ ... إلا حَنوطاً وما واراهُ من خِرَقِ
وغيرَ نفحةِ أعوادٍ تُشَبُّ له ... وقلَّ ذلك من زادٍ لِمُنْطَلِقِ

قال: فبكى عمر حتى أخضَلَ لحيتَه[2].

ثم مال إلى الشعر، وانصرف عن الفقه واتصل بأحمد النَّصبي المغني، فكان أحمد يغني بشعر الأعشى[3]، ثم نراه يمارس ما مارسه الشعراء من أمور

---

(1) الأغاني 6/ 65.
(2) الأغاني 6/ 66 ـ 67، الصبح المنير ص 336.
(3) الأغاني 6/ 41.

الدنيا، وكانت أول أشعاره في مديح النعمان بن بشير الأنصاري، الذي ولي الكوفة سنة تسع وخمسين، وكانت عواطفه مع آل البيت منحرفاً عن بني أمية، لذلك فهو يبكي التوابين حين هُزِموا بقيادة سليمان بن صُرَد سنة خمس وخمسين، بكاهم بقصيدة كانت إحدى المكتَّمات في ذلك الزمان[1].

وحين يتولى مصعب بن الزبير العراق لأخيه عبد الله بن الزبير، ينحاز الأعشى إليه، ويلزمه في حروبه ضد المختار الثقفي، وينشد الأشعار الكثيرة في هجاء المختار ورهطه، ويشنِّع بما كان يأتيه المختارمن شعوذات وخرافات، من اتخاذه الكرسي، وإطلاق الحمام الأبيض تمويهاً على الجند بأنها ملائكة تقاتل معه[2]، ويخرج الأعشى مع جيش مصعب لقتال الخوارج، وحين يأفل نجم الزبيريين ينظم إلى الأمويين مكرهاً، فيخرج مع الجيش الذي أرسله الحجاج إلى مكران، فيمرض هناك، وينظم قصيدة طويلة يصور فيها حنينه إلى أهله ودياره[3]، وأنه إنما خرج إلى هذه الديار خوفاً من بطش الحجاج وظلمه، ويسير به الجيش المتقدم إلى بلاد الديلم، فيقاتله الديالمة، ويقع أسيراً بيد أحد قادتهم، فيسجن هناك غريباً تثقله القيود، وقال في الأسر يصور عذابه وغربته وشوقه إلى الأهل والوطن، من قصيدة[4]:

وإذا تُصِبْكَ من الحوادِثِ نكبةٌ	فاصبرْ فكل مصيبةٍ ستكشَّفُ
ولئنْ بكيتُ من الفراقِ صبابةً	إنَّ الكبيرَ إذا بكى لَيُعَنَّفُ
عَجَباً من الأيام كيفَ تصَرَّفَتْ	والدارُ تدنو مرَّةً وتقَذَّفُ
أصبحتُ رَهْناً للعُداةِ مُكَبَّلاً	أمسي وأصبِحُ في الأداهمِ أرسُفُ
ولقد أراني قبل ذلك ناعماً	جذلانَ آبى أن أضامَ وآنَفُ
واستنكرتْ ساقي الوِثاقَ وساعدي	وأنا امرؤٌ بادي الأشاجِعِ أعجفُ

(1) الطبري 4/272، العصر الإسلامي ص 332.
(2) الطبري 4/550، 561.
(3) الأغاني 6/47 ـ 50.
(4) الأغاني 6/45، الصبح المنير ص 335.

ولقد تُضَرِّسُني الحروبُ وإنني ألفى بكلِّ مخافةٍ أتعَسَّفُ
وأصابني قومٌ فكنتُ أصيبُهم فالآنَ أصبرُ للزمانِ وأعرفُ

ومن غرائب المصادفات أنَّ ابنة العِلج الذي أسره، تقع في حبه، وتصير إليه ليلاً، فتمكنه من نفسها، فأصبح وقد واقعها ثماني مرات، فقالت له المرأة: يا معشر المسلمين، أهكذا تفعلون بنسائكم؟ فقال: هكذا نفعل كلنا، فقالت له: بهذا العمل نصرتم، فرأيتَ إنْ خلصتك، أتصطفيني لنفسك؟ فقال لها: نعم، وعاهدها، فلما كان الليل حلَّتْ قيودَهُ، وأخذت به طُرُقاً تعرفها، حتى خلَّصَتْه، وهربت معه، فقال شاعر من أسرى المسلمين[1]:

فمن كان يَفديهِ من الأسْرِ مالُهُ فهمْدانُ تفديها الغداةَ أيورُها

ثم نراه في سجستان يقاتل رُتْبيْل ملك الترك، بقيادة عبيد الله بن أبي بكرة، ويكون النصر حليف الترك، والهزيمة لجيش عبيد الله، وينظم الأعشى الأشعار في وصف هذه الهزيمة، التي كان سببها سوء قيادة عبيد الله، ومن ثَمَّ جشعه وطمعه في أرزاق الجند، فقد استغل ابن أبي بكرة جوع الجند وضيقهم، فباع لهم قفيز الشعير بدرهم، وباع لهم العنب الحصرم، وصور الأعشى بشاعة الهزيمة واستغلال القائد خير تصوير، يقول[2]:

ما بالُ حُزنٍ في الفؤادِ مولَّجِ ولدمعكَ المتحدرِ المتمزِّجِ
أسمعتَ بالجيشِ الذينَ تمزَّقوا وأصابهم رَيْب الزمانِ الأعوجِ
حُبِسوا بكابُلَ يأكلونَ جيادَهم بأضَرِّ منزلةٍ وشرِّ مُعَرَّجِ
لم يلقَ جيشٌ في البلادِ كما لقوا فلمثلهم قُل للنوائحِ تَنْشِجِ

ويخاطب قائدهم عبيد الله:

وُلِّيتَ شأنَهُمْ وكُنْتَ أميرَهم فأضَعْتَهُمْ والحربُ ذاتُ توهُّجِ
وتبيعُهمْ فيها القفيزَ بدِرْهَمٍ فيظلُّ جيشُكَ بالملامةِ ينتَجي

---

(1) الأغاني 6/ 43.
(2) الصبح المنير ص 317 ـ 318.

ومنعتَهم ألبانَهم وشعيرَهم　　　وتجِرْتَ بالعِنَبِ الذي لم ينضجِ

ويموت عبيد الله بن أبي بكرة غير مأسوفٍ عليه، ويتولى أمر سجستان عبد الرحمان بن الأشعث، ثم يثور ابن الأشعث على الحجاج وبني أمية، فيجد الأعشى بغيته في الثورة، إذ كان يبغض الأمويين ويبغض حجَّاجَهم، فقد سبق أن ناصر الأعشى الشيعة، ووقف مع التوابين وبكاهم، ووقف مع مصعب بن الزبير، وكان يرى في ولاة الأمويين الظلم والبغي، وما خرج إلى مكران إلا كارهاً، وحين خرج ابن الأشعث على الحجاج، حشد معه أهل الكوفة، فلم يبق من وجوههم وقُرَّائهم أحد له نباهة إلا خرج معه، لثقل وطأة الحجاج عليهم، ووجد الأعشى ضالته في ثورة ابن الأشعث، فلزمه وناصره ومدحه، وسار أمامه يحمِّس الجند ويهدد العدو ويرتجز[1]:

إنَّا سَفَونا للكفور الفتَّانْ　　　حين طغى في الكفرِ بعد الإيمانْ
بالسيِّد الغطريف عبد الرحمانْ　　　سار بجمعٍ كالدَّبى من قحطانْ
أمكنَ ربي من ثقيفٍ همدانْ　　　يوماً إلى الليلِ يُسَلِّي ما كانْ
إنَّ ثقيفاً منهمُ الكذابانْ　　　كذابُها الماضي وكذابٌ ثانْ

ولكن هذه الثورة لم تدم، وقصر أمدها، فقد قُضي عليها، وقُتِل ابن الأشعث، وأتيَ بالأعشى أسيراً، ووقف بين يدي الحجاج، فقال له الحجاج: الحمد لله الذي أمكن منك، ألست القائل:

لما سفونا للكفور الفتانْ　　　بالسيد الغطريف عبد الرحمان

أوَ لست القائل[2]:

يا ابنَ الأشجِّ قريعِ كِنْـ　　　ـدَةَ لا أبالي فيك عَتبا
أنتَ الرئيسُ ابن الرئيـ　　　ـسِ وأنتَ أعلى الناسِ كعبا

---

(1) الصبح المنير ص 342، الأغاني 6/68، الطبري 6/337. سفونا: أسرعنا، ويروى: سمونا.

(2) الأغاني 6/68 ـ 69.

نُبِّئْـــتُ حجَّـــاجَ بـــن يـــو ســـفَ خـــرَّ مـــن زَلَـــقٍ فتَبَّـــا

كلا يا عدو الله، بل عبد الرحمان بن الأشعث هو الذي خَرَّ من زَلَقٍ فتبَّ، وحارَ وانكبَّ، وما لقي ما أحبَّ، ورفع بها صوته، واربَدَّ وجهُهُ واهتزَّ مَنْكِباه، فلم يبقَ أحدٌ في المجلس إلا أهَمَّتْه نفسه، وارتعدتْ فرائصه.

وحاول الأعشى أن يستعطف الحجاج ويعتذر إليه، لعله يلين ويرحم، فمدحه وذم هذه الثورة الخارجة عن الطاعة، وقال ما ينبغي أن يقال في مثل هذا الموقف، من مثل قوله:

أبـى اللَّـهُ إلاَّ أن يتمـمَ نـورَهُ ويُطْفيءَ نارَ الفاسقين فتخمُدا
وينــزلَ ذُلاً بــالعــراقِ وأهلــهِ لما نقضوا العهدَ الوثيقَ المؤكَّدا

وحاول بعضُ من حضر من أهل الشام أن يشفع له، فقال: قد أحسن أيها الأمير، فخلِّ سبيلهُ، ولكن الحجاج كان أقسى وأسوأ من أن يعفو ويصفح، فقال: أتظنون أنه أراد المدح، لا والله، لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه، وأراد به أن يحرِّضَ أصحابه، ثم أقبل عليه فقال: أظننتَ يا عدوَ الله أنك تخدعني بهذا الشعر، وتنفلت من يدي حتى تنجو، ألستَ القائل ويحك:

وإذا سألتَ: المجدُ أينَ محلُّهُ فـالمجـدُ بيـنَ محمـدٍ وسعيـدِ
بيـنَ الأغـرِّ وبيـن قيـسٍ بـاذخٌ بَـخْ بَـخْ لـوالـدهِ وللمـولـودِ

والله لا تبخبخ بعدها أبداً، أوَ لست القائل:

وأصابني قومٌ وكنتُ أصيبُهم فاليوم أصبرُ للزمانِ وأعرفُ

كذبت والله، ما كنت صبوراً ولا عروفاً، ثم قلت بعده:

وإذا تُصِبْكَ من الحوادثِ نكبةٌ فـاصبـرْ فكـلُّ غَيَـابـةٍ ستكشَّـفُ

أما والله لتكوننَّ نكبةٌ لا تنكشفُ غَيَابتُها عنك أبداً، يا حَرَسيُّ، اضربْ عُنُقَهُ، فضرب عنقه[1].

---

(1) الأغاني 6/70 ـ 71.

وهكذا تُطوى صفحة شاعر فارس قلق ثائر، قارع الظلم والظالمين، فسقط تحت أقدام البغي، كما يسقط الثوار الأباة.

* * *

العَرْجيّ

جُلِد وشُهِّر به، وحُبِس حتى مات (سنة 120 هـ)

شاعر من شعراء قريش المعدودين، جنى عليه لسانه وسوء سيرته، فأرداه المهالك والعذاب والسجن حتى الموت، ولم يرحمه أحد، لأنه في جنايته لا يستحق الرحمة.

ذكر الأصفهاني نسبه فقال: «هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس»، وأم العرجي: آمنة بنت عمرو بن عثمان، وقيل: بنت سعيد بن عثمان، لُقِّب بالعَرجي، لأنه كان يسكن عَرْجَ الطائف[1]، وقيل سُمِّي بذلك لماء كان له ومال عليه بالعَرْج، وكان من شعراء قريش ومن شُهِرَ بالغزل منها، ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة، وتشبَّه به فأجاد، وكان مشغوفاً باللهو والصيد حريصاً عليهما، ولم يكن له نباهة في أهله، أما شكله فكان أشقر أزرق جميل الوجه[2].

كان العرجي فارساً من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك[3] بأرض الروم، وكان له معه بلاء حسن، ونفقة كثيرة، وعُرف العرجي بسخائه وكرمه، قيل: إنه باع أموالاً عظاماً كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله، حتى نَفِد

---

(1) قرية في واد من نواحي الطائف، وهي أول تهامة في بلاد هذيل. (ياقوت: العرج).

(2) الأغاني 1/369 ـ 371 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1992.

(3) مسلمة بن عبد الملك: قائد أموي غزا بلاد الروم، ووصل إلى القسطنطينية، وغزا أرمينية ووليها من قبل أخيه يزيد بن عبد الملك، ومات بالشام سنة 120 هـ. (تهذيب التهذيب 10/144، نسب قريش ص 165.

ذلك كله، وكان قد اتخذ غلامين، فإذا أقبل الليل نصب قدره، وقام الغلامان يوقدان، فإذا نام واحد قالم الآخر، فلا يزالان كذلك حتى يصبحا، يقول: لعل طارقاً يطرق[1].

عُدَّ العرجي خليفة لعمر بن ربيعة في غزله، كما تعبر هذه الرواية التي تقول: إن حبشية امرأة من مولدات مكة ظريفة، صارت إلى المدينة، فلما أتاها موت عمر بن أبي ربيعة، اشتد جزعها، وجعلت تبكي وتقول: من لمكة وشعابها وأباطحها ونُزهها، ووصف نسائها وحسنهن وجمالهم، ووصف ما فيها، فقيل لها: خفضي عليك، فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي الله عنه، يأخذ مأخذه، ويسلك مسلكه، فقالت: انشدوني، فأنشدوها، فمسحت عينيها وضحكت وقالت: الحمد لله الذي لم يضيِّع حَرَمه[2].

ولم يكن العرجي مثل عمر بن أبي ربيعة، تتبعه النساء وتسعى لمغازلته، فالعرجي يصور مواقف الحب والغرام مع النساء تهمة وزوراً، ولذلك كان بغيضاً إليهن، يتضح ذلك في قول كلابة مولاة لثقيف، كانت عند عبد الله بن القاسم الأموي العَبْلي، وكان يبلغها تشبيب العرجي بالنساء، وذكره لهن في شعره، وكانت كلابة تقول: «لشد ما اجترأ العرجي على نساء قريش حين يذكرهن في شعره، ولعمري ما لقي أحداً فيه خيرٌ، ولئن لقيته لأسوِّدنَّ وجهه[3].

وأول ما جرَّ على العرجي المصائب حين تعرَّض لزوجة محمد بن هشام، واسمها جَبْرة المخزومية، فقال فيها[4]:

عـوجـي علـيَّ فسلمـي جَبْـرُ ... فيـمَ الصـدودُ وأنتـمُ سَفْـرُ
لا نلتقـي إلا ثـلاثَ منِّـي ... حتـى يُفـرِّقَ بيننـا النَّفْـرُ

---

(1) الأغاني 1/372.
(2) الأغاني 1/373.
(3) الأغاني 1/372.
(4) الأغاني 1/394، ديوان العرجي ص 232 تحقيق سجيع الجبيلي، ط صادر، بيروت 1998 م.

الحــولُ بعــدَ الحــولِ يَتْبَعُــهُ		مـا الـدهـرُ إلا الحـولُ والشهـرُ

فلم يزل محمد بن هشام مضطغناً عليه، يترصده وينتظر الفرصة حتى ينكل به، ويسومه سوء العذاب، ولما ولي محمد بن هشام مكة، وكتب إليه هشام بن عبد الملك أن يحج بالناس، هجاه العرجي هجاء كثيراً، فأحفظه، ثم جاوز ذلك بأن شبَّبَ بجيْدَاء، أم محمد بن هشام، لا لمحبة كانت بينهما، ولكن أراد أن يغيظ ابنها ويهينه ويفضحه، وجيداء من بني الحارث بن كعب، ومما قاله فيها[1]:

عـوجـي علينـا ربَّـةَ الهـودج		إنَّـكِ إن لا تفعلـي تُخْـرَجـي
إنــي أتيحــتْ لــي يمــانيَّــةٌ		إحدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نلبــثُ حــولاً كــامــلاً كلَّــه		مــا نلتقــي إلا علــى منهــجِ
في الحجِّ إنْ حجَّتْ وماذا منىً		وأهلُــهُ إنْ هــي لــم تحجُــجِ
أيســرِ مــا نــالَ مُحِــبٌّ لــدى		بَيْــنِ حبيــبٍ قــولُــهُ عَــرِّجِ
نقــضِ إليــه حــاجــةً أو نقُــلْ		هــل لــي مِمَّــا بــيَ مـن مخـرجِ

ولم يكتفِ العرجي بالغزل بأم محمد بن هشام وزوجته، بل جاوز ذلك إلى اعتبار حج ذلك العام باطلاً، لأنه بإمرة رجل لا تقبل حجته، ومما قال في ذلك[2]:

كــأنَّ العــامَ ليــس بعــامِ حَــجٍّ		تغيــرت المــواســمُ والشكــولُ
إلــى جيــداءَ قــد بعثــوا رَسـولاً		ليخبرَها فلا صُحِب الرسولُ

وقوله يشكك بإيمان محمد بن هشام[3]:

ألا قُلْ لِمنْ أمسى بمكةً قاطِناً		ومن جاء من عَمْقٍ ونَقْبِ المشلَّلِ
دعوا الحجَّ لا تستهلكوا نفقاتِكم		فمـا حَـجُّ هـذا العـامِ بـالمتقَبَّـلِ

(1) الأغاني 1/393، الخزانة 1/47، الديوان ص 189 ـ 191.
(2) الديوان ص 301.
(3) الديوان ص 308 ـ 309.

وكيف يُزَكَّى حَجٌّ من لم يكن له   إمامٌ لـدى تجميره غيرُ ذُلْـدُلِ

ولم يزل محمد بن هشام يتطلب على العرجي العلل وقد حانت الفرصة، وهو وال لمكة، وكان محمد تيَّاهاً شديدَ الكِبْر جبَّاراً فأخذ العرجي فحبسه وقيده وضربه ضرباً مبرحاً، وأخذ معه الحصين بن عُزَير الحميري، فجلدهما، وحُلقا وصُبَّ الزيت على رأسيهما، وألبِسا عباءتين، وأقامهما في الشمس على البُلُس في الحناطين بمكة، واجتمع الناس ينظرون إليهما، فجعل العرجي يستنجد بالخليفة هشام، وينشد[1]:

سينصرني الخليفةُ بعد ربي   ويغضبُ حين يُخْبَرُ عن مساقي
علــيَّ عبــاءةٌ بلقــاءُ ليســتْ   مع البلوى تغيِّبُ نصْفَ ساقي
وتغضــبُ لـي بـأجمعها قُصَـيٌّ   قطينُ البيتِ والدُّمْثِ الرِّقاقِ

ثم يصيح: يا غُرَير أجياد، يا غُرَير أجياد[2]، يعني بقوله يا غرير: الحصين بن غرير الحميري المجلود معه، وكان صديقاً للعرجي وخليطاً، فيقول الحميري: ألا تدعنا، ألا ترى ما نحن فيه من البلاء، ويعني كذلك بني مخزوم وكانت منازلهم في أجياد، وحُبس العرجي، وظل في حبسه تسع سنوات إلى أن مات في السجن.

وهناك رواية أخرى في سبب ضرب العرجي وسجنه، والرواية تقول: إن السبب في ذلك أن العرجي لاحى مولى كان لأبيه، فأمضَّه العرجي، فأجابه المولى بمثل ما قال له، فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده، فهجم عليه في منزله وأخذه وأوثقه كتافاً، ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه، ففعلوا، ثم قتله وأحرقه بالنار، فاستعدت امرأته على العرجي محمد بن هشام فحبسه، وكان العرجي قد هجا محمد بن هشام قبل ذلك هجاء

---

(1) الديوان ص 280 ـ 281، الأغاني 1/397.

(2) أجياد: موضع بمكة مما يلي الصفا، سُمِّي بذلك لأن تُبَّعاً لما قدم مكة ربط خيله فيه، فسمي بذلك.

كثيراً، لما ولاه هشام الحج، فأحفظه، فلما وجد عليه سبيلاً ضربه وأقامه على البُلُس للناس، حتى مات في سجنه[1].

وهذه الرواية ـ فيما أرى ـ ضعيفة لا تصدق، إذ لو صحت، وأن العرجي قتل المولى وجعل غلمانه يزنون بزوجة المولى لاستوجب أن يقتل، ويقام على الزناة الحد، ولكن الرواية الأولى التي تتصل بالتغزل بزوجة محمد بن هشام وأمه هي الأكثر قبولاً، والأشهر التي أجمعت عليها المصادر[2].

وفي السجن قال العرجي شعراً كثيراً، يصور فيه ما نزل به من هوان وعذاب، ويستنجد بقومه وبالخليفة، ويأمل الفرج، ولكن لا سامع ولا مجيب، حتى قضى نحبه بعد تسع سنوات من عذاب السجن والجلد، ومما قاله في ذلك[3]:

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

وصَبْرٍ عندَ معتَرَكِ المنايا ... وقد شُرِعَتْ أسِنَّتُها لنَحْري

أجَرَّرُ في الجوامِعِ كلَّ يومٍ ... فيا للَّهِ مظلَمَتي وصَبْري

كأنّي لم أكُنْ فيهم وسيطاً ... ولم تكُ نسبتي في آلِ عَمْرِو[4]

وكان لبيت العرجي هذا (أضاعوني...) أثر وخبر في كتب الأدب، فكان أبو حنيفة النعمان يعجبه غناء جارٍ له بهذا الشعر، وكان الجار سكيراً يغني في بيته ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه، وكان كثيراً ما يغني:

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فلقيه العسس، فأخذوه وحُبس، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، فسأل عنه من غدٍ فأخبر، فركب إلى عيسى بن موسى فقال له: إن لي جاراً أخذه

---

(1) الأغاني 1/396 ـ 397.

(2) انظر في ذلك: الشعر والشعراء ص 224، شرح الشواهد ص 176، سمط اللآلىء ص 422، معاهد التنصيص 3/172، الخزانة 1/47، نسب قريش ص 118.

(3) الديوان ص 246 ـ 247، الأغاني 1/399.

(4) آل عمرو: نسبة إلى عمرو بن عثمان بن عفان، جد العرجي.

عسسُك البارحة فحُبِس، وما علمت منه إلا خيراً، فأمر عيسى أن يطلق كلَّ من حُبِس البارحة، فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سِراً: ألست كنت تغني يا فتي كل ليلة:

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا

فهل أضعناك؟ قال: لا والله أيها القاضي، ولكن أحسنت وتكرمت، قال: فعد إلى ما كنت تغنيه، فإني آنس به ولم أرَ به بأساً[1]. وكذلك كان عبد الله بن علي عم المنصور يتغنى بهذا الشعر لما حبسه المنصور، وتغنى به غيره آخرون.

ولم يجد العرجي في حبسه الطويل من نصير أو شفيع، أو من أنصفه من خصمه محمد بن هشام، ولكن بعد موته اقتص له الوليد بن يزيد، فلما صار الوليد خليفة، وكان مضطغناً على محمد بن هشام، لأشياء كانت تبلغ عنه في حياة هشام بن عبد الملك، قبض على محمد بن هشام، وأخيه إبراهيم بن هشام، وضربهما بالسياط، فقال له محمد: أسألك بالقرابة، قال: وأي قرابة بيني وبينك، وهل أنت إلا من أشجع؟ قال: فأسألك بصهر عبد الملك[2]، قال: لم تحفظه، فقال له: يا أمير المؤمنين، قد نهى رسول الله ﷺ أن يُضرب قرشيٌّ بالسياط، إلا في حدٍّ، قال: ففي حدٍّ أضربك وقَوَد، أنت أول من سنَّ ذلك على العرجي، وهو ابن عمي، وابن أمير المؤمنين عثمان، فما رعيت حقَّ جدهِ، ولا نسبه بهشام، ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر، وأنا وليُّ ثأره.

فضربهما ضرباً مبرحاً، وأثقِلا بالحديد، ووجِّه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة، وأمره باستصفائهما، وتعذيبها حتى يتلفا، وكتب إليه: احبسهما مع ابن النصرانية ـ يعني خالد بن عبد الله القسري ـ ونفسَك نفسَك إنْ عاش أحدٌ منهم. فعذَّبهم عذاباً شديداً، وأخذ مالاً عظيماً، حتى لم يبقَ موضع للضرب،

---

(1) الأغاني 1/400، وفيات الأعيان 5/410، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

(2) كانت أخت محمد وإبراهيم ابني هشام زوجة لعبد الملك بن مروان، وقد ولدت له ابنه هشام بن عبد الملك.

فمات محمد بن هشام، وإبراهيم بن هشام، ومات خالد القسري معهما في يوم واحد[1].

وهلك العرجي، وهلك خصمه محمد بن هشام، وبقي شعر العرجي، وخاصة قوله (أضاعوني) يتردد على الأفواه على مر العصور، من ذلك أن إسحاق الموصلي غنى هارون الرشيد يوماً في عُرض الغناء:

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فقال له الرشيد: ما سبب هذا الشعر حتى قاله العرجي؟ فأخبره بخبره من أوله إلى أن مات، فرأيتُه يتغيَّظ كلما مرَّ منه شيء، فأتبعته بحديث قتل ابن هشام، فجعل وجهه يسفر، وغيظه يسكن، فلما انقضى الحديث قال لي: يا أبا إسحاق، والله لولا ما حدثتني به من فعل الوليد بن يزيد، لما تركت أحداً من أماثل بني مخزوم إلا قتلته بالعرجي[2].

* * *

الكُمَيْت بن زيد الأسدي

حُبس، وجُلد، وشُرِّد، وقتله حرس الأمير وهو ينشده الشعر (سنة 126هـ)

الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد الأسدي، شاعر مقدم، من الشعراء الأمويين، من الشيعة الزيدية، وعُرف ثلاثة شعراء باسم الكميت، وكلهم من بني أسد، وهم: الكميت بن زيد، والكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل، والكميت بن معروف بن الكميت الأكبر[3]، ويرى ابن سلام أن الكميت بن معروف أشعرهم

(1) الأغاني 1/402 ـ 403.

(2) الأغاني 1/403 ـ 404.

(3) المؤتلف والمختلف 257، معجم الشعراء ص 237 ـ 238.

قريحة، والكميت بن زيد أكثرهم شعراً[1].

وصف الكميت بأنه كان طويلاً أصم، ولم يكن حسن الصوت، ولا جيد الإنشاد، فكان إذا استُنْشِد أمر ابنه المستهل فأنشد، وكان المستهل فصيحاً حسن الإنشاد، وكان الكميت أصمَّ أصلخ وفي عينيه عمش، أما لونه فكان أحمر، فهو أحمر أعمش أصم[2]، ومع كل هذه الصفات فإنه كان كثير الاعتزاز بنفسه، وقد يرى نفسه لا يقل عن قريش فضلاً، وفيه عصبية وحسد، ومصداق ذلك ما ذكره التوحيدي، قال: «خطب رجل إلى الكميت، فظل يفخر عليه، ويذكر فضل قريش، وأكثرَ من ذلك، فقال له الكميت: يا هذا، إن نكحناك لم نبلغ السماء، وإن رددناك لم تبلغ الماء، وقد رددناك»[3]. كان الكميت بن زيد عالماً بلغات العرب وأيامها، من شعراء مضر وألسنتها المتعصبين على القحطانية، المقارعين لشعرائها، العلماء بالمثالب والأيام، المفاخرين بها، كان معروفاً بالتشيع لبني هاشم، مشهوراً بذلك، وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره[4].

كان في أول أمره معلماً للصبيان في مسجد الكوفة، وكانت بينه وبين الطرماح خلطة ومودة، مع اختلاف المذهب، فالطرماح خارجي صفري قحطاني، عصبي لقحطان، من شعراء اليمن، متعصب لأهل الشام، والكميت شيعي عدناني من شعراء مضر متعصب لأهل الكوفة.

اتصل الكميت بولاة الكوفة، وكان أكثر شعره في نشأته في مديح هؤلاء الولاة، مثل الحكم بن الصلت الثقفي، وقتيبة بن مسلم الباهلي، ويزيد بن المهلب، ومسلمة بن عبد الملك. ولما اتصل بالخلفاء الأمويين مدحهم، وكان من ممدوحيه الذين عاصرهم: عبد الملك بن مروان، وهشام بن عبد الملك،

(1) طبقات الشعراء ص 631.
(2) معجم الشعراء ص 278.
(3) البصائر وللذخائر ق 1/ 185.
(4) الأغاني 17/ 3.

ويزيد بن عبد الملك، وعلى الرغم من تعصب الكميت للعلويين فهو يمدح خصومهم الأمويين وولاة الأمويين الذين قتلوا إمامه زيد بن علي، وعلى الرغم من عصبية الكميت للمضريين، فهو يمدح خالد بن عبد الله القسري اليمني الشديد العصبية على المضربين، والشديد على الشيعة والمولع بشتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولا شك أن مديح الكميت لهؤلاء الخصوم تعبير عن سلوك الكميت المتقلب، الذي يمدح الأمويين وولاتهم للدنيا، ويمدح العلويين وأئمتهم للآخرة، وقد اتخذ التقية وسيلة وغطاء.

ولم تستقم الأمور للكميت بمدح الأمويين وولاتهم، فكان الصدع الذي أدى بالكميت إلى السجن، وذلك أن الكميت كان يهجو أهل اليمن لانتقاصهم من العلويين، وهو لا يستطيع الدفاع عن العلويين علناً، ولكنه اتخذ هجاء اليمنيين والافتخار بالمضريين وسيلة، واليمنيون لا يستطيعون هجاء المضريين والأمويون منهم، وقد أوضح أبو الفرج ذلك في قوله: «إن سبب هجاء الكميت أهل اليمن، إن شاعراً من أهل الشام يقال له حكيم بن عيَّاش الكلبي كان يهجو عليَّ بن أبي طالب عليه السلام، وبني هشام جميعاً، وكان منقطعاً إلى بني أمية، فانتدب له الكميت فهجاه وسبَّه، فأجابه ولجَّ الهجاء بينهما، وكان الكميت يخاف أن يفتضح في شعره عن عليٍّ عليه السلام، لما وقع بينه وبين هشام، وكان يُظهر أن هجاءه إياه في العصبية التي بين عدنان وقحطان»[1].

ويوضح الكميت قصده من هجاء اليمانية، فقد روى المستهل بن الكميت أنه سأل أباه قائلاً: «إنك هجوت الكلبي فقلت:

ألا يـا سَلْـمُ يـا تـربـي   أفـي أسمـاء مـن تِـربـي

وغمزت عليه فيها، ففخرت في بني أمية، وأنت تشهد عليها بالكفر، فألا فخرت بعليٍّ وبني هاشم الذين نتولاهم؟ فقال: يا بُني، أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بني أمية، وهم أعداء عليّ عليه السلام، فلو ذكرت علياً لترك ذكرى، وأقبل

(1) الأغاني 17/39 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1992.

على هجائه، فأكون قد عرّضتُ عليّاً له، ولا أجد له ناصراً من بني أمية، ففخرت عليه ببني أمية وقلت: إنْ نقضها عليّ قتلوه، وإن أمسك عن ذكرهم قتلته غَمّاً وغلبته، فكان كما قال، أمسك الكلبي عن جوابه، فغلب عليه وأفحم الكلبي»[1].

ولم يمر هجاء الكميت لليمانية بسلام، فقد ثارت حفيظة خالد بن عبد الله القسري أمير العراق، وزاد بغضه للكميت، وكان للكميت موقف قبل هذا من خالد القسري، وذلك أن خالداً كان والياً على الكوفة، وهو يمني من بجيلة، شديد العصبية على المضربة، مبغضاً للشيعة، وكان يتربص بالكميت ويكيد له، وقد سنحت الفرصة، بأن تحدث الناس بعزل خالد عن العراق، وقد مرَّ خالد يوماً فلما جاز تمثل الكميت[2]:

أراها وإنْ كانت تُحَبُّ كأنها ... سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ

فسمعه خالد، فرجع وقال: أما والله لا تنقشع حتى يغشاك منها شؤبوبُ بَرَد، ثم أمر به فجُرِّد، فضربه مئة سوط، ثم خلَّى عنه ومضى.

أما بعد أن هجا الكميت اليمانية، فلم تمر هذه الحادثة بسلام، فقد اهتبلها خالد القسري، وأراد أن ينكل بالكميت، وبيد الخليفة الأموي نفسه، فحين علم خالد القسري أن الكميت أنشد قصيدة يفخر بها بمضر، ويهجو فيها اليمن، وهي القصيدة التي أولها[3]:

ألا حُيِّيْـتِ عنَّـا يـا مـدينـا ... وهـل بـأسٌ بقـولِ مسلِّمينـا
لنـا قمـرُ السمـاءِ وكـلُّ نجـمٍ ... تشيـرُ إليـهِ أيـدي المهتـدينـا
وجـدتُ اللّـهَ إذ سَمَّـى نِـزاراً ... وأسكنهـم بمكـةَ قـاطنينـا

(1) الأغاني 17/40.
(2) الأغاني 17/17، ديوانه (شعر الكميت) ص 210، جمع وتحقيق داود سلوم، ط عالم الكتب، بيروت 1997.
(3) ديوان الكميت 2/412 ـ 413، وانظر الرواية في الأغاني 17/6.

لنا جعل المكارمَ خالصاتٍ وللناسِ القفا ولنا الجبينا

ثارت حفيظته، ورسم للكميت مكيدة موجعة، فقد رَوَّى جارية حسناء قصائد الكميت الهاشميات، وأعدها ليهديها إلى هشام بن عبد الملك، وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني أمية، وأنفذ إليه قصيدته التي أولها[1]:

ألا هل عَمٍ في رأيهِ متأمِّلُ وهل مُدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ

وفيها يقول:

تَحِلُّ دماءُ المسلمين لديهمُ ويحرُمُ طلعُ النخلةِ المتهدِّلُ
وليس لنا في الفَيءِ حظٌّ لديهمُ وليس لنا في رحلةِ الناسِ أرحُلُ
فيا ربِّ هل إلا بك النصر نبتغي عليهم وهل إلا عليكَ المُعَوَّلُ

وهي قصيدة طولة يرثي بها زيد بن علي، وابنه الحسين بن زيد، ويمدح بني هاشم، فلما قرأها هشام، أكبرها وعظمت عليه، واستنكرها، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده[2]، وقيل: كتب هشام إلى خالد أن يقطع يدي الكميت ورجليه، ويضرب عنقه، ويهدم داره، ويصلبه على ترابها[3]، فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقةٌ بداره، فأخِذ وحُبِس في المخيس[4].

وتناهى الخبر إلى أبان بن الوليد البجلي، عامل واسط، وهو صديق الكميت، وكان الكميت قد مدحه، فبعث أبان غلاماً على بغلٍ وقال له فيما يروي أبو الفرج: «أنت حُرٌّ إن لحقته، والبغل لك، وكتب له: قد بلغني ما صرت إليه، وهو القتل، إلا أن يدفع الله عزَّ وجل، وأرى لك أن تبعث إلى

(1) ديوان الكميت ـ الهاشميات 4/209، 212، والهاشميات ص 164 ـ 165 ط بيروت 1986.
(2) الأغاني 17/6.
(3) الأغاني 17/19.
(4) المخيس: سجن الكوفة.

حُبَّى ـ يعني زوجة الكميت، وهي بنت نُكَيف بن عبد الواحد، وهي ممن يتشيع أيضاً ـ فإذا دخلت إليك تنَقَّبْتَ نِقابَها، ولبِستَ ثيابها وخرجتَ، فإني أرجو أن لا يُؤبَه لك»[1].

فأرسل الكميت إلى فتيان من بني عمه فأخبرهم، ومنهم أبو وضاح حبيب بن بُديل، فأخبره الخبر، وشاوره فيه، فسدَّد رأيهُ، ثم بعث إلى حُبَّى زوجة الكميت، فقص عليها القصة، فوافقت المرأة، ودخلت على الكميت في سجنه، فألبسته ثيابها وإزارها، وخمَّرته، وقالت له: اخرج على اسم الله.

وكان على باب السجن أبو وضاح حبيب بن بُديل، ومعه فتيان من بني أسد، فخرج الكميت متنكراً بزي امرأة، ومعه جارية، فلم يؤبه له، ومشى الفتيان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية الكناسة[2].

ولا شك أن هيئة المرأة ومشيتها، تختلف عن هيئة الرجل ومشيته، فحين مروا بمجلس من مجالس بني تميم، قال بعضهم وأشار إليه: رجل وربِّ الكعبة، وأمر غلامه أن يتبعه، وصاح به أبو الوضاح: يا كذا وكذا، لا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم، وأومأ إليه بنعله، فولَّى العبد مدبراً، وأدخله أبو الوضاح منزله[3].

أما حُبَّى زوجة الكميت، فقد مكثت في السجن مكان زوجها، ولما طال على السجان الأمر، نادى الكميت، فلم يُجِبْه، فدخل ليعرف خبره، فصاحت به المرأة: وراءَكَ لا أمَّ لك، فصُعِق السجَّان ومضى مفزوعاً إلى خالد القسري، فأخبره الخبر، فأحضرت حُبَّى وقال لها: يا عدوة الله، احتلتِ على أمير المؤمنين، وأخرجتِ عدوَّهُ، لأمثِّلنَّ بك، ولأصنعنَّ ولأفعلنَّ، فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا: ما سبيلك على امرأة منَّا خُدِعَتْ، فخافهم، فخلَّى سبيلَها.

---

(1) الأغاني 7/17.
(2) الكناسة: محلة بالكوفة.
(3) الأغاني 8/17.

وبقي الكميت متوارياً، يتنقل من مكان إلى آخر، حتى إذا أيقن أنَّ الطلب خفَّ عنه، خرج ليلاً في جماعة من بني أسد، على خوف ووجل، وفيمن معه صاعد غلامه، وكان عالماً بالنجوم، مهتدياً به، فما زالوا يقطعون الفيافي حتى بلغوا الشام فتواروا في بني أسد وبني تميم، وأرسل الكميت إلى أشراف قريش يستأمنهم ويطلب جوارهم، وكان سيدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص، فمشت رجالات قريش بعضها إلى بعض، وأتوا عنبسة فقالوا: يا أبا خالد، هذه مكرمة قد أتاك الله بها، هذا الكميت بن زيد، لسان مضر، وكان أمير المؤمنين قد كتب في قتله، فنجا حتى تخلَّص إليك وإلينا، فأمرهم أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء[1]، وكان معاوية بن هشام قد مات قريباً، وجزع عليه هشام جزعاً شديداً، وقال له مسلمة بن هشام: فإذا كان الليل فاضرب رواقك على قبره، وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق، فإذا دعا بك، تقدمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك، ويقولوا: هذا استجار بقبر أبينا، ونحن أحق من أجاره.

ففعل الكميت وضرب فسطاطه عند قبره، فذهب مسلمة بن هشام إلى أبيه فاستشفعه في الكميت، فقبل بعد تردد شفاعته وقال: قد أمنته وأجزت أمانك له، فاجلس مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا، فأنشد الكميت قصيدته التي أولها[2]:

قِفْ بالديارِ وقوفَ زائرْ   وتأنَّ إنَّكَ غيرُ صاغرْ
درجتْ عليها الغادياتُ   الرائحاتُ من الأعاصِرْ

وفيها يقول:

فالآنَ صِرْتُ إلى أميَّـ   ـةَ والأمورُ إلى المصايرْ

(1) حنيناء: من أعمال دمشق، وقال نصر: حنيناء من قرى قنسرين. (ياقوت: حنيناء 312/2).

(2) شعر الكميت 188/1، الأغاني 17/9 ـ 10.

والآنَ كنـــتُ بـــه المصيـــبَ   كمهتـــدٍ بـــالأمـــسِ حـــائـــرْ

ومدح بني أمية مدحاً أعجب هشاماً والحاضرين، وقيل: إنه ارتجل تلك القصيدة وهي طويلة، فأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم وأمر له هشام بأربعين ألف درهم، وكتب إلى خالد القسري بأمانه وأمان أهل بيته، وأنه لا سلطان له عليهم، وقيل إنه كتب إلى خالد القسري أن يخلي سبيل امرأته ويعطيها عشرين ألف درهم وثلاثين ثوباً، ففعل ذلك[1].

ولا شك أن العلويين قد ساءهم ما صنع الكميت في مديح الأمويين، والتبرؤ من قصائده في هجائهم، وقد حاول الكميت أن يعتذر للعلويين ويجد لموقفه هذا وجهاً، فذهب إلى أبي جعفر محمد بن علي، فلما دخل عليه قال له: يا كميت، أنت القائل:

فـــالآنَ صِـــرْتُ إلـــى أميَّـ   ـــةَ والأمـورُ إلـى المصـايـرْ

قال: نعم قد قلت، ولا والله ما أردتُ به إلا الدنيا، ولقد عرفت فضلكم، قال: أما أن قلت ذلك فإن التقية لتحِلُّ[2]. وقيل: إن الكميت أرسل أخاه ورد بن زيد إلى أبي جعفر يستفتيه في مدح الأمويين، قال أبو جعفر: «نعم، هو في حِلٍّ، فليقل ما شاء»[3].

والظاهر أن الكميت كان في صراع نفسي بين الدين والدنيا، فقلبه مع العلويين، وعينه على الأمويين خوفاً وطمعا، وقد أحب الدنيا واطمأنَّ إليها، وعلى الرغم من كثرة القصائد التي قالها في مدح بني هاشم، والهاشميات التي دبجها، فقد كان مخلصاً لهم باللسان، فإذا جدّ الجد، وحان وقت البذل والتضحية، كان جباناً متردداً، يؤثر الدنيا على الآخرة، ومصداق ذلك أن إمامه زيد بن علي لما أعلن ثورته كتب إلى الكميت: اخرج معنا يا أعَيمِش، ألست القائل[4]:

(1) الأغاني 17/17.
(2) الأغاني 17/35.
(3) الأغاني 17/33.
(4) الأغاني 17/36.

ما أبالي ـ إذا حفظتُ أبا القا ... سـمِ ـ فيكم ملامة اللوامِ

فكتب إليه الكميت:

تجودُ لكم نفسي بما دون وثبةٍ ... تظلُّ لها الغربان حولي تحجلُ

وتقوم ثورة زيد بن علي، وتفشل الثورة، ويُقتل زيد، وبقي الكميت يلوم نفسه ويندم على قعوده عن نصرة إمامه ولا يملك إلا أن يقول شعراً يصور فيه ندمه وأسفه[1]:

دعاني ابن النبيِّ فلم أجِبْهُ ... ألهفي لَهْفَ للرأي الغبينِ

فيا ندماً غداةَ تركتُ زيداً ... ورائي لابنِ آمنةَ الأمينِ

تُرى أكان هذا الندم حقيقياً، نابعاً من أعماق نفسه؟ إن الأحداث تكذب ذلك، فالذي يخلص في ولائه لإمامه زيد بن علي، لا يذهب برجله إلى حتفه، ويمدح قاتل زيد بن علي، وهو يوسف بن عمر الثقفي، فقد دخل الكميت على يوسف بن عمر، بعد قتله زيد بن علي، فمدحه، وعرَّض بخالد القسري، وكان يوسف بن عمر قد عذب خالد القسري حتى قتله، ومما قاله الكميت في مدح ابن عمر:

خرجتَ لهم تمشي البَرَاحَ ولم تكن ... كمن حصنه فيه الرتاجُ المضبَّبُ

وما خالدٌ يستطعمُ الماءَ فاغِراً ... بعدلِكَ والداعي إلى الموتِ ينعَبُ[2]

فأثار الكميت حفيظة الجند اليمانية، وهم قيام على رأس يوسف بن عمر، فغضبوا لخالد، فوضعوا ذُبابَ سيوفهم في بطن الكميت، فلم يزل ينزف الدم حتى مات[3].

---

(1) الهاشميات ص 205.

(2) قوله يستطعم الماء: قيل إن الجعفرية خرجت على خالد بن عبد الله القسري وهو يخطب على المنبر، وهو لا يعلم بهم، فخرجوا في التبابين ينادون: لبيك جعفر، لبيك جعفر، فدهش خالد فلم يعلم ما يقول فزعاً، فقال: أطعموني ماء. (الأغاني 17/22).

(3) شعر الكميت 1/76 ـ 77، الأغاني 17/22 ـ 23.

وهكذا ذهب دم الكميت هدراً، بعد أن عاش قلقاً خائفاً متوارياً، فلم تنفعه تقيته وهرولته خلف بني أمية وولاتهم، ولم يسلم ويحافظ على ولائه لآل البيت، فكان ضحية التذبذب بين طمع الدنيا ورجاء الآخرة، يرحمه الله.

* * *

ابن الدُمَيْنَة

يقتل زوجته وابنته وغريمه، ثم يُقتل (سنة 130 هـ)

هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد، أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر الخثعمي، وغلب عليه اسم أمه الدمينة بنت حذيفة السلولية، يكنى ابن الدمينة وأبا السري[1].

نشأ ابن الدمينة في منازل خثعم، في الأصقاع الواقعة جنوبي الحجاز مما يلي اليمن، وديار خثعم في مناطق تربة وبيشة وتبالة، وقد ذكر ذلك في شعره، كان ابن الدمينة فارساً شجاعاً قوياً جميلاً فصيحاً، وهذه الصفات العربية التي يتمناها الرجال، جعلت النساء تتعلق به، بل وتتغزل به، فقد كان أثيراً عند النساء من ذلك أن صاحبته (أميمة) تتغزل بجماله على غير ما هو معهود في شعر النساء، ولا تكتم حبها، فتقول[2]:

أيا حسنَ العينينِ أنتَ قتلتني ... ويا فارسَ الخيلين أنت شِفائيا
ورغَّبْتني الظِمءَ الطويلَ بشَربةٍ ... على ظَمأٍ لم يُشفَ منها فؤاديا

وكان ابن الدمينة عفيف اللسان كريماً يؤثر الضيفَ والجارَ على نفسه، فهو يقول[3]:

---

(1) الأغاني 17/98.

(2) ديوان ابن الدمينة ص 197 تحقيق أحمد راتب النفاخ، ط دار العروبة، القاهرة 1379 هـ.

(3) الديوان ص 66.

ولم أبخلْ على ضيفي وجاري   بغالي ما أفيدُ ولا الرخيصِ
بذلك كان أوصاني جدودي   فأرعى عهدَهم والجَدُّ موصي

وهو بكرمه وإيثاره الضيف واحتماله الأذى في سبيل الرفيق، يقتدي بشمائل حاتم الطائي، فابن الدمينة يصبر على الجوع ويبيت خميص البطن، ويفترش الأرض، ويلتحف السماء، إيثاراً لضيفه بالطعام ووثير الفراش، كي يغنم الذكر الجميل[1]:

أبيتُ خميص البطن غرثانَ جائعاً   وأوثرُ بالزادِ الرقيقِ على نفسي
وأفرِشُهُ فَرْشي وأفترش الثرى   وأجعلُ مسَّ الأرض من دونهِ لَبْسي
حِذارَ أحاديثِ المحافلِ في غَدٍ   إذا ضَمَّني يوماً إلى صدرهِ رَمسي

وشُهِرَ ابن الدمينة بقصة حبِّه، فهو أحد عشاق العرب، وجُلُّ ديوانه غزل عفيف، فيه شوق ولوعة، وقد توافرت فيه صفات تجذب النساء إليه وتستهويهن، من الفروسية والشجاعة، وكمال الرجولة، وجمال الصورة، وفصاحة اللسان، وكان، كما يقول ابن شاكر الكتبي[2]: «فتى يحب الغزل ومحادثة النساء»، وقد جاء في شعره أسماء مجموعة من النساء، منهن حمَّاء، وأميمة، وسلم، وأم عمرو، ولكن الغالبة على حبه وغزله هي أميمة التي لهج بذكرها وشبب بها، وكان يناديها بـ (يا أميمَ القلب)، في قوله[3]:

قفي يا أميمَ القلبِ نقضِ لُبانةً   ونَشْكُ الهوى ثم افعلي ما بدا لكِ

وقوله من قصيدة أخرى[4]:

ألا يا أميمَ القلبِ نرضى إذا بدا   لنا فيكِ ودٌّ مثلُ ودِّكِ دائمُ
هجرتُكِ أياماً بذي الغَمْرِ إنَّني   على هَجْرِ أيامٍ بذي الغَمْرِ نادمُ

---

(1) الديوان ص 118.
(2) عيون التواريخ، وفيات سنة 143، مخطوطة دار الكتب الظاهرية، دمشق.
(3) الديوان ص 13.
(4) الديوان ص 21.

وقيل: إنه ظل يتبع أميمة هذه ثلاثة أعوام، وهي تصد عنه، وتضن بوصلها عليه، وفي الأغاني: «أن ابن الدمينة هوى امرأة من قومه يقال لها أميمة، فهام بها مدة، فلما وصلته تجنَّى عليها، وجعل ينقطع عنها، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلاً، ثم أقبلت عليه فقالت:

وأنتَ الذي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يلومُ
وأبرزتَني للناسِ ثم تركتني ... لهم غَرَضاً أرمى وأنتَ سليمُ
فلو أنَّ قولاً يكلمُ الجسمَ قد بدا ... بجسمي من قولِ الوشاةِ كُلومُ

فأجابها ابن الدمينة:

وأنتِ التي قطَّعْتِ قلبي حزازةً ... ومزَّقْتِ قَرْحَ القلبِ فهو كليمُ
وأنتِ التي كلَّفتني دَلَجَ السُّرَى ... وجَونُ القَطا بالجَلْهَتينِ جُثومُ
وأنتِ التي أحفَظْتِ قومي كلَّهم ... بعيدُ الرضا داني الصدودِ كظيمُ

وقصة حبه بأميمة مفصلة في كتاب الأغاني، ويبدو أنه تزوجها لأن الأصفهاني بعد أن ذكر أبياتها السابقة في عتابه، يقول: «الشعر لأميمة امرأة ابن الدمينة، والغناء لإبراهيم الموصلي»[1].

وفي ترجمة ابن الدمينة ما يفيد أنه كان ممن يخيف السبيل، وقد أخِذ وضُرب وعوقب، وخلد في السجون، فصار يعزب عن الناس، كما يقول ابن شاكر[2]. وفي شعره ما يعزز ذلك، فقد ذكر السجن والسجان والقيود، ومكوثه في الحبس وتشوقه إلى من يحب، يقول[3]:

ذكرتُكِ والحدادُ يضربُ قيدَهُ ... على الساق من عوجاءَ بادٍ كعوبُها
فقلتُ لراعي السجنِ والسجنُ جامعٌ ... قبائلَ من شتى وشتى ذنوبُها
ألا ليتَ شعري هل أزورَنَّ نسوةً ... مُضَرَّجةً بالزعفرانِ جيوبُها

---

(1) الأغاني 17/105 ـ 106، الديوان ص 42.
(2) عيون التواريخ، وفيات سنة 143.
(3) الديوان ص 185 ـ 186.

وهل ألقَيَنْ بالسِّدْرِ من أيمَنِ الحِمى مُصحَّحَةَ الأجسامِ مرضى قلوبُها

وكان وقع السجن عليه شديداً، حتى أنه لا يريد صحبةَ قومٍ من أصحاب السجون ما دام حياً[1]:

وإنَّا لن نصاحِبَ ركبَ قومٍ ولا أصحابَ سجنٍ ما حَيِيْنا
فيختلطوا بنا إلا افترقنا عليهم بالسماحةِ مفضلينا

محنته:

كان لابن الدمينة زوجة اسمها (حمَّاء)، وقيل (حمادة)، رُميت بالفجور، وفي كتب الأدب والأخبار روايات عنها، وقد نخل أبو الفرج هذه الروايات، وساق أصحها في أغانيه، فقال ما خلاصته[2]: إن رجلاً من بني سلول يقال له مزاحم بن عمرو، كان يُرمى بامرأة ابن الدمينة، فكان يأتيها ويتحدث إليها حتى اشتهر ذلك فمنعه ابن الدمينة من إتيانها، واشتد عليها، فقال مزاحم يذكر ذلك:

يا بنَ الدمينةِ والأخبارُ يرفعُها وخْدُ النجائبِ والمحقورُ يُخفيها
يا بن الدمينة إنْ تغضبْ لِما فعلتْ فطالَ خزيُكَ أو تغضَبْ مواليها
أو تبغضوني فكم من طعنةٍ نَفَذٍ يغذو خلالَ اختلاجِ الجوفِ غاذيها

ويصرح بعداوته لبني تيم قوم ابن الدمينة، وأنه يلجُّ في عدائهم، ويبغي فضيحتهم، ويسطو على نسائهم ويشهر بامرأة ابن الدمينة، ويذكر علامات في جسمها، ويصور ما كان له معها من مغامرات فاضحة، فهو يقول متباهياً ومتبجحاً بما أتى من منكر:

أغشى نساءَ بني تيمٍ إذا هجعَتْ عنِّي العيونُ ولا أبغي مقاريها
كم كاعبٍ من بني تيمٍ قعدْتُ لها وعانسٍ حين ذاقَ النومَ حاميها
كقعدةِ الأعسرِ العلفوفُ منتحياً متينةً من متونِ النَّبْلِ يُنحيها[3]

(1) الديوان ص 151.
(2) الأغاني 17/99 وما بعدها.
(3) العلفوف: الرجل الكثير اللحم والشعر.

وشهقَةٍ عندَ حسِّ الماءِ تشهَقُها　　وقولُ رُكْبَتِها قِضْ حينَ تُثْنيها[1]
عـلامـة كَيَّـةٍ مـا بيـنَ عـانتِهـا　　وبين سَبَّتِها لا شُلَّ كاويها[2]

ولما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم، أتى امرأته فقال لها: قد قال فيك هذا الرجل ما قال، وقد بلغكِ، قالت: والله ما رأى ذلك مني قط، قال: فمن أين له العلامات؟ قالت: وصفهن له النساء، قال: هيهات والله أن يكون ذلك كذلك، ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاحماً قد نسي القصة، ثم أعاد عليها القول، وأعادت الحلف، أن ذلك مما وصفه له النساء، فقال لها: والله لئن لم تمكنيني منه لأقتلنَّك، فعلمت أنه سيفعلُ ذلك، فبعثت إليه وواعدته ليلاً، وقعد له ابن الدمينة وصاحبٌ له، فجاءها للموعد، فجعل يكلمها وهي مكانها لا تكلمه، فقال لها: يا حمَّاء، ما هذا الجفاء الليلة؟ فتقول له بصوت ضعيف: ادخل، فدخل، فأهوى بيده ليضعها عليها، فوضعها على ابن الدمينة، فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حصى في ثوب فضرب بها كبِدَه حتى قتله، وأخرجه فطرحه ميتاً، فجاء أهلُه فاحتملوه، ولم يجدوا به أثر السلاح، فعلموا أن ابن الدمينة قتله[3].

ثم أتى ابن الدمينة امرأته، فطرح على وجهها قطيفة، ثم جلس عليها، حتى قتلها، فلما ماتت قال:

إذا قعدتُ على عرنينِ جاريةٍ　　فوق القطيفة فادعوا لي بحَفَّارِ

فبكت بُنَيَّةٌ له منها، فضرب بها الأرض فقتلها، وقال متمثلاً: «لا تتخذنَّ من كلبِ سَوْءٍ جَرْواً»[4].

وحين قتل مزاحماً السلولي قال متشفياً[5]:

لك الخيرُ إنْ واعدتَ حمَّاءَ فالقَها　　نهاراً ولا تُدْلِجْ إذا الليلُ أظلما

---

(1) قض: حكاية صوت الركبة إذا صاتت.
(2) السَّبَّة: الاست.
(3) الأغاني: 17/101.
(4) الأغاني 17/102.
(5) ديوانه ص 181.

فـإنـكَ لا تـدري أبيضـاءَ طَفْلَـةً تُعانِقُ أم ليثاً من القوم قَشْعَما

فلما سرى عن ساعديَّ ولحيتي وأيقَنَ أنّي لستُ حمَّاءَ جَمْجَما

فلما تمَّ له قتل غريمه، وقتل زوجته هرب من ليلته.

وعلم أهل مزاحم القتيل، فخرج أخوه جَناح بن عمرو إلى والي مكة أحمد بن إسماعيل، فاستعداه على ابن الدمينة، فبعث إليه فحبسه، فلما طال حبس ابن الدمينة، ولم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلا، ولا حجة، خلاَّه[1]. ثم اقتتل الحيَّان، فقتلت بنو سلول رجلاً من خثعم مكان المقتول، وقتلت خثعم بعد ذلك نفراً من سلول، ثم اصطلحوا.

وكانت أم أبان والدة مزاحم بن عمرو المقتول، تحرض ابنها مصعباً على الثأر لأخيه، وقد كان مصعب عند قتل أخيه صغيراً، فلما شبَّ قالت أمه تحرضه: «اقتل ابن الدمينة، فإنه قتل أخاك، وهجا قومك، وذم أختك، وقد كنتُ أعذرك قبل هذا، لأنك كنت صغيراً وقد كبرت الآن»، فلما أكثرت عليه خرج من عندها يريد قتل ابن الدمينة[2].

وأقبل ابن الدمينة حاجاً بعد مدة طويلة، فنزل بتبالة، فبصر به مصعب، وكان ابن الدمينة واقفاً ينشد الناس، فغدا مصعب إلى جزار، فأخذ شفرته، وعدا على ابن الدمينة، فجرحه جراحتين، فقيل: إنه مات لوقته، وقيل: بل سلم تلك الدفعة، ومرَّ به مصعب وهو في سوق العبلاء يُنشد، فعلاه بسيفه حتى قتله وأخِذ مصعب فحُبِس في سجن تبالة[3].

وفي رواية أن ابن الدمينة لم يمت، وحُبِس مع مصعب وهو جريح، فاستصرخ مصعب قومه بشعر كتب إليهم به من السجن، فأخذتهم الحمية، فأقبلوا في هَدْءٍ من الليل، حتى اقتحموا السجن وأطلقوه، فهرب إلى صنعاء،

---

(1) الأغاني 17/102.
(2) الأغاني 17/102 ـ 103.
(3) الأغاني 17/103.

وأما ابن الدمينة، فما لبث أن مات من ليلته متأثراً بجراحه، وطُلَّ دمه[1].

وقال السكري في خبره: ومكث ابن الدمينة جريحاً ليلته، ومات في غد، فقال في تلك الليلة يحرض قومه ويوبخهم[2]:

أمصعبُ قد نجوتَ من الأعادي ... ولـم تُصبـحْ بمعتـرَكٍ قتيـلا
هتفـتَ بـأكلُبٍ ودعـوتَ قيسـاً ... فـلا خُـذُلاً دعـوتَ ولا قليـلا
ثأرتَ مزاحماً وسررتَ قيساً ... وكنـتَ لِمـا هممـتَ بـهِ فَعُـولا
ونـادى مصعـبُ قيسـاً فجـاءتْ ... ونـاديـتُ المُـرجَّـى والخَـذولا
فـلا تَشلَـلْ يـداك ولا تـزالا ... تفيـدان الغنـائـم والجـزيـلا
فلـو كـان ابـنُ عبـد اللّـهِ حَيّـاً ... لصَبَّـحَ فـي منـازِلهـا سَلـولا

وهكـذا طـويـت صفحـة شـاعـر مجيـد مـن شعـراء الغـزل العفيـف، ومـن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وذلك سنة 143 هـ.

* * *

عبد الحميد الكاتب

تشرد، وعُذِّب، ثم قُتل (سنة 132 هـ)

عبد الحميد بن يحيى بن سعيد الكاتب، فارسي الأصل من موالي بني عامر بن لؤي، من أهل الأنبار بالعراق، سكن الكوفة، بدأ حياته معلماً في الكتاتيب، يتنقل بين القرى لتعليم الصبيان[3]. عُرف بفصاحته وجودة بيانه، وبرع في الكتابة، ثم ترقى فعمل في ديوان الخلافة كاتباً لهشام بن عبد الملك، وأعجب به سالم فأصهر إليه، وما زال به حتى خرَّجه كاتباً لا يُبارى[4]. ثم

---

(1) الديوان ص 17، المقدمة.
(2) الديوان ص 10 ـ 11، الأغاني 17/ 103.
(3) وفيات الأعيان 3/ 228.
(4) العصر الإسلامي ـ شوقي ضيف ص 473، وسالم: هو سالم بن عبد الله أبو العلاء، =

اتصل بمروان بن محمد وكان عاملاً لهشام على أرمينية، فاتخذه كاتباً له، وحين يتولى مروان بن محمد الخلافة (127 ـ 132 هـ) يجعله رئيساً لديوانه، وتصدر عنه كل الرسائل التي صدرت عن ديوان مروان، والتي امتازت بالبيان الرائع، والأسلوب البديع، والحجج السديدة، ويبقى عبد الحميد ملازماً لمروان، ويشهد ما حلَّ بالخلافة، من انقضاض جيوش أبي مسلم الخراساني، ويبقى عبد الحميد مصاحباً لمروان في وقائعه وفي هزيمته بموقعة الزاب، وحين يتجه مروان إلى مصر ويقتل في معركة بوصير، يكون عبد الحميد معه، لم يتخلَّ عنه، وبقي وفياً مخلصاً حتى الرمق الأخير.

ومن صور وفاء عبد الحميد وثباته على مبدئه ونقاء معدنه، ما رواه المسعودي[1]، من أن مروان بن محمد قال له حين أيقن بزوال ملكه: «قد احتجت أن تصير مع عدوي وتُظهر الغدرَ بي، فإن إعجابهم بأدبك، وحاجتهم إلى كتابتك، يحوجهم إلى حسن الظن بك، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي، وإلا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي»، فقال له عبد الحميد: «إن الذي أشرت به عليَّ أنفع الأمرين لك، وأقبحهما بي، وما عندي إلا الصبر، حتى يفتح الله تعالى أو أقتلَ معك»، وأنشد:

أسِـرُّ وفـاءً ثـم أظهِـرُ غَـدرَةً ... فمن لي بعذرٍ يوسعُ الناسَ ظاهرِ

أما نهاية عبد الحميد، فهناك جملة روايات، فقد قيل: إن عبد الحميد بعد معركة الزاب، هام على وجهه واختفى مدة، ثم طلبه السفاح، فأحضره وعذبه حتى مات، وقيل: إن عبد الحميد قُتل مع مروان بن محمد، سنة اثنتين وثلاثين ومئة، بقرية بوصير من أعمال الفيوم بالديار المصرية، وقيل: بل استخفى عبد الحميد بعد قتل مروان بالجزيرة فغُمِز عليه، فأخِذ ودُفِع إلى أبي

= مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه على ديوان الرسائل، وهو أستاذ عبد الحميد الكاتب وختنه. (معجم الأدباء 3/1340 تحقيق إحسان عباس).

(1) مروج الذهب 3/263، وفيات الأعيان 3/229.

العباس السفاح، ووكل هذا عبدَ الجبار بن عبد الرحمان صاحب شرطته بعذابه وقتله، فكان عبد الجبار يحمي طَسْتاً بالنار ويضعه على رأسه، حتى مات[1].

وفي رواية، عن محمد بن العباس اليزيدي، أن الذي قتل عبد الحميد هو أبو جعفر المنصور، أخو السفاح، فقد أُتي بعبد الحميد بعد قتل مروان بن محمد، وبالبعلبكي المؤذن، وسلام الحادي، فهَمَّ المنصور بقتلم جميعاً، لكونهم من أصحاب مروان، فقال سلام: استبقني يا أمير المؤمنين، فإني أحسن الناس حُداءً، فقال: وما بلغ من حدائك؟ فقال: تعمد إلى إبلٍ فتظمئها ثلاثاً، ثم توردها الماء، فإذا وردت رفعتُ صوتي بالحداء، فترفع رؤوسها، وتدع الشرب، ثم لا تشرب حتى أسكت، قال: فأمر المنصور بإبل فأظمئت ثلاثة أيام، ثم أوردت الماء، فلما بدأت بالشرب، رفع صوته بالحُداء، فامتنعت من الشرب، ثم لم تشرب حتى سكت، فاستبقى سلاماً وأجازه، وأجرى عليه رزقه.

وقال له البعلبكي المؤذن: استبقني يا أمير المؤمنين، قال: وما عندك؟ قال: أنا مؤذن، قال: وما بلغ من أذانك؟ قال: تأمر جارية تقدم إليك طَسْتاً وتأخذ بيدها إبريقاً، وتصب عليك، وأبتدىء بالأذان، فتدهش ويذهب عقلها إذا سمعت أذاني، حتى تلقي الإبريق من يدها وهي لا تعلم، فأمر جارية فأعدت إبريقاً فيه ماء، وقدمت إليه طستاً وجعلت تصب عليه، ورفع البعلبكي صوته بالأذان، فبقيت الجارية شاخصة، وألقت الإبريق من يدها، فاستبقاه وأجازه، وأجرى عليه الرزق، وصيَّر أمر الجامع إليه.

وقال عبد الحميد: استبقني يا أمير المؤمنين، قال: وما عندك؟ قال: أنا أبلغ أهل زماني في الكتابة، فقال له المنصور: أنت الذي فعلت بنا الأفاعيل، وعملت بنا الدواهي، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم ضربت عنقه[2].

ولا شك أن أثر الافتعال ظاهر في هذه الرواية، والراجح أن السفاح هو

---

(1) وفيات الأعيان 3/230.

(2) وفيات الأعيان 3/230، ثمار القلوب ص 199.

الذي قتل عبد الحميد وليس المنصور. وهناك رواية أخرى تجعل عبد الحميد يختبىء عند ابن المقفع، ويُقبض عليه عنده، روى الجهشياري قال «طُلب عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وكان صديقاً لابن المقفع، ففاجأهما الطلب وهما في بيت، فقال الذين دخلوا عليهما: أيكم عبد الحميد؟ فقال كل واحد منهما: أنا، خوفاً من أن ينالَ صاحبه مكروه، وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع، فقال: ترفَّقوا بنا، فإنَّ كُلاً منا له علامات، فوكلوا بنا بعضكم، ويمضي البعض الآخر ويذكر تلك العلامات لمن وجَّهكم، ففعلوا، وأخذ عبد الحميد»[1].

وهكذا فقد البيان العربي علماً من أعلامه النادرين، فقد كان عبد الحميد قمة في البلاغة العربية، ضُرب به وبرسائله المثل، حتى قيل: «فتحت الرسائل بعبد الحميد، وخُتِمت بابن العميد»[2]. وكان إماماً في العلم والأدب، عنه أخذ المترسلون، ولطريقته لزموا، ولآثاره اقتفوا، وهو الذي سهَّل سبيلَ البلاغة في الترسل وبلغت رسائله مقدار ألف ورقة، وهو أول من أطال الرسائل، واستعمل التحميدات في فصول الكتب، فاستعمل الناس ذلك بعده[3].

وقد ذكر الكتاب عبدَ الحميد، فأثنوا عليه، وأعجبوا بأسلوبه، وقلدوه في طريقته، قال إبراهيم بن العباس الصولي، وقد ذُكِر عنده عبد الحميد: «كان والله الكلام مُعاناً له، ما تمنيت كلام أحد من الكتّاب قط أن يكون لي مثل كلامه»[4]. ويقول ابن النديم: «عنه أخذ المترسلون، ولطريقته لزموا، وهو الذي سهَّل سبيل البلاغة في الترسل»[5].

ومن أشهر رسائل عبد الحميد، رسالته إلى الكتاب، التي دوَّن فيها أصول

---

(1) الوزراء والكتاب ص 79 ـ 80، وفيات الأعيان 3/231.
(2) وفيات الأعيان 3/228.
(3) السابق والصفة.
(4) ثمار القلوب ص 197، وفيات الأعيان 3/229.
(5) الفهرست ص 170.

صناعة الكتابة، وأهمية الكُتَّاب في تدبير الحكم، وما ينبغي أن يتحلوا به من آداب وإلمام بالثقافة ومعرفة السياسة، وما يصلح من آداب تجاه الخلفاء والولاة والرعية، ويحث فيها الكُتَّاب على التزود بالعلوم والآداب، وعلوم الدين والدنيا، بالإضافة إلى إجادة الصناعة من حيث جودة الخط وآداب الكتابة، وفي رسالته يقول: «فنافسوا معشر الكتَّاب في صنوف العلم والآداب، وتفقهوا في الدين، وابدأوا بعلم كتاب الله عزَّ وجل، والفرائض، ثم العربية، فإنها ثقافة ألسنتكم، وأجيدوا الخط، فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمون إليه بهمتكم. . . »[1].

وهكذا فقدت العربية علماً فذاً من أعلامها، وما كان يضر السياسة أن تتجاوز عن أديب العربية لعلمه وبيانه، ويكون ذخراً لكل دولة وسلطان، ولكن السياسة ـ على ما أظن ـ عمياء حمقاء في كل زمان ومكان.

* * *

ابن المُقَفَّع

قُطِّعَ عضواً عضواً وألقي في التنور (سنة 142 هـ)

كان اسم ابن المقفَّع قبل إسلامه روزبة بن داذويه، من أصل فارسي، ولد في البصرة سنة 106 هـ، في خلافة هشام بن عبد الملك، وعاش حتى قُتل في زمن المنصور متهماً بالزندقة.

كان أبوه داذويه قد ولي خراج فارس من قبل الحجاج «فمد يده وأخذ الأموال، فعذَّبه فتقفَّعت يده، فقيل له المقفَّع»[2]، وقيل: بل سُمِّي المقفِّع (بكسر الفاء) لأنه كان يعمل القِفاع ويبيعها، وهي سلال من خوص شبيهة

(1) الوزراء والكتاب ص 73، صبح الأعشى 1/85.
(2) وفيات الأعيان 2/155.

بالزنبيل بدون عروة، والشائع هو الرأي الأول.

نشأ ابن المقفع على دين المجوسية، وخاصة المانوية، إلى أن أسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح، فصار اسمه (عبد الله) وتكنى بأبي محمد، وكانت الأفكار المجوسية قد تفشت في العصر العباسي بما ترجم من تعاليمها من زرادشتية ومانوية ومزدكية، إلى اللغة العربية، وكان ممن ترجم كتب المجوسية عبد الله بن المقفع، حتى أن الخليفة المهدي العباسي ليقول: «ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع»[1]، وقد تُوسع في استعمال لفظ الزندقة، فأطلق في العصر العباسي على طائفة من الماجنين الذين أسرفوا في اللهو والعبث والاستخفاف بأمور الدين، وكذلك أطلقت الزندقة على المانويين وغيرهم من المجوس الذين لم يدخلوا في الإسلام، وقد أسلم فريق منهم تقرباً للسلطان، وبقيت عقائدهم مضمرة في نفوسهم، وهؤلاء هم الذين كانوا عرضة لبطش الخلفاء العباسيين الذين حاربوهم وحاكموهم وقتلوهم، ولا شك أن الدوافع السياسية قد اتخذت من تهمة الزندقة وسيلة للبطش بالخصوم، وقد اتخذ المنصور هذه التهمة ذريعة للقضاء على خصومه السياسيين، ونشط ابنه المهدي من بعده لمحاربة الزنادقة، وهو أول من أحدث منصب (صاحب الزنادقة) لتعقب الزنادقة والقضاء عليهم، وقد صارت الزندقة تهمة العصر يطلقها الحكام على الخصوم من الشعراء والأدباء وأصحاب النحل والمذاهب.

أما زندقة ابن المقفع فلم تثبت كما يرى بعض الكتّاب المحدثين[2]، وكان مقتله لأسباب سياسية، ولكن الذي شجع الناس على اتهامه بالزندقة أنه كان مجوسياً، وكان له نشاطه في ترجمة الكتب الفارسية وما تحتويه من تعاليم مجوسية، وفي خبر إسلامه ما دل على مجوسيته، فقد أسلم على يد عيسى بن علي، وأراده أن يسلم أمام القواد ووجوه الناس، فلما حضر ابن المقفع دعاه

(1) وفيات الأعيان 2/151.

(2) بطرس البستاني ـ أدباء العرب في الأعصر العباسية ص 153.

عيسى إلى مأدبته، وراح ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس، فقال له عيسى: «أتزمزم وأنت على عزم الإسلام؟ فقال ابن المقفع: أكره أن أبيت على غير دين»[1].

وصار لابن المقفع، منذ أن أسلم، المكانة الرفيعة في الحياة الأدبية والفكرية، لما عرف به من علم وأدب وثقافة واسعة، وقد استطاع بفضل ذلك أن يصل إلى مراتب عالية منذ العصر الأموي، فقد صار كاتباً لوالي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، في عهد الخليفة الأموي مروان بن محمد، وكذلك كتب لأخيه داود بن عمر بن هبيرة، وكان صديقاً حميماً لعبد الحميد الكاتب، في العصر الأموي، وقد جمع بينهما الأدب والبيان والمودة والوفاء، بحيث أراد كلٌّ منهما أن يفدي صاحبه بروحه حين أراد العسكر أن يقبض على عبد الحميد الكاتب إثر سقوط الدولة الأموية.

وفي العصر العباسي صار ابن المقفع كاتباً لأبناء علي بن عبد الله بن العباس، وكان عيسى بن علي والياً على كرمان، وإسماعيل بن علي والياً على البصرة، قبل أن يخلعه المنصور، ويولي عليها سفيان بن معاوية بن يزيد الذي قتل ابن المقفع كما سيأتي.

كان ابن المقفع من أعلام كتاب العصر، وكان أعلام الكتّاب الذين برعوا في البيان في هذا العصر ثلاثة: عبد الحميد الكاتب، وسهل بن هارون، وابن المقفع، وكان ابن المقفع واسع الثقافة يفيد من خبرات الآخرين وسلوكهم، ويلتمس العبرة من أخطاء الآخرين. روى الأصمعي أن ابن المقفع سئل: من أدبك؟ فقال: «نفسي، إذا رأيت من غيري حسناً أتيته، وإن رأيت قبيحاً أبيته»[2]. وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي معجباً بذكاء ابن المقفع وسعة علمه، روى ياقوت قال «وكان الخليل يحب أن يرى عبد الله بن المقفع، وكان

---

(1) وفيات الأعيان 2/151.

(2) وفيات الأعيان 1/413.

عبد الله يحب ذلك، فجمعهما عبَّاد بن عبَّاد المهلبي، فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهن، ثم افترقا، فقيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع؟ فقال: ما رأيت مثله قط، وعلمه أكثر من عقله. وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ فقال: ما رأيت مثله قط، وعقله أكثر من علمه»[1].

وكان ابن المقفع بالإضافة إلى علمه وثقافته، فيه خصال كريمة من الوفاء والكريم والإيثار والاستقامة. ذكر الجهشياري جانباً من خصاله بقوله: «كان سريّاً سخياً يطعم الطعام، ويتسع على كل من احتاج إليه، وكان قد أفاد من الكتابة لداود بن عمر مالاً، فكان يجري على جماعة من وجوه أهل البصرة والكوفة ما بين الخمس مئة إلى الألفين في كل شهر»[2].

وخبر وفائه لعبد الحميد الكاتب والتضحية بنفسه خبر مشهور، فقد جاء جند بني العباس للقبض على عبد الحميد الكاتب، وكان مختبئاً عند ابن المقفع، فلما سألوا: من منكم عبد الحميد الكاتب؟ قال ابن المقفع: أنا[3].

محنته ومقتله:

كان سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أميراً على البصرة، بعد سليمان بن علي الذي خلعه المنصور، وكان ابن المقفع كاتبا لسليمان بن علي، ومنحرفاً عن سفيان بن معاوية، وكان ابن المقفع يعبث بسفيان وينال منه ومن أمه، ولا يسميه إلا بـ(ابن المغتلمة)، وكثر ذلك منه، ومن استخفافه بسفيان أن أنف سفيان كان كبيراً، فكان إذا دخل ابن المقفع عليه قال: السلام عليكما، يعني نفسه وأنفه، وقال له يوماً: ما تقول في شخص مات وخلف زوجاً وزوجة؟ يسخر به على رؤوس الناس، وقال سفيان يوماً: ما ندمت على سكوت قط، فقال له ابن المقفع: الخُرْسُ زينٌ لك، فكيف تندم

(1) معجم الأدباء 3/1268، وانظر الأغاني 20/239.
(2) الوزراء والكتاب ص 117، وانظر محاضرات الأدباء 1/29 في إعانته مسلم بن الوليد.
(3) الوزراء والكتاب ص 79 ـ 80، وفيات الأعيان 3/231.

عليه. فأضمر له سفيان أن يقطعه إرْباً إرْباً، وعينه تنظر[1].

وقدم سليمان بن علي وعيسى بن علي على البصرة ـ وهما عمَّا المنصور ـ ليكتبا أماناً لأخيهما عبد الله بن علي من المنصور، وكان عبد الله بن علي قد خرج على ابن أخيه المنصور وطلب الخلافة لنفسه، فأرسل المنصور إليه جيشاً بقيادة أبي مسلم الخراساني، فانتصر أبو مسلم، وهرب عبدالله إلى أخويه سليمان وعيسى، واستَتَرَّ عندهما، فتوسطا له عند المنصور ليرضى عنه، فقبل شفاعتهما، واتفقوا على أن يُكتبَ له أمانٌ من المنصور، فأوكلوا كتابة الأمان لعبد الله بن المقفع، وأمروه أن يبالغ في التأكيد كي لا يقتل المنصور عمَّه عبد الله بن علي، فكتب ابن المقفع الأمان، وشدد فيه، ومما جاء فيه: «ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي، فنساؤه طوالق، ودوابُه حُبْس، وعبيدهُ أحرار، والمسلمون في حلٍّ من بيعته»[2]. فلما وقف المنصور على هذا الكتاب عظُمَ ذلك عليه وقال: من كتب هذا؟ فقالوا له: رجل يقال له عبد الله بن المقفع، يكتب لأعمامك، فكتب إلى سفيان بن معاوية متولي البصرة يأمره بقتله، وكان سفيان شديد الحنق على ابن المقفع، فاستأذن ابن المقفع يوماً على سفيان، فأخَّر إذنَه حتى خرج من كان عنده، ثم أذن له فدخل، فعدل به إلى حجرة فقُتِل فيها[3].

ويصف المدائني كيفية قتله، على ما نقل ابن خلكان قال: «لما دخل ابن المقفع على سفيان، قال له: أتذكر ما كنت تقول في أمي؟ فقال: أنشدك الله أيها الأمير في نفسي، فقال: أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتلة لم يُقتل بها أحد، وأمر بتنور فسُجِّر، ثم أمر بابن المقفع فقطعت أطرافه عضواً عضواً، وهو يُلقيها في التنور، وقال: ليس عليَّ في المثلةِ بك حرج، لأنك زنديق، وقد أفسدت الناس»[4].

---

(1) وفيات الأعيان 2/153.

(2) وفيات الأعيان 2/152.

(3) السابق والصفحة.

(4) وفيات الأعيان 2/152 ـ 153.

وبحث عنه سليمان وعيسى فلم يجدا ابن المقفع، فلما سألا عنه قيل لهما: إنه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها، فخاصما سفيان إلى المنصور، وأحضراه إليه مقيدا، وحضر الشهود الذين شاهدوا ابن المقفع وقد دخل دار سفيان ولم يخرج، فأقاموا الشهادة عند المنصور، فقال لهم المنصور: «أنا أنظر في هذا الأمر، ثم قال لهم: أرأيتم إن قتلتُ سفيان به، ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت ـ وأشار إلى باب خلفه ـ وخاطبكم، ما تروني صانعاً بكم؟ أأقتلكم بسفيان؟»، فرجعوا كلهم عن الشهادة، وأضرب عيسى وسليمان عن ذكره، وعلموا أن قتله كان برضا المنصور[1].

وروى البلاذري روايات أخرى في قتله، من ذلك ما قيل: إن سفيان بن معاوية ألقاه في بئر المخرج، وردم عليه الحجارة؛ وقيل: أدخله حمَّاماً وأغلق عليه بابه فاختنق[2]. ولكن رواية تقطيعه وحرقه هي الراجحة، بدليل ما روي من أن ابن المقفع كان يسخر من سفيان، وكان سفيان يقول: «والله لأقطعنَّه إرْباً إرباً، وعينه تنظر»، وعزم أن يغتاله، فلما جاءه كتاب المنصور بقتله قتله.

وهكذا أسدل الستار على حياة أديب كاتب حاذق، جنى عليه قلمه بكتابة أمان شديد أغضب السلطان، فكان جزاؤه هو جزاء من يغضب السلطان في كل زمان ومكان!!.

❊ ❊ ❊

---

(1) وفيات الأعيان 2/ 153.

(2) السابق والصفحة.

أبو نُخَيلة

ذبِح وسُلخَ وَجْهُه (سنة 147 هـ)

أبو نُخَيلة بن حزن بن زائدة من سعد بن زيد مناة بن تميم، وأبو نخيلة اسم الشاعر لا كنيته، وكنيته أبو الجُنَيد، وأبو العرماس[1]، وسُمِّي الشاعر أبا نُخيلة لأن أمَّه ولدته إلى جنب نخلة[2]، كان أبو نخيلة أسود، ومشكوكاً في نسبه، ومطعوناً عليه، وقد نفاه أبوه عن نفسه[3] لأنه كان عاقاً بأبيه، فخرج إلى الشام وأقام هناك، إلى أن مات أبوه، ثم عاد، وأثناء خروجه إلى الشام تأدب بالبادية، حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصيدا صالحاً، وشُهِر بهما، وسار شعره في البدو والحضر، ورواه الناس، ثم وفد إلى مسلمة بن عبد الملك، فرفع منه وأعطاه وشفع له، وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك، فمدحه، ولم يزل به حتى أغناه[4]، واتصل بالخلفاء، ومدحهم فأغنوه، ولكن الشاعر كان قليل الوفاء متقلبا، فانقطع إلى بني هاشم، ولقَّب نفسه بشاعر بني هاشم، فمدح الخلفاء العباسيين حين آلت الأمور إليهم، وهجا خلفاء بني أمية أصحاب نعمته وفيهم أماديحه، وتلقيب نفسه بشاعر بني هاشم، لا يعني أنه محض العلويين وفاءه وشعره، بل كان يرى أن العباسيين هم أوصياء على الخلافة، فليس العلويون أصحابها، إنما أصحابها العباسيون الذين استخلصوا لها كما يستخلص الجوهر[5].

---

(1) الأغاني 20/403.

(2) خزانة الأدب 1/135.

(3) الأغاني 20/403، الخزانة 1/165.

(4) الأغاني 20/405.

(5) العصر العباسي ـ شوقي ضيف ص 292.

دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح، فاستأذن في الإنشاد، فقال له السفاح: لعنك الله، ألست القائل لمسلمة بن عبد الملك:

أمسلمة يا نجل خيرِ خليفةٍ ويا فارسَ الهيجا ويا جبَلَ الأرضِ
شكرتكَ إن الشكرَ حبلٌ من التُّقى وما كلُّ ما أوليتَهُ نعمةً يقضي
وألقيت لمَّا أن أتيتُكَ زائراً عليَّ لحافاً سابغَ الطولِ والعرضِ
وأحييتَ لي ذكري وما كان خاملاً ولكنَّ بعضَ الذكرِ أنبهُ من بعضِ

وقال له أبو العباس: لا حاجة لنا في شعرك إنما تنشدنا فضلات بني مروان، فقال له: يا أمير المؤمنين: [1]

كنا أناساً نرهبُ الأملاكا إذْ ركبوا الأعناقَ والأوراكا
قد ارتجينا زمناً أباكا ثم ارتجينا بعده أخاكا
ثم ارتجينا بعده إيَّاكا وكان ما قلتُ لمن سِواكا
زوراً فقد كفَّرَ هذا ذاكا

فضحك أبو العباس وأجازه، وقال: إن التوبة لتكفر ما قبلها، وقد كفر هذا ذاك.

وكانت قاصمة ظهر هذا الشاعر الطامع المنافق، أن تعاطى السياسة، فدخل بين عمالقة السلطة، فصيَّر نفسه أداة بيد المتنافسين، وكان الخليفة المنصور أراد أن يخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وأن يقدم المهدي على نفسه، وقد خضع عيسى بن موسى وهو كاره، حتى صار يهزأ به مُجَّان أهل الكوفة، فيقولون حين يمر بهم: «هذا الذي كان غداً فصار بعد غد»[2].

وقد ساقت المقادير أبا نخيلة ليكون بين يدي رغبة المنصور، روى عبد الله بن أبي سليم، مولى عبد الله بن الحارث، قال: «بينا أنا أسير مع أبي الفضل

(1) الأغاني 20/405، 412.
(2) الوزراء والكتاب ص 85، 126، 130، 145.

سليمان بن عبد الله، بين الحيرة والكوفة، وهو يريد المنصور، وقد هَمَّ بتولية المهدي العهد، وخلع عيسى بن موسى، وهو يروض ذلك، إذ هو بأبي نخيلة الشاعر، ومعه ابنان له وعبد، وهم يحملون متاعه، فقال له: يا أبا نخيلة، ما هذا الذي أرى؟ قال: كنت نازلاً على القعقاع بن معبد، أحد ولد معبد بن زرارة، فقلت شعراً فيما عزم عليه أمير المؤمنين المنصور، من تولية المهدي ونزع عيسى بن موسى، فسألني التحول عنه، لئلا يناله مكروه من عيسى إذ كان صنيعته، فقال سليمان: يا بعد الله، اذهب بأبي نخيلة فأنزله منزلاً، وأحسن نُزُلَه وبِرَّهُ، ففعلت، ودخل سليمان إلى المنصور فأخبره الخبر، فلما كان يوم البيعة، جاء بأبي نُخيلة فأدخله على المنصور، فقام فأنشدالشعر على رؤوس الناس، وهي قصيدته التي أولها[1]:

لـم ينسنـي يـا ابنـةَ آلِ معبَـدِ ذكـراكِ تكـرارُ الليـالـي العُـوَّدِ

يقول فيها:

بل يا أمين الواحدِ الموحَّدِ إنَّ الـذي ولاَّكَ ربُّ المسجـدِ
ليـسَ ولـيُّ عهـدِنـا بـالأسْعَـدِ عيسى فزحِلْفها إلى محمَّدِ[2]
من عند عيسى معهداً عن معهدِ حتـى تـؤدَّى مـن يـدٍ إلـى يـدِ

ويقول في ذكر البيعة لمحمد المهدي:

فقـد رضينـا بـالغـلام الأمـردِ وقد فرغنا غيرَ أن لم نشهدِ
وغيـرَ أنَّ العقـدَ لـم يـؤكَّـدِ فلو سمعنا قولَكَ امدُدِ أمدُدِ
كانت لنا كزعقة الوِرْدِ الصَّدي فنـادِ للبيعـةِ جمعـاً نحشُـدِ
في يومنا الحاضرِ هذا أو غدِ واصنـعْ كمـا شئـتْ ورُدَّ يُـرْدَدِ

وقيل: إن أبا نُخيلة أظهر هذه القصيدة التي رواها الخدم والخاصة، وتناشدتها العامة، فبلغت المنصور، فدعا به، وعيسى بن موسى عنده جالس

---

(1) الأغاني 20/428 ـ 429.
(2) زحلفها: قدمها

عن يمينه، فأنشده إياها، وأنصت له حتى سمعها إلى آخرها، قال أبو نخيلة: فجعلتُ أرى فيه السرور، ثم قال لعيسى بن موسى: ولئن كان هذا عن رأيك لقد سرَرْتَ عمَّك، وبلغت مرضاته، أقصى ما يبلغه الولد البار السارُّ، فقال عيسى: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 65].

قال أبو نخيلة: فلما خرجت لحقني عُقال بن شبة، فقال: أما أنت فقد سررتَ أميرَ المؤمنين، ولئن تم الأمر، فلعمري لتصيبنَّ خيراً، ولئن لم يتم، فابتغِ نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء، فقال أبو نخيلة: (علقت معالقها وصرَّ الجندبُ)[1].

ومن سياق هذه الروايات، أن المنصور قد دبَّر الأمر، وأوعز لأبي نخيلة بقول الشعر وإشاعته بين الناس، ومن ثم إنشاده بين يديه، وبحضور عيسى بن موسى ولي عهده، أما ولي عهده هذا فقد أيقن أنه إن لم يذعن لرغبة المنصور فهو هالك لا محالة، وذهب منكسراً إلى داره، وجمع أولاده وقال لهم: «يا بنَيَّ، قد رأيتم ما جرى - من إنشاد الأرجوزة بين يدي في مجلس المنصور - فأيُّما أحبُّ إليكم، أن يقال لكم: يا بني المخلوع، أو يقال لكم: يا بني المفقود؟ فقالوا: لا، بل يا بني المخلوع، فقال: وُفِّقتم يا بنيَّ»[2].

وقبض أبو نخيلة جائزته، وهي ألفا درهم، وخُلع عيسى بن موسى، ولكن أبا نخيلة لم يهنأ بجائزته، فقد بعث عيسى بن موسى في طلبه، فهرب، وخرج يريد خراسان، فبلغ عيسى خبرُه، فجرَّد خلفه مولى له يقال له: قطري، معه عدة من مواليه، وقال له: نفسَكَ نفسَك أن يفوتك أبو نخيلة، فخرج قطري في طلبه مغذاً للسير، فلحقه في طريقه إلى خراسان، فقتله وسلخ وجهه[3].

---

(1) الأغاني 431/20، وقوله علقت معالقها: هو مثل أي وجب الأمر ونشب فجزع الضعيف من القوم، وللمثل قصة وذلك أن رجلاً انتهى إلى بئر وعلق رشاؤه برشائها، ثم صار إلى صاحب البئر فادعى جواره، فقال له: وما سبب ذلك؟ فقال: علقت رشائي برشائك. مجمع الأمثال 15/2، جمهرة الأمثال 61/2، المستقصى 167/2.

(2) الأغاني 429/20.

(3) الأغاني 432/20.

وفي رواية أن قطرياً أخذ أبا نخيلة وكتَّفه وأضجعه، فلما وضع السكين على أوداجه، قال: «إيه يا ابن اللخناء، ألست القائل: (علقت معالقها وصرَّ الجندبُ)، الآن صرَّ جندُبُك، فقال: لعن الله ذاك جندباً، ما كان أشأم ذكره»، ثم ذبحه قطري، وسلخ وجهه، وألقى جسمه إلى النسور، وأقسم لا يريم مكانه حتى تمزق السباع والطيور لحمه، فأقام حتى لم يبقَ منه إلا عظامه، ثم انصرف[1].

ويبدو أن المنصور كان قد حذر أبا نخيلة من عيسى بن موسى، وقال له: «إني أخافه عليك أن يغتالك، وأمره أن يهرب إلى خراسان، ولكن أبا جعفر لم يحاول أن يحمي شاعره وصنيعته، ولم يسأل عنه بعد أن قُتل، وكل ما في الأمر أن الشاعر قد أدى ما عليه وانتفت الحاجة إليه، وليكن مصيره ما يكون موطوءاً تحت أقدام الحاكمين.

لقد لقي أبو نخيلة مصيره غير مأسوف عليه، وفي سيرته من السوء ما يُنْبىء بهذا المصير، فقد كانت حياته مليئة بالعقوق والجحود والعدوان، وقد لقي بعد موته شماتة معاصريه من الشعراء، كان يهاجي الشاعر الأبرش، فلما هلك أبو نخيلة قيل للأبرش: مات أبو نخيلة، فقال حتف أنفه، قلت: لا، بل اغتيل فقتل، فقال: الحمد لله الذي قطع قلبه، وقبض روحه، وسفك دمه، وأراحني منه، وأحياني بعده[2].

وقد سبق أن ذكرنا أن أبا نخيلة كان عاقاً بأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام ولم يعد إلا بعد وفاته، وأنه مدح الأمويين، ثم تنكر لهم وهجاهم، وكان دنيئاً طماعاً، يطلب ويلحف بالطلب، فإذا مُنع هجا، رأى على شبيب بن شيبة حلة فأعجبته، فسأله إياها، فوعده شبيب ومطله، فقال أبو نخيلة يهجوه:

---

(1) السابق والصفحة.

(2) الأغاني 20/433.

يـــا قـــومُ لا تســـودوا شبيبـــا الخائن ابن الخائن الكذوبا
هـل تلـدُ الـذيبـة إلا ذيبـا

فبلغ الرجز شبيباً، فبعث بالحلة إليه، فقال يمدحه[1]:

إذا غـدت سعـدٌ علـى شبيبهـا علـى فتـاهـا وعلـى خطيبهـا
من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبـتُ مـن كثـرتهـا وطيبهـا

وكان أبو نخيلة يستدين ولا يوفي بدينه، فكان يأخذ من بقال يقال له ماعز الكلابي باليمامة، حتى كثر عليه ما عليه وثقل، فطالبه ماعز، فمطله، ثم بلغه أنه قد استعدى عليه عامل اليمامة، فارتحل أبو نخيلة يريد الموصل، وخرج عن اليمامة ليلاً، فلم يعلم به ماعز إلا بعد ثلاث، وقال أبو نخيلة يهجوه[2]:

يا ماعز الكراث قد خزيتا لقـد خـدعـتَ ولقـد هُجيتـا
كِـدتَ تخصينـا فقـد خُصيتـا وكنـتَ ذا حـظٍّ فقـد مُحيتـا
ويحـك لـم تعلـم بمـن صُليتـا ولا بـــأيِّ حجـــرٍ رُميتـــا

ولم تسلم أخت أبي نخيلة من هجائه، فقد كان يتحيَّف مالها، ويرعى سوامها مع سوامه، ويستبد عليها بأكثر منافعها، فخاصمته يوماً من وراء خدرها، فأخذ يهجوها وأفحش في هجائها، كأن لم تكن أخته. وأخبار أبي نخيلة كثيرة وكلها تظهره شاعراً هجاءً سليط اللسان، عاقاً لصاً يسرق شعر رؤبة وغيره، بذيئاً دنيء النفس سيء الطبع، لم يذكره أحد بخير، ولم يأسف على مصيره البشع أحد من معاصريه.

* * *

(1) الأغاني 20/404.
(2) الأغاني 20/414.

سدَيْف بن ميمون

دفن حيّاً (سنة 146 هـ)

شاعل مقل من شعراء الحجاز، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أعرابياً بدوياً أسود حالك السواد، من موالي بني هاشم، قيل: إنه تزوج مولاة لآل أبي لهب، فادعى ولاءهم، وقيل: بل أبوه هو الذي تزوج مولاة اللهبيين، فولدت منه سديفاً، كان شديد التعصب لبني هاشم، مظهراً لذلك في أيام بني أمية، وفي الأغاني: «أن سديفاً كان يخرج إلى أحجار صفاً في ظهر مكة يقال لها صُفِيُّ السِّباب[1]، ويخرج مولى لبني أمية معه يقال له سَبَّاب، فيتسابان ويتشاتمان، ويذكران المثالب والمعايب، ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا، فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجراح والشِّجاج، ويخرج السلطان إليهم فيفرقهم، ويعاقب الجناة، فلم تزل تلك العصبية بمكة حتى شاعت في العامة والسَّفِلة، فكانوا صنفين، يقال لهما السديفية والسبابية، طوال أيام بني أمية، ثم انقطع ذلك في أيام بني هاشم، وصارت العصبية بمكة بين الحناطين والحرارين»[2].

وكان سديف في العصر الأموي يجاهر بعدائه لبني أمية، ويفصح عن جورهم وظلمهم وعدوانهم[3]، وقد نُقل عنه قوله: «اللهم قد صار فيئنا دولة بعد القسمة، وإمارتنا غلبة بعد المشورة، وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة،

---

(1) صفيّ السباب: ما بين دار سعيد الحرشي التي بناها إلى بيوت أبي القاسم بن عبد الواحد. (ياقوت 182/3).

(2) الأغاني 142/16، الحناطون: بائعو الحنطة، والحناط أيضاً من يحنط الموتى، الحرارون: صناع الحرير.

(3) طبقات الشعراء: ابن العتز ص 38.

واشتُريَتْ المعازف والملاهي بسهم اليتيم والأرملة، وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة، وقد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته، واستجمع طريده، اللهم فأتِحْ له من الحق يداً حاصدة تبدد شمله، وتفرق أمره، ليظهر الحق في أحسن صورته، وأتم نوره»[1].

فلما أفضت الخلافة إلى بني العباس، لمع ذكر سديف، ونشط في هجاء الأمويين، والتحريض على قتلهم، ويبدو أن أبا العباس السفاح[2]، كان قد أوعز لسديف أن ينشد في مجلسه شعراً يحرضه فيه على قتل الأمويين واستئصال شأفتهم، لإيقاعهم ببني هاشم، بدليل أن السفاح كان قد أحضر بني هاشم وبني أمية، وأعد لاستقبال سديف، في رواية قد حبكت فصولها، وأعدت إعداداً حسناً، كما هو آت، فعن الفضل بن دكين قال: «كان أبو العباس جالساً في مجلسه على سريره، وبنو هاشم دونه على الكراسي، وبنو أمية على الوسائد قد ثُنيت لهم، وكانوا في أيام دولتهم يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكراسي، فدخل الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب رجل حجازي أسود راكب على نجيب، متلثم يستأذن ولا يُخبر باسمه، ويحلف ألا يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك، قال: هذا مولاي سديف، يدخل، فدخل، فلما نظر إلى أبي العباس وبنو أمية حوله، حدر اللثام عن وجهه وأنشأ يقول[3]:

أصبح المُلكُ ثابتَ الأساسِ ... بالبهاليلِ من بني العباسِ
بالصدورِ المُقَدَّمينَ قديماً ... والرؤوسِ القماقِمِ الرُّوَّاسِ

---

(1) الشعر والشعراء ص 479 ـ 480 ط ليدن 1902، طبقات ابن المعتز ص 38، وفيه زيادة.

(2) كان السفاح قد أعطى الأمويين أماناً عاماً، وكان ذلك الأمان بشفاعة سليمان بن علي، وقد دعا السفاح الأمويين ليفرض لهم ويجيزهم. (طبقات ابن المعتز ص 39).

(3) الأغاني 4/339 ـ 340، والشعر في الحماسة البصرية 1/91 ـ 92، ونسب لشبل بن عبد الله مولى بني هاشم في الكامل 2/254، العقد الفريد 2/356.

يـا أميـرَ المُطهَّـريـنَ مـن الـذم ... م ويـا رأسَ منتهـى كـلِّ راسِ
أنـتَ مهـديُّ هـاشـمٍ وهُـداهـا ... كـم أنـاسٍ رجـوك بعـدَ إيـاسِ
لا تقيلـنَّ عبـدَ شمـسٍ عثـاراً ... واقطَعَـنْ كـلَّ رقلـةٍ وغِـراسِ
أنـزلـوهـا بحيـث أنـزلهـا اللـ ... ـهُ بـدارِ الهـوانِ والإتعـاسِ
خـوفُهـمْ أظهـرَ التـودُّدَ منهـم ... وبهـم منكـمُ كحـزِّ المـواسـي
أقصِهـمْ أيهـا الخليفـةُ واحسِـمْ ... عنكَ بالسيفِ شأفَةَ الأرجاسِ

ثم يذكر مصارع بني هاشم، ويعدد قتلاهم:

واذكُرَنْ مصرَعَ الحسينِ وزيدٍ ... وقتيـلٍ بجـانبـه المِهـراسِ[1]
والإمـامِ الـذي بحـرَّانَ أمسـى ... رَهْنَ قبْرٍ في غربةٍ وتناسي[2]
فلقـد سـاءنـي وسـاء سـوائـي ... قُـرْبُهـم مـن نمـارقٍ وكـراسـي
نِعْمَ كلبُ الهِراشِ مولاك لولا ... أودٌ مـن حبـائـلِ الإفـلاسِ

فتغيـر لـون أبـي العبـاس وأخـذه زَمَـعٌ[3] ورِعـدة، فـالتفـت بعـض ولـد سليمان بن عبد الملك إلى رجل منهم، وكان إلى جنبه، فقال: قتلنا والله العبد.

ثم أقبل أبو العباس عليهم، فقال: يا بني الفواعل، أرى قتلاكم من أهلي قد سلفوا، وأنتم أحياء تتلذذون في الدنيا، خُذوهم، فأخذتهم الخراسانية بالكافركوبات[4]، فأهمِدوا، إلا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، فإنه استجار بداود بن علي، وقال له: إن أبي لم يكن كآبائهم، وقد علمت صنيعته إليكم، فأجاره واستوهبه من السفاح، وقال له: قد علمت يا أمير المؤمنين صنيعَ أبيه إلينا، فوهبه له، وقال له: لا تُريني وجههُ، وليكن بحيث

---

(1) المهراس: ماء بجبل أحد (ياقوت: المهراس).
(2) الإمام: هو إبراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية، قتله مروان بن محمد صبراً. حران: مدينة مشهورة في جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر على طريق الموصل والشام والروم. (ياقوت: حران).
(3) الزمع: الرعدة أو شبهها تأخذ الإنسان إذا هَمَّ بأمرٍ.
(4) الكافر كوبات: آلة يضرب بها، والكلمة أعجمية.

أمنه، وكتب إلى عماله في النواحي بقتل بني أمية»[1].

وقيل إن أبا العباس دعا بالغداء حين قُتِلوا، وأمر ببساط فبُسِط عليهم، وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته، فلما فرغ من الأكل، قال: ما أعلمني أكلت أكلةَ قطُّ أهنأ ولا أطيب لنفسي منها، فلما فرغ، قال: جروا بأرجلهم! فألقوا في الطريق يلعنهم الناس أمواتاً، كما لعنوهم أحياءً. قال: فرأيتُ الكلاب تجرُّ بأرجلهم، وعليهم سراويلات الوشي، حتى انتنوا، ثم حُفِرت لهم بئر فألقوا فيها[2].

وقيل: وقد صُلبوا بعد القتل في بستانه، حتى تأذى جلساؤه بروائحهم، فكلموا السفاح في ذلك فقال: والله لهذا ألذ عندي من شم المسك والعنبر، غيظاً عليهم وحَنَقاً[3].

وفي رواية أن سُديفاً أنشد أبا العباس السفاح وعنده رجالٌ من بني أمية قوله[4]:

يا ابن عمِّ النبيِّ أنتَ ضياءٌ   اسْتَبِنَّا بكَ اليقينَ الجليا

فلما بلغ قوله:

جَرِّدْ السيفَ وارفعِ العفو حتى   لا ترى فوقَ ظهرها أمويّا
لا يغُرَّنْكَ ما ترى من رجالٍ   إنَّ تحتَ الضلوعِ داءً دَوِيّا
بطن البُغْضُ في القديمِ فأضحى   ثاوياً في قلوبهم مطويا

وهي طويلة، قال: يا سديف، خلق الإنسان من عجل، ثم قال:

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سلفوا   فلن تبيدَ وللآباءِ أبناءُ

---

(1) الأغاني 4/340.
(2) الأغاني 4/341، طبقات ابن المعتز ص 39.
(3) الأغاني 4/346.
(4) الأغاني 4/342 ـ 343، طبقات ابن المعتز ص 40.

واستمر سديف في القصيدة حتى أتى على آخرها، وأبو العباس يغتاظ ويحنق ويتلون، فقال سليمان بن هشام لسديف: يا ابن الفاعلة، ألا تسكت؟ فلما قال ذلك اشتد غضب أبي العباس، ونظر إلى رجال خراسان، وهم وقوف بالأعمدة، فقال لهم بالفارسية: (دهيد) يعني اضربوا، فشدخوا رؤوسهم بالأعمدة، حتى أتوا على آخرهم، ثم نظر إلى سليمان بن هشام، وقال له: يا أبا الغمر، ما لك في الحياة خير بعد هؤلاء، فقال: أجل، فشدخوا رأسه وجروه برجله حتى ألقوه مع القوم.

ثم جمعهم وأمر بالأنطاع فبُسِطَتْ عليهم، ثم جلس فوقهم، ودعا بالغداء فتغدى، وإن بعض القوم ليتحرك، وفيهم من يُسمع أنينُه، فلما فرغ من غدائه قيل له: هلا أمرت بهم فدفنوا، أو حولوا إلى مكان آخر، فإن رائحتهم تؤذيك؟ قال: والله إن هذه الرائحة لأطيب عندي من رائحة المسك والعنبر، الآن سكن غليلي[1].

ولا شك أن المصادفة لم تكن هي التي جاءت بسديف على هذه الصورة المفتعلة (رجل حجازي أسود راكب على نجيب متلثم، ولا يخبر باسمه، ويحلف ألا يحسر اللثام عن وجهه حتى يراك)، والسفاح يعرفه، فإنه كان على انتظار وموعد، وجاء في الوقت المحدد، فيقول السفاح: هذا مولاي سديف، يدخل، وينشد القصيدة التي كلها تحريض على قتل من حضر من بني أمية، ثم يكتب إلى عماله بقتل بني أمية، وأن أبا مسلم الخراساني كان يعمل على استئصالهم[2]. وقد اتضح أن الأمر قد دبر تدبيراً محكماً، بحيث يُدعى الأمويون جميعاً إلى هذه الوليمة الدموية.

ويموت السفاح، ويتولى أبو جعفر المنصور، وييأس الهاشميون الشيعة من مشاركة بني أعمامهم، ومن الوصول إلى الحكم، فقد خسروا كما خسر

---

(1) طبقات ابن المعتز ص 40.

(2) النجوم الزاهرة 1/330، تاريخ البيهقي ص 210.

غيرهم، وما كان العباسيون خيراً من الأمويين، فتتحرك الشيعة، ويقوم بهذه الحركة محمد بن عبد الله بن الحسن، الملقب بالنفس الزكية، ويثور سنه 145 هـ في المدينة، ويبتهج سديف لهذه الثورة، وكان سديف في البصرة مع إبراهيم بن عبد الملك شقيق النفس الزكية، ويقف سديف إلى جانب المنبر، يحرض محمد بن عبد الله، وينشد[1]:

إيــهِ أبــا إسحــاقَ مُلِّيتَهــا	في صحةٍ منكَ وعمرٍ طويلْ
اذكـر هـداكَ اللّـهُ ذحـلَ الألـى	يُسْرى بهم في مُصْمتاتِ الكبولْ

فلما قُتل إبراهيم هرب سديف وتوارى، حتى سكنت تلك الفورة، ثم كتب إلى المنصور يسأله أن يمنَّ عليه بالعفو، وكتب إليه بهذه الأبيات:

أيها المنصورُ يا خيرَ العربْ	خيرَ من يَنميهِ عبد المطلب
أنــا مــولاكــم وراجٍ عفــوكــم	فاعفُ عني اليومَ من قبلِ العَطَبْ

فوقَّع المنصور في كتابه بخطه:

مـا نمـانـي محمـد بـن علـيِّ	إنْ اشبَّهْـتُ بعـدهـا بـولـيِّ

ثم كتب إلى عبد الصمد بن علي عمِّه، يأمره بقتل سديف، فيقال: إنه قطع يديه ورجليه، ثم ضرب عنقه، وقيل أيضاً إنه حُمل إلى المنصور فدفنه حياً، وقيل: إن المنصور رمى به في بئر بعد أن ضربه[2].

وهكذا تنتهي حياة سديف الشاعر الذي وظف شعره لخدمة مآرب بني العباس، فلما انتهت خدماته وحاد عن الطريق، سحقوه سحق الحشرات الضارة، ولم تشفع له أشعاره في مدح بني العباس والتحريض على قتل بني أمية.

* * *

(1) الشعر والشعراء ص 380، طبقات ابن المعتز 41 ـ 42، العمدة ص 45.
(2) طبقات ابن المعتز ص 42، الشعر والشعراء ص 480 ـ 481، تاريخ ابن عساكر 15/126.

بشار بن بُرد

قُتل ضرباً بالسياط (سنة 167 هـ)

بشار بن برد العقيلي بالولاء، أبو معاذ، أصله من طخارستان، ونسبته إلى امرأة عقيلية قيل إنها أعتقته من الرق، وكان ضريراً، ولد بشار بالبصرة في حدود سنة ست وتسعين، ونشأ بها، وسكن حرَّان مدة، ثم تنقل في البلاد، ثم رجع إلى البصرة، ثم سكن بغداد.

عُرف بشار بنبوغه وبإعجابه بنفسه، وباعتزازه بأصله الفارسي، ويزعم أنه ابن الملوك، يقول[1]:

أنا ابن ملوك الأعجمين تقطعت   عليَّ ولي في العامرين عِمادُ

وكان يسمي أصله قريش العجم، أي أشراف الفرس[2]:

نمت في الكرام بني عامر   فروعي وأصلي قريش العجم

وُصف بشار بصفات، منها أنه إذا أراد أن ينشد شعراً صفق بيديه، وتنحنح وبصق عن يمينه وعن شماله ثم ينشد، ووُصف بأنه كان سيء الخلق سريع الغضب، سريع الهجاء، مجاهراً بالسكر مفتخراً بالزنى، شجاع القلب قليل الاكتراث بالمخاطر، وكان نزَّاعاً إلى العصيان والثورة، وكان يدعو الموالي من الانتفاء من ولائهم، ويرغبهم في الرجوع إلى أصولهم، وترك الولاء، وكان يقول[3]:

أصبحتُ مولى ذي الجلالِ وبعضُهم   مولى العُريبِ فخُذْ بفضلكَ فافخرِ

---

(1) ديوان بشار ص 101/3، تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور، ط الدار التونسية 1976.

(2) الديوان ص 179/4.

(3) ديوان بشار 75/4، الأغاني 131/3.

مـولاك أكـرمُ مـن تميـمٍ كلِّهـا   أهلِ الفعَالِ ومن قُريشِ المشعرِ
فارجعْ إلى مولاكَ غيرَ مدافَعٍ   سبحـان مـولاكَ الأجـلِّ الأكبـرِ

لقد فشت تهمة الزندقة في العصر العباسي فأخِذ بها من كان قد عُرِفَ بميوله الشعوبية، أو استهتاره بالدين وميله إلى المجون، وقد سُمِّي الإسرار بالكفر زندقة، والزندقة مشتقة من اسم (الزندوفستا)، وهو كتاب (ماني)، وهو كتاب دين الفرس القديم، وذُكر في حوادث سنة 163 هـ، أن المهدي لما خرج إلى غزو الروم، وبلغ إلى حلب، أرسل فجمع من بتلك الناحية من الزنادقة فقتلهم، وقطَّع كتبهم بالسكاكين، وقد أقام المهدي لهذه الأعمال خطة يُسَمَّى صاحبها (صاحب الزندقة)، وقد وليها عثمان بن نهيك، وعمر الكَلْواذي، ومحمد بن عيسى بن حمدويه، فقتل من الزنادقة خلقاً كثيراً[1]. وقد صار اسم الزندقة علماً على من يظهر الإسلام ويبطن الكفر: «سواء أكان كفره باعتقاد المجوسية الفارسية، أم بالدهرية، أم بغير ذلك، وصار اسم الزنديق مرادفاً لاسم المنافق، وكان مما يصير به المرء معرضاً إلى تهمة الزندقة، أن يكون فارسيَّ الأصل، أو أن يؤثر عنه بُغض العرب، أو أن يكون من أهل الخلاعة والمجون، أو في المزح في الأمور الراجعة إلى العبادات، أو أن يكون منكراً لشيء من أصول أشياع العباسية» أو غير ذلك[2].

وأراد المهدي أن يظهر بمظهر المؤيد للدين، المحيي لعقيدة الإسلام وسيرة السلف، فعرف عنه أنه كان شديد التقصي للزندقة، والإعراض عن شعر الغزل، وإفراطه في الغيرة على النساء.

وكان بشار من شيعة الأمويين، نبغ في زمانهم، وامتدح خلفاءهم وأمراءهم، ثم كان شيعة إبراهيم بن الحسن بن علي، وكان كذلك من المتساهلين في دينهم، المتظاهرين بالفواحش، وكانت هذه الصفات حريَّة أن

(1) الكامل: ابن الأثير حوادث سنة 163، 168 هـ.
(2) مقدمة ديوان بشار ـ الطاهر ابن عاشور ص 29.

تجعل الشبهات والظنون تتجه إليه، ومن تلك الشبهات تهمة الزندقة، وقد نسبه الذين كفروه إلى دين الثنوية والمجوسية والبرهمية والسُّمنية، ونسبة بعضهم إلى الرفض والشعوبية، وإلى الإلحاد والتعطيل، ولا شك أن بشاراً كان مستهتراً غير متحرز في أقواله ومجالسه، يجري ذلك مجرى المزاح والهزل والمجون، كما كان حال أبي نواس وأضرابه.

كان بشار يجالس المعتزلة أصحاب الكلام، وكان مطلعاً على مذهبم، ملماً بأفكارهم ومناضراتهم وحججهم، قال أبو الفرج: «كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام: عمرو بن عُبيد، وواصل بن عطاء، الغزَّال، وبشار بن برد، وصالح بن عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، ورجل من الأزد (هو جرير بن حازم)، وكانوا يجتمعون في منزل الأزدي، ويختصمون عنده، فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال، وأما عبد الكريم وصالح، فصححا التوبة، وأما بشار فبقي متحيراً مخلِّصاً، وأما الأزدي فمال إلى قول السُّمنية، وهو مذهب من مذاهب الهند»[1].

والأقوال عن ضعف عقيدة بشار واستهتاره بأمور الدين والدنيا كثيرة، منها ما صح، ومنها ما تقوله عليه خصومه، وهم كثر، ومما اتُهم به بشار من استهانته بأمور الدين، ما زعموا: أن جارية غنت شيئاً من شعره، فطرب وقال: «هذا والله أحسن من سورة الحشر»، وكذلك قال في بيتين غنتهما جارية: «هذا والله أحسن من فَلَج يوم القيامة»، ونُسب إليه قوله في تفضيل النار وعبادتها:

الأرضُ مظلمة والنارُ مشرقةٌ والنارُ معبودة مذ كانت النارُ[2]

كان لطبع بشار ونزقه وعصبيته وتقلبه، أن جعلت له خصوماً كثيرين، شَنَّعوا عليه وتقولوا، ونحلوه تهماً كثيرة لم تكن فيه، لأن التهم التي ألصقت به

---

(1) الأغاني 3/138 ـ 139. السمنية: نسبة إلى سومنات، بلد بالهند، وهم قوم دهريون ملحدون لا يؤمنون بالآخرة.

(2) الكامل للمبرد 2/23، ديوان بشار 4/93، الأغاني 3/137.

كثيرة ومتنافرة، فهو شعوبي، وهو أموي، وهو متشيع، وهو معتزلي، وهو خارجي، وهو زنديق، وكيف تجتمع كل هذه المذاهب والخصال في رجل واحد، إن بشاراً كان خصماً شديداً لمن يعاديه، وكان نفوراً ومتمرداً، وكان من أشد خصومه واصل بن عطاء رأس المعتزلة، الذي شنَّع عليه بسوء اعتقاده، وكان بشار في أول أمره صديقاً لواصل بن عطاء، وكان مدح واصلاً، فلما أظهر بشار مذهبه، هتف به واصل فقام بتكفيره وقعد، وقال بشار فيه[1]:

ما لي أشايعُ غزَّالاً له عُنُقٌ   كنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ ولَّى وإنْ مَثَلا
عُنقَ الزرافة ما بالي وبالكمُ   تكفرون رجال كفروا رجلاً[2]

يريد أن المعتزلة كفروا الخوارج، الذين كفروا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال واصل: أما لهذا الأعمى الملحد، أما لهذا المشنَّف المكنى بأبي معاذ من يقتله؟ فكان غضب واصل عليه سبباً في نفيه عن البصرة، فسكن حرَّان، إلى أن توفي واصل، فرجع بشار إلى البصرة سنة 131 هـ، ثم غضب عليه عمرو بن عُبيد رأس المعتزلة، فنُفي أيضاً عن البصرة، ولم يرجع إلا بعد وفاة عمرو بن عبيد سنة 143 هـ، والتهم التي ألصقت ببشار كثيرة، وفي أكبر الظن أن بشاراً لم يكن على هذه المذاهب والنحل التي نسبت إليه، وما هو إلا شاعر ماجن خليع، سريع الغضب كثير الخصوم لاذع الهجاء، وفي شعره ما يدل على إيمانه والتزامه بشرائع الدين والإيمان الصحيح من الصلاة والصوم والحج، ومن قوله في حفاظه على دينه[3]:

وملوكٍ إنْ تعرضْتُ لهم   عَرَّضوا ديني وشيكاً للعطَبْ

وقوله[4]:

(1) الأغاني 3/173، البيان والتبيين 1/16، الديوان 4/162.
(2) عنق الزرافة: نصب عنق على النداء للنبز.
(3) الديوان 1/322.
(4) الديوان ص 1/140.

وعجيبٌ نكثُ الكريمِ وللنفـ ـسِ معَادٌ وللحياةِ انقضاءُ

وقوله في رثاء ابنه[1]:

ولي كلَّ يوم عبرةٌ لا أفيضُها لأحظى بصبرٍ أو بحطِّ ذنوبِ

وكثير من أمثال هذا.

مقتله:

لم يختلف أحد ممن ترجم لبشار في أنه مات مقتولاً، قُتل بتهمة الزندقة، وفي ذلك أقوال منها: ما رواه الأصفهاني من أن بشاراً مدح المهدي بقصيدة أولها: [2]

تجاللتَ عن فهرٍ وعن جارتي فِهْرِ ودعتَ نُعْمى بالسلامِ وبالهجرِ

وفيها يقول:

إلى ملك من هاشمٍ في نبوةٍ ومن حِمْيَرٍ في المُلْكِ في العددِ الدَّثْرِ
من المشترين الحمدَ تندى من الندى يداهُ ويندى عارضاهُ من العِطْرِ
فألزمتُ حبلي حبلَ من لا تُغِبُّهُ عفاةُ الندى من حيثُ يدري ولا يدري
بنى لك عبدُ الله بيتَ خلافةٍ نزلت بها بين الفراقدِ والنَّسْرِ
وعندك عهدٌ من وَصاةِ محمَّدٍ فرعْتَ بها الأملاكَ من ولدِ النَّضْرِ

فلم يحظَ منه بشيء، فهجاه بقصيدة جاء فيها[3]:

خليفــة يـــزنـــي بعمَّـــاتـــهِ يلعبُ بالدبُّوقِ والصولجانْ
أبـــدلنـــا اللَّـــه بـــه غيـــرَهُ ودسَّ موسى في حِرِ الخيزرانْ

---

(1) الديوان ص 1/279.

(2) الأغاني 3/239 ـ 241، الديوان 3/245، 253 ـ 255.

(3) الأغاني 3/241، الديوان 4/229. الخيزران: جارية من جواري المهدي، وأم ولديه موسى وهارون، وفي أكبر الظن أن هذا الهجاء مما وضع على لسان بشار، وإلا من يجرؤ على هجاء الخليفة هذا الهجاء المقذع الفاحش ولا يتوقع القتل.

وأنشدها في حلقة يونس النحوي، فسُعيَ إلى يعقوب بن داود وزير المهدي، وكان بشار قد هجاه، فقال:

بني أميةَ هُبُّوا طالَ نومُكُم   إنَّ الخليفةَ يعقوبُ بن داودِ
ضاعتْ خلافَتُكم يا قومُ فالتمسوا   خليفةَ اللَّهِ بين الزِّقِّ والعودِ

فدخل يعقوب على المهدي فقال له: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق، قد هجاك، فقال: بأي شيء؟ فقال: بما لا ينطق به لساني ولا يتوهمه فكري، قال له: بحياتي ألا أنشدتني! فقال: والله لو خيَّرتني بين إنشادي إياه، وبين ضرب عنقي، لاخترت ضرب عنقي، فحلف عليه المهدي بالأيمان التي لا فُسحة فيها أن يخبره فقال: أما لفظاً فلا، ولكني أكتب ذلك، فكتبه ودفعه إليه، فكاد ينشقُّ غيظاً، وعمد على الانحدار إلى البصرة للنظر في أمرها، وما وكَدْهُ (قصده) غير بشار، فانحدر، فلما بلغ إلى البطيحة[1] سمع أذاناً في وقت ضحى النهار، فقال: انظروا ما هذا الأذان، فإذا بشار يؤذن سكران، فقال له: يا زنديق يا عاض بظر أمه، عجبت أن يكون هذا غيرك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران، ثم دعا بابن نَهيك، فأمره بضربه بالسوط، فضربه بين يديه على صدر الحراقة[2] سبعين سوطاً أتلفه فيها، فكان إذا أوجعه السوط يقول: حَسّ، وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع، فقال له بعضهم: انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول: حَسِّ، ولا يقول: بسم الله، فقال: ويلك، أطعام هو فأسمي الله عليه! فقال له الآخر: أفلا قلت: الحمد لله، قال: أو نعمةٌ هي حتى أحمد الله عليها! فلما ضربه سبعين سوطاً بان الموت فيه، فألقى في سفينة حتى مات، ثم رُمي به في البطيحة، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة، فدُفن بها[3].

---

(1) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة، وسميت كذلك لأن المياه تبطحت فيها، أي سالت واتسعت في الأرض. (ياقوت: البطيحة)، وهي ما يعرف اليوم في العراق بالأهوار.

(2) الحراقة: واحدة الحراقات، سفن بالبصرة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو.

(3) الأغاني 3/241 ـ 242.

وقالوا: لما مات بشار أَلقِيَتْ جُثَّتُهُ بالبطيحة في موضع يعرف بالخرارة[1]، فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة، فأخِذ فأتي به إلى أهله، قال: وأخرجت جنازته فما تبعها أحد إلا أمة له سوداء سندية عجماء ما تفصح، رأيتها خلف جنازته تصيح: واسيداه، واسيداه[2].

وكانت نهاية بشار سنة ثمان وستين ومائة، وقد بلغ نيِّفاً وسبعين سنة، ويقال: إن المهدي ندم على قتل بشار، لما تبين من كذب وتلفيق يعقوب بن داود، قالوا: «لما ضرب المهدي بشاراً بعث إلى منزله يفتشه، وكان يُتَّهم بالزندقة، فوجد في منزله طوماراً[3] فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إني أردت هجاء آل سليمان بن علي لبخلهم، فذكرتُ قرابتهم من رسول الله ﷺ فأمسكتُ عنهم إجلالاً له ﷺ، على أني قد قلت فيهم:

دينـارُ آل سليمـانٍ ودرهَمُهـم ... كالبابليين حُفَّا بالعفاريتِ[4]
لا يُبْصَرانِ ولا يُرجى لقاؤهما ... كما سمعتَ بهاروتٍ وماروتِ[5]

فلما قرأه المهدي بكى وندم على قتله، وقال: لا جزى الله يعقوب بن داود خيراً، فإنه لما هجاه لفَّق عندي شهوداً على أنه زنديق فقتلته، ثم ندمت حين لا يغني الندم.[6]

وهكذا كانت نهاية بشار ومحنته، فقد تضافرت عليه أمور: منها كثرة

---

(1) الخرَّارة: موضع في البطيحة غزير المياه.
(2) الأغاني 3/245.
(3) الطومار: الصحيفة.
(4) البابليون: نسبة إلى بابل، وهي ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر. (ياقوت: بابل).
(5) هاروت وماروت: ملكان مذكوران في القرآن الكريم سورة البقرة، الآية 102، يعلمان السحر، وهما مسلسلان معذبان في بئر بأرض بابل.
(6) الأغاني 3/247، الديوان 2/42.

خصومه والناقمين عليه، لحسد أو هجاء، أو فحش، فكادوا له، وأوقعوا به، ثم خفة في دينه وخلل في سيرته، منها المجون والتهتك، وكذلك سوء في الاعتقاد، وكان لسانه السليط قد أدى به إلى المهالك وسلمه إلى حتفه، والله أعلم بحقيقة أمره.

* * *

صالح بن عبد القدوس

ضُرب بالسيف فشُطر شطرين
وعُلِّق كل شطر على جسر ببغداد (سنة 167 هـ)

صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الجذامي بالولاء، كان شاعراً من شعراء الحكمة، بل أشهر شعراء الحكمة والأمثال، يقول أبو بكر بن دريد عنه: «اجتمع في ديوان صالح بن عبد القدوس، وهو رجل من شعرائهم (أي العجم)، ألفُ مثل للعرب، وألفُ مثل للعجم»[1].

اتُّهِم صالح بالزندقة في زمن المهدي، وقد توافرت فيه أسباب الاتهام بالزندقة، وكان مما يصير به المرء معرضاً إلى تهمة الزندقة: «أن يكون فارسي الأصل، أو أن يؤثر عنه بغض العرب، أو أن يكون من أهل الخلاعة والمجون، أو المزح في الأمور الراجعة إلى العبادات، أو أن يكون منكراً لشيء من أصول الشيعة العباسية، أو أن يكون لا يحفظ من القرآن شيئاً، فقد أخذ بذلك محمد بن أبي عبيد الله وزير المهدي، هذا والمهدي لم يكن له من أصالة الرأي ما كان للمنصور والسفاح، فأغرق في تقصي أحوال الناس والرمي بالزندقة»[2].

---

(1) أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري ـ التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ص 217، ضمن مجموعة رسائل، ط الجوائب، القسطنطينية 1302 هـ.

(2) تاريخ ابن الأثير حوادث سنة 166 هـ، والطبري حوادث سنة 166، 167 هـ، تكرر هذا في ترجمة بشار بن برد.

وكان يُقبض على الزنادقة لأقل شبهة، ويؤدي بهم أمام القاضي، فيطلب منهم أن يرجعوا عن الزندقة إنْ اعترفوا بها، ويطلق سراحهم إنْ رجعوا عنها، ويقتلون إذا استمروا عليها ورفضوا الخروج عنها[1].

وكان القضاة في زمن المأمون يطلبون إلى الزنديق أن يبصق على صورة ماني، وأن يذبح طائراً بحرياً اسمه (التذرح)، ليتأكدوا من أنهم رجعوا حقاً عن الزندقة، وتؤكد تعاليم ماني على عدم الأخذ بالتقية[2].

قيل إن مقتل ابن عبد القدوس كان في زمن الرشيد، وأن الرشيد هو الذي قتله[3]، ولكن الراجح الذي عليه أكثر المؤرخين أن المهدي هو الذي قتل ابن عبد القدوس، وكان شيخاً كبيراً فاقد البصر طاعناً في السن، قد جاوز السبعين، وقد جاء في شعره[4]:

بلوتُ أمورَ الناسِ سبعينَ حجةً ... وجربتُ صرفَ الدهرِ في العُسرِ واليُسْرِ

فلم أرَ بعدَ الدينِ خيراً من الغِنى ... ولم أرَ بعدَ الكُفْرِ شرّاً من الفقرِ

عاش ابن عبد القدوس مدة شبابه في العصر الأموي، وأدرك العصر العباسي وهو كهل ثم شيخ في زمن السفاح والمنصور والمهدي، وانتهت حياته على يدي المهدي سنة 167 هـ، لقد نضجت الحياة العقلية في العصر العباسي، وكانت البصرة موطنه تحفل بالآراء والمذاهب والخواطر الفلسفية والعلمية والأدبية، وقد مثل ابن عبد القدوس هذه الحياة العقلية خير تمثيل، فظهرت في شعره الحكمة والفلسفة والجدل والمناظرة، وعلم الكلام، ويعتبر من مؤسسي علم الكلام في البصرة التي كان فيها ستة من أصحاب هذا العلم، قبل ظهور

---

(1) ابن عاشور ـ ديوان بشار بن برد 1/19.
(2) عبد الله الخطيب ـ صالح بن عبد القدوس البصري ص 67.
(3) الأغاني 14/134 ط دار الكتب المصرية.
(4) مجموع شعره ص 150، جمع وتحقيق عبد الله الخطيب، ط بغداد 1967.

المعتزلة، وعلم الكلام كان صفة تميز العلماء الذين اطلعوا على التراث اليوناني القديم والمقولات الفارسية والأديان[1]. وكان ابن عبد القدوس على صلة بالمعتزلة، نقل أبو الفرج الأصفهاني أنه: «كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام؛ عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وبشار بن برد، وصالح بن عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، ورجل من الأزد (جرير بن حازم)، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدي ويختصمون عنده، فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال، وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة، وأما بشار فبقي متحيراً مخلطاً وأما الأزدي فمال إلى قول السُّمنية، وهو مذهب من مذاهب الهند، وبقي ظاهره على ما كان عليه»[2].

لقد اشتدت في هذا العصر ـ زمن المهدي العباسي ـ الحملة على الزنادقة، واتُّهم صالح بالزندقة، واستغل خصومه ما يقال عنه من أنه يؤمن بالثنوية، مذهب المانوية، القائل بأن أصل العالم متكون من امتزاج النور بالظلمة، وآراء المؤرخين في صالح بن عبد القدوس متضاربة، فمنهم من اتهمه بالزندقة، ومنهم من برأه وجعله رجلاً صالحاً يجلس في المسجد ويعظ الناس، ويهديهم إلى أمور دينهم، فما حقيقة ذلك؟

فأما القائلون بصلاحه وتقاه، فيرون أنه كان شاعراً حكيماً وقوراً أعمى، زاهداً معتزلاً للناس، وقد حفل ديوانه بالدعوة إلى الفضائل والخير والزهد والحكمة، وخلا من المجانة والفجور، قال عنه ياقوت: «وكان حكيماً أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً»[3].

وكان له خصوم من المعتزلة، فساء ظنه بالناس وغلب على شعره التشاؤم، ومال إلى الانطواء والانزواء، ومداهنة الناس خوفاً وبعداً عن شرهم،

---

(1) طه حسين ـ من حديث الشعر والنثر ص 52.

(2) الأغاني 146/3 ط دار الكتب المصرية 139/3 ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(3) معجم الأدباء 1445/4 ط إحسان عباس.

يقول في الصلاح والتقوى وطاعة الله والرضا والقناعة[1]:

لا تأمن الدهرَ الخؤون فإنه	ما زال قِدْماً للرجالِ يؤدبُ
وعـواقـبُ الأيـامِ فـي غصَّـاتهـا	مضضٌ يذل له الأعزُّ الأنجبُ
فعليك تقوى الله فالزمها تفز	إنَّ التقـيَّ هـو البهـيُّ الأهيـبُ
واعمل بطاعته تنلْ منه الرضا	إن المطيـعَ لـه لـديـه مقـربُ
واقنعْ ففي بعضِ القناعةِ راحةٌ	واليأس مما فات فهو المطلبُ

وممن شهد له بالصلاح، الصفدي، الذي يقول: «كان صالح بن عبد القدوس ممن يعظ الناس، ويقص عليهم، وله كلام حسن في الحكمة، فأما الحديث فليس بشيء»[2]. وذكره ابن المعتز، ووصف صلاحه وتقاه فقال: «أما الرجل فله في الزهد في الدنيا والترغيب في الجنة، والحث على طاعة الله عز وجل، والأمر بمحاسن الأخلاق، وذكر الموت والقبر ما ليس لأحد، وكان شعره كله أمثالاً وحكماً»[3].

هذه بعض أقوال من ذهب إلى صلاح ورشد وتقى صالح بن عبد القدوس، وهناك من المؤرخين والأدباء من ضعفوا ابن عبد القدوس ورموه بالزندقة والثنوية، وانحراف الدين، والشك والفساد، وإليك بعض أقوالهم وآرائهم فيه:

قال المرزباني: كان ابن عبد القدوس حكيم الشعر زنديقاً متكلماً، يقدمه أصحابه في الجدال عن مذهبهم، وقتله المهدي شيخاً كبيراً». وقال أحمد بن عبد الرحمان بن المغيّر: «رأيت ابن عبد القدوس في النوم ضاحكاً، فقلت له: ما فعل الله بك، وكيف نجوت مما كنت تُرمى به، فقال: إني وردت على ربٍّ ليس تخفى عليه خافية، وأنه استقبلني برحمته، وقال: قد علمت براءتك مما

---

(1) مجموع شعره ص 124 ـ 125.
(2) نكت الهيمان ص 171 ـ 172.
(3) طبقات الشعراء ص 90 وما بعدها.

كنت تُقذف به، وكان قد أضرَّ آخر عمره»[1].

وفي رسالة الغفران قال المعري: «وأما صالح بن عبد القدوس، فقد شُهر بالزندقة، ولم يُقتل - ولله العلم - حتى ظهرت عنه مقالات توجب ذلك، ويروى لأبيه عبد القدوس:

كم أهلكتْ مكةُ من زائرٍ ... خرَّبها اللَّهُ وأبياتَها
لا رزق الرحمن أحياءها ... وأشوت الرحمةُ أمواتَها[2]

ويقول: وأما رجوعه عن الزندقة لما أحس بالقتل، فإنما ذلك على سبيل الختل، والسيف حمل صالحاً على التصديق، ورده عن رأي الزنديق»[3].

وقيل: إنه كان يصلي على غير إيمان بحقيقة الصلاة، ففي طبقات ابن المعتز: «اجتمع قوم من أهل الأدب في مجلس فيهم صالح بن عبد القدوس يتناشدون الأشعار، إلى أن حانت الصلاة، فقام القوم إلى ذلك وقام صالح فتوضأ وأحسن، ثم صلى أتم صلاة وأحسنها، فقال بعضم: أتصلي هذه الصلاة ومذهبك ما تذكر؟ فقال: إنما هو رسم البلد وعادة الجسد، والله أعلم بتحقيق ذلك»[4].

وقيل: إنه كان على مذهب الثنوية، وقد ناظره أبو الهذيل العلاف فقطعه، قال الشريف المرتضى: «وأما صالح بن عبد القدوس، فكان متظاهراً بمذهب الثنوية، ويقال: إن أبا الهذيل العلاف ناظره فقطعه، ثم قال له: على أي شيء تعزم يا صالح؟ فقال: أستخير الله، وأقول بالاثنين، فقال أبو الهذيل: فأيهما استخرت لا أمَّ لك؟ وناظره أبو الهذيل في مسألة مشهورة في الامتزاج الذي ادعوه بين النور والظلمة، فأقام عليه الحجة فانقطع، وأنشأ يقول:

---

(1) نكت الهيمان ص 171 ـ 172، فوات الوفيات 1/391.
(2) أشوت: أخطأت.
(3) رسالة الغفران ص 436.
(4) طبقات الشعراء ص 90.

أبا الهذيل هداك الله يا رجل　　فأنت حقاً لعمري معضلٌ جدلُ»[1]

وعُرف ابن عبد القدوس بأنه من الثنوية، وكان يجالس مجموعة من مثقفي البصرة وعلمائها، رغم اختلاف مذاهبهم، نقل ابن تغري بردي عن خلف بن المثنى، قال: «كان يجتمع بالبصرة عشرة لا يُعرفُ مثلهم: الخليل بن أحمد صاحب العروض سنيٌّ، والسيد محمد الحميري الشاعر رافضي، وصالح بن عبد القدوس ثنوي[2]، وسفيان بن مجاشع صُفري، وبشار بن برد خليع ماجن، وحماد عجرد زنديق، وابن رأس الجالوت الشاعر يهودي، وابن نظير الطبراني متكلِّم، وعمرو ابن أخت المؤيد مجوسي، وابن سنان الحراني الشاعر صابئي، فيتناشد الجماعة أشعاراً وأخباراً، فكان بشار يقول: أبياتك هذه يا فلان أحسن من سورة كذا وكذا، وبهذا المزاح ونحوه كفروا بشاراً»[3].

ووصف الذهبي عن ابن القدوس بأنه: «صاحب الفلسفة والزندقة»[4]. وقرنه التوحيدي بالملحدين والدهريين من مثل ابن أبي العوجاء، ومطر بن أبي الغيث، وابن الراوندي والصيمري، الذين طاحوا في أودية الضلال، واستجروا إلى جهلهم أصحاب الخلاعة والمجانة»[5].

ويقال: إن ابن عبد القدوس ألّف كتاب (الشكوك)، وقال عنه: «كتا وضعته، من قرأه شك فيما كان، حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن، حتى يظن أنه قد كان». جاء ذكر هذا في سياق موت ولد لصالح، «فمضى إليه أبو الهذيل العلاف، والنظام معه، وهو غلام حدث كالنبع له، فرآه محترقاً، فقال له أبو الهذيل: لا أعرف لجزعك وجهاً، إذا كان الناس عندك كالزرع، فقال

---

(1) أمالي المرتضى 1/144، ط دار إحياء الكتب.
(2) الثنوية: أصحاب الأثنيين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان. (الملل والنحل ص 188).
(3) النجوم الزاهرة 2/29.
(4) ميزان الاعتدال 2/297.
(5) الإمتاع والمؤانسة 2/20 ط دار الحياة، بيروت.

صالح: يا أبا الهذيل، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك، فقال أبو الهذيل: وما كتاب الشكوك؟ قال: كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان، حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه كان. فقال له النظام: فشك أنت في موت ابنك واعمل على أنه لم يمت وإن مات، وشك أيضاً في أنه قد قرأ هذا الكتاب، وإن لم يكن قد قرأه، فحُصِر صالح، وكان مذهبه مذهب السوفسطائية، فإنهم يزعمون أن الأشياء لا حقيقة لها، وأن ما يستعيده الإنسان يجوز أن يكون على غير ما شاهده، وأن حال اليقظان كحال النائم»[1].

هذه الآراء وغيرها، ترجح القول بأن ابن عبد القدوس كان زنديقاً ثنوياً فيلسوفاً شاكاً، ولعل هذه الآراء جاءت لتبرر قتل المهدي لصالح بتهمة الزندقة ومحاكمته، تلك المحاكمة القصيرة التي أجراها المهدي بنفسه، فهو القاضي وهو الجلاد، ولم يحضر المحاكمة أو يتولاها أحد من القضاة، كما هو الأصل الذي يقتضيه الشرع.

المحاكمة:

قال الأربيلي: «ثم في سنة سبع وستين ومئة، جدَّ المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم، وولى أمرهم عمر الكلواذي»[2]. ويقال إن المهدي استقدم صالحاً من دمشق وحاكمه[3]، قيل: أخذ صالح في الزندقة، فأدخِلَ على المهدي، فلما خاطبه أعجب به لغزارة أدبه وعلمه وبراعته، وبما رأى من فصاحته وحسن بيانه وكثرة حكمته، فأمر بتخلية سبيله، فلما ولى رده وقال: ألست القائل[4]:

---

(1) ابن نباتة ـ سرح العيون ص 127.
(2) خلاصة الذهب المسبوك ص 102.
(3) وقيل إن الذي قتله هو الرشيد كما في الأغاني 174/14، والصحيح أن ذلك كان في زمن المهدي، لأن الرشيد ولي الخلافة سنة 170 هـ، وكان مقتل ابن عبد القدوس سنة 167 هـ، وكان المهدي هو الخليفة.
(4) مجموع شعره ص 143.

والشيـخُ لا يتـركُ أخـلاقَـهُ   حتى يُوارى في ثـرى رمسـهِ
إذا ارعـوى عـاد إلـى جهلـهِ   كـذي الضنـا عـاد إلـى نكسـهِ

قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وأنت تترك أخلاقك؟ ونحن نحكم في نفسك بحكمك، فأمر به فقتل[1].

قال ابن المعتز: «وحدثت من غير هذا الوجه، بما هو عندي أثبت من الأول، وذلك ما رويناه أنه أنهيَ إلى الرشيد عنه هذه الأبيات، يعرض فيها بالنبي ﷺ وآله:

غَصَـبَ المسكيـنَ زوجتَـهُ   فجـرتْ عينـاهُ مـن دُرَرِهْ
مـا قضـى المسكيـنُ من وطَرٍ   لا ولا المعشـارَ مـن وطَـرِهْ
عُـذتُ بـاللـه اللطيـفِ بنـا   أن يكـونَ الجـورُ مـن قَـدَرِهْ

ـ عليه لعنة الله إن كان قالها ـ فقال له الرشيد: أنت القائل هذه الأبيات؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أشركت بالله طرفةَ عين، ولا تسفِك دمي على الشبهة، فقد قال ﷺ وآله: «ادرؤوا الحدود بالشبهات ما استطعتم»، وأخذ يرقق قلبه، ويستنزله عما عزم عليه بفصاحته وبيانه، ويتلو القرآن، حتى رق له وأمر بتخلية سبيله، فلما أراد أن يخرج من بين يديه، قال: أنشدني قصيدتك السينية، فأنشده حتى إذا بلغ قوله:

والشيـخ لا يتـرك أخـلاقـه   حتى يوارى في ثرى رمسه

قال: يا شيخ، هذا الكلام يشبه هذا الكلام، وهذا الشعر من نمط ذلك الشعر ـ يعني الأبيات التي نسبت إليه ـ ونحن نتمثل وصيتك، ثم أمر فضُرِبت عُنُقه، وصُلب على الجسر»[2].

ويقال: إن المهدي لما أراد قتله على الزندقة، رمى إليه بكتاب وقال له:

---

(1) طبقات ابن المعتز ص 89.
(2) طبقات الشعراء ص 89 ـ 90.

اقرأ هذا، قال: وما هو؟ قال: كتاب الزندقة، قال صالح: أو تعرفه يا أمير المؤمنين إذا قرأته؟ قال: لا، قال: أفتقتلني على ما لا تعرف، قال: فإني أعرفه، قال صالح: فقد عرفته ولست بزنديق، وكذلك أقرؤه ولست بزنديق»[1].

قيل: وضربه المهدي بالسيف، فجعله نصفين، وعُلِّق ببغداد[2]، وقال ياقوت: فقتله المهدي بيده، ضربه بالسيف فشطره شطرين، وعُلِّق بضعة أيام للناس، ثم دُفن، ويُروى: أنه شُقَّ نصفين، وعُلِّق كل نصف على جسر من جسور بغداد عدة أيام[3].

وفي رواية أن الذي قتله هو السياف، قال: وأحضر صالح بن عبد القدوس وأحضر النطع والسياف، فقال: علامَ تقتلني، قال: على قولك[4]:

ربَّ سِـــرٍّ كتمتُـــهُ فكـــأنـــي   أخـرسٌ أو ثنى لسـانـيَ عقـلُ
ولو أني أظهرتُ للناسِ ديني   لم يكن لي - في غير حبسي - أكلُ

يا عدي الله وعدي نفسه:

الستـر دون الفـاحشـات ولا   يلقـاك دون الخيـر مـن ستـر

فقال: قد كنت زنديقاً، وقد تبت عن الزندقة، قال: كيف وأنت القائل:

والشيـــخ لا يتـــرك عـــادتـــه   حتى يوارى في ثرى رمسه

وأخذ غفلته السياف، فإذا رأسه يتدهدى على النطع[5].

قال الدلجي: «فانظر إلى الفلاكة، قال حكمة (يريد: والشيخ لا يترك عاداته) فكانت سبباً في قتله»[6].

---

(1) أمالي المرتضى 1/144.
(2) ابن شاكر الكتبي - فوات الوفيات 1/391.
(3) معجم الأدباء 12/6، نكت الهيمان ص 172.
(4) مجموع شعره ص 134.
(5) رسالة الغفران ص 31.
(6) الفلاكة والمفلوكون ص 171 ط الآداب، النجف 1385 هـ.

وبعد، فقد قُتل ابن عبد القدوس، ولا يُدرى وجه الحق في ذلك، هل قتل على زندقته وإلحاده، أم قُتل لنشاطه السياسي والاجتماعي وفكره الفلسفي، والغريب أن تقام عليه الحجة في بيع من شعره وهو بيت حكمة ليس فيه شك ولا إلحاد، وإن الرجل كما يقول الدلجي: قال حكمة فكانت سبباً في قتله.

والقصيدة التي فيها هذا البيت القاتل، من قصائد الحكمة الجيدة الرائعة أوثر إثباتها لما فيها من عظات وعبر، قال ابن عبد القدوس[1]:

يـا أيهـا الـدارسُ علمـاً ألا ... تلتمـسُ العـونَ علـى درسـهِ
لـن تبلـغَ الفـرعَ الـذي رمتَـهُ ... إلا ببحـث منـك عـن أسـهِ
فـاسمـعْ لأمثـالٍ إذا أنشـدتْ ... ذكـرت الحـزمَ ولـم تنسِـهِ
إنَّـا وجـدنـا فـي كتـابٍ خلَـتْ ... لـهُ دهـورٌ لاحَ فـي طـرسِـهِ
أتقنـهُ الكـاتـبُ واختـارَهُ ... من سائر الأمثال من حدسِهِ
لـن تبلـغَ الأعـداءُ مـن جاهـلٍ ... مـا يبلـغُ الجاهـلُ مـن نفسِـهِ
والجاهـلُ الآمـنُ مـا فـي غـدٍ ... حفظـهُ فـي اليـومِ أو أمسِـهِ
وخيـرُ مَـنْ شـاورتَ ذو خبـرةٍ ... فـي واضـحِ الأمـر وفـي لبسِـهِ
لا يقبسـن العلـمَ إلا امـرؤ ... يُعـانُ بـاللـبِّ علـى قبسِـهِ
وإنَّ مـن أدَّبْتَـهُ فـي الصِّبـا ... كالعودِ يسقي الماءَ في غرسِهِ
حتـى تـراهُ مـورقـاً نـاضـراً ... بعـد الـذي قـد كـان مـن يبسِـهِ
والشيـخُ لا يتـركُ أخـلاقَـهُ ... حتـى يُـوارى فـي ثـرى رمسِـهِ
إذا ارعـوى عـاد إلـى جهلـهِ ... كـذي الضنـا عـادَ إلـى نكسِـهِ
والحمـقُ داءٌ مـا لـه حيلـةٌ ... تُرجى كبعدِ النجمِ عن لمسِهِ
والـقَ أخـا الضِّغْـنِ بـإيناسِـهِ ... لتـدركَ الفـرصـةَ فـي أنسـهِ
كـالليـثِ لا يعـدو علـى قَرنـهِ ... إلا علـى الأمكـانِ مـن فـرسِـهِ

* * *

(1) مجموع شعره ص 141 ـ 143، وانظر مصادرها فيه وتخريجها.

العَكَوَّك (علي بن جبلَة)

قُطِعَ لسانُه وقُتِل (سنة 213 هـ)

أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم بن بعد الرحمن الأنباوي، من أبناء الشيعة الخراسانية، أصله سندي أو حبشي، كان أسود أبرص، لُقِّب بالعكوك، ومعناه القصير السمين، ويقال: إن الأصمعي هو الذي لقبه به حين كان ينشد بعض مدائحه لهارون الرشيد.

ولد في بغداد في حي الحربية في الجانب الغربي سنة ستين ومئة للهجرة، وكان أصغر أخوته، وقد حظي برعاية والده ومحبته بسبب عماه، وكان يؤثره على أخوته، واختلف في سبب عماه، قيل: إنه كان أكمه وهو الذي يولد ضريراً، وقيل: بل أصيب بالجدري في سن السابعة، وذهبت إحدى عينيه، ثم فُقِئت الثانية فصار كفيفاً.

أوضح أحد أحفاده سبب عماه وبدء ثقافته فقال: «كان لجدي أولاد وكان علي أصغرهم، وكان الشيخ يرقُّ عليه، فذهبت إحدى عينيه في الجدري، ثم نشأ فأسلِمَ إلى الكُتَّاب، فحذق بعض ما يحذقه الصبيان، فحُمل على دابة، ونُثِر عليه اللوز، فوقعت على عينه الصحيحة لوزة، فذهبت، فقال الشيخ لولده: أنتم لكم أرزاق من السلطان فإن أعنتموني على هذا الصبي وإلا صرفت بعض أرزاقكم إليه، فقلنا: وما تريد؟ قال: تختلفون به إلى مجالس الأدب، قال: فكنا نأتي به مجالس العلم، ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان، فما أتى عليه الحول حتى برع، وحتى كان العالم إذا رآه قال لمن حوله: أوسعوا للبغوي[1]،

(1) البغوي: المنسوب إلى بَغْ، أو بغشور، والنسبة إليه بغوي، وهي بلدة بين هراة ومرو الروذ، وقد نُسب إليها خلق كثير من العلماء والأعيان. (ياقوت: معجم البلدان 1/467).

وكان ذكياً مطبوعاً فقال الشعر»[1].

لقد تثقف العكوك ثقافة عربية إسلامية، وحفظ من شعر الجاهليين والإسلاميين والعباسيين، وظهر أثر ذلك في شعره وفصاحته وجودة بيانه، وتطلع إلى مدح الخلفاء، فمدح الرشيد، وأعجب بشعره وأجزل له العطاء، ومدح الولاة والأمراء والقادة وخاصة أبا دلف العجلي، وحميد الطوسي اللذين أغدقا عليه الجوائز والهبات، ومدح الحسن بن سهل، وعبد الله بن طاهر، وحاول أن يتقرب إلى المأمون بمدحه فخاب، وكان ذلك سبب نكبته ونهايته.

بلغه أن الناس يقصدون أبا دلف العجلي[2]، وهو القائد الشجاع الجواد، فقصده العكوك، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها[3]:

ذادَ وِرْدَ الغَيِّ عن صَدَرِهْ ... وارعوى واللهوُ من وطَرِهْ
وأبَتْ إلا الوقارَ له ... ضَحِكاتُ الشيبِ في شَعَرِهْ
نَدَمي إنَّ الشبابَ مضى ... لم أبَلِّغْهُ مدى أشَرِهْ

يقول في مدحه:

دعْ جدا قحطانَ أو مضَرٍ ... في يمانيهِ وفي مُضَرِهْ
وامتدح من وائلٍ رجُلاً ... عَصَرُ الآفاقِ من عَصَرِهْ
المنايا في مقانبه ... والعطايا في ذرا حُجَرِهْ
هضمَ الدنيا بنائلهِ ... وأقامَ الدينَ من عَثَرِهْ
كلُّ من في الأرض من عَرَبٍ ... بين باديه إلى حَضَرِهْ

---

(1) الأغاني 20/21.

(2) أبو دلف: القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلي، أمير الكرج، أحد الأمراء الأجواد الشجعان والشعراء، قلده الرشيد أعمال الجبل، ثم كان من قادة جيش المأمون، توفي ببغداد سنة 226 هـ. (الأغاني 8/248 ط دار الكتب المصرية، مرآة الجنان 2/86، وفيات الأعيان 1/423، تاريخ بغداد 12/416).

(3) شعر علي بن جبلة ص 65 ـ 68، جمع وتحقيق حسين عطوان، ط دار المعارف مصر 1982.

مستعيـــرٌ منـــكَ مكـــرمَـــةً		يكتسيهـــا يـــومَ مفتخَـــرِهْ
صـــاغـــكَ اللّـــهُ أبـــا دُلَـــفٍ		صِبْغَـةً فـي الخَلْـقِ مـن خِيَـرِهْ

والقصيدة من روائع شعر المديح، بلغت ثلاثة وخمسين بيتاً، صور فيها بطولة أبي دلف وسجاياه وكرمه، ومعاركه الحربية، وبلاءه في الحرب، وشيمته في السلم والكرم والعطاء، أعد العكوك هذه القصيدة ـ على ما روى ابن أبي فنن ـ وقصد بها أبا دلف، بعد قتله الصعلوك المعروف بقرقور، وكان هذا من أشد الناس بأساً وأعظمهم، فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل، وأبو دلف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه، فبينما أبو دلف خرج ذات يوم يتصيّد، وقد أمعن في طلب الصيد وحده، إذا بقرقور قد طلع عليه، وهو راكب فرساً يشق الأرض بجريه، فأيقن أبو دلف بالهلاك وخاف أن يولي عنه فيهلك، فحمل عليه وصاح: يا فتيان، يمنةً يمنةً ـ يوهمه أن معه خيلاً قد كمنها له ـ فخافه قرقور وعطف على يساره هارباً، ولحقه أبو دلف فوضع رمحه بين كتفيه، وأخرجه من صدره، ونزل فاحتز رأسه وحمله على رمحه وأدخله الكرج»[1].

وكان أبو دلف قد أعطى العكوك مئة ألف درهم، ويقال: إنه ندم على أنْ لم يعطه مئة ألف دينار، وذلك أنه كان يسير مع أخيه معقل ـ وهما إذ ذاك في العراق ـ إذ مرَّ بامرأتين تتماشيان، فقالت إحداهما لصاحبتها: هذا أبو دلف، قالت: ومن أبو دلف؟ قالت: الذي يقول فيه الشاعر:

إنمـــا الـــدنيـــا أبـــو دُلَـــفٍ		بيـــن بـــاديـــه ومُحْتَضَـــرِهْ
فـــإذا ولّـــى أبـــو دُلـــفٍ		ولّـــتْ الـــدنيـــا علـــى أثـــرِهْ

قال: فاستعبر أبو دلف حتى جرى دمعه، قال له معقل: ما لك يا أخي تبكي؟ قال: لأني لم أقضِ حقَّ علي بن جبلة، قال: أو لم تعطه مئة ألف درهم

(1) الأغاني 20/28، الكرج: مدينة بين همذان وأصبهان، في نصف الطريق، وإلى همذان أقرب، وأول من مصرَّها أبو دلف العجلي وجعلها وطنه، وإليها قصده الشعراء وذكروها في أشعارهم. (ياقوت: الكرج).

لهذه القصيدة؟ قال: والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي على أني لم أكن أعطيته مئة ألف دينار، والله لو فعلت لما كنت قاضياً حقه[1].

وكانت هذه القصيدة قد أثارت حفيظة المأمون وحسده، إذ جعل الشاعر أبا دلف خيرة خلق الله، وأضفى عليه ضروب المحاسن، وعظيم السجايا، وقد قال المأمون يوماً لجلسائه: «أقسِمُ على من حضر ممن يحفظ قصيدة علي بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى (أبي دلف) إلا أنشدنيها، فقال له بعض جلسائه: قد أقسم أمير المؤمنين، ولا بد من إبرار قسمه، وما أحفظها، ولكنها مكتوبة عندي، قال: قم فجئني بها، فمضى وأتاه بها، فأنشده إياها (ذاد وردَ الغيِّ عن صدرِه... القصيدة)، قال: فغضب المأمون واغتاظ، وقال: لستُ لأبي إنْ لم أقطع لسانه أو أسفك دمه»[2].

وقد حاول حميد الطوسي ـ وهو أحد من مدحهم العكوك فأجاد في مدحه ـ أن يشفع للعكوك، ويدخله على المأمون، فيسمع منه مديحاً مدحه به، فقال المأمون ـ ولم ينسَ مديحه لأبي دلف ـ: وأي شيء يقوله فيَّ بعد قوله في أبي دلف:

إنمـا الـدنيـا أبـو دُلَـفٍ ... بيـنَ مغـزاهُ ومُحتَضَـرِهْ
فـإذا ولَّـى أبـو دُلـفٍ ... ولَّـتْ الـدنيـا علـى أَثَـرِهْ

وبعد قوله فيك:

يـا واحـدَ العَـرَبِ الـذي ... عَـزَّتْ بعِـزَّتِـهِ العَـرَبْ

أحسن أحواله أن يقول فيَّ مثلَ ما قاله في أبي دلف فيجعلني نظيراً له، هذا إنْ قدر على ذلك ولم يقصر عنه. واشترط المأمون على حميد الطوسي أن يخيِّر العكوك بين أن يسمع منه، فإن كان مدحه في المأمون أفضل من مدحه في أبي دلف، وصله، وإلا ضرب عنقه وقطع لسانه، وبين أن يقبله ويعفيه من هذا

---

(1) الأغاني 20/29.
(2) الأغاني 20/25 ـ 27.

وذاك، فخيَّروه بذلك، فاختار الإقالة[1].

على أن نفس المأمون لم تهدأ، ولم يذهب حسده، كلما سمع بأبيات فيها مديح ابن جبلة لأبي دلف، فقد سمع يوماً قول ابن جبلة في أبي دلف[2]:

كلُّ من في الأرضِ من عربٍ بيـن بـاديـهِ إلـى حضـرهْ
مستعيـرٌ منـك مكـرمـةً يكتسيهـا يـوم مفتخـرهْ

غضب وقال: اطلبوه حيث كان، فطُلِب ابن جبلة، فلم يُقدر عليه، وذلك أنه كان بالجبل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة أيضاً، وتوسط الشام، فظفروا به، فأخذوه وحملوه إلى المأمون فلما صار إليه قال له: «يا ابن اللخناء، أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كلُّ من في الأرضِ من عربٍ بيـن بـاديـه إلـى حضـرهْ
مستعيـرٌ منـك مكـرمـةً يكتسيهـا يـومَ مفتخـرهْ

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه، فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم أحد، لأن الله جل وعز فضلكم على خلقه واختاركم لنفسه، وإنما عنيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانه، فقال: والله ما استثنيت أحداً عن الكل، سلوا لسانه من قفاه».

ولا بد من سبب قوي يسوغ قتله، وليس هناك حجة أقوى من الدين، فقد قيل: إن المأمون لما أدخل عليه علي بن جبلة قال له: «إني لست أستحلُّ دمك لتفضيلك أبا دلف على العرب كلها، وإدخالك في ذلك قريشاً، وهم آل رسول الله ﷺ وعِترته، ولكني أستحله بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركت فيه:

---

(1) الأغاني 20/47.
(2) الأغاني 20/48، شعر العكوك ص 68.

أنت الذي تنزلُ الأيامُ منزلها   وتنقلُ الدهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مدى طرفٍ إلى أحدٍ   إلا قضيــتَ بــأرزاقٍ وآجــالِ

كذبت يا ماصَّ بَظرِ أمِّهِ، وما يقدر على ذلك أحد إلا الله ـ عز وجل ـ الملك الواحد القهار، سُلُّوا لسانه من قفاه»[1]. فسلوا لسانه وقتلوه، وكان ذلك سنة 213 هـ.

وهكذا كانت روعة الشعر قد جنت على الشاعر، ومات المدح والممدوح، والحاسد والمحسود، وبقي الشعر يخلد نبوغ صاحبه وعبقريته وبراعة فنه.

وإذا كان منطق التاريخ أن يكون الحاكم في كل زمان ومكان هو المبرأ، وقوله الصدق، وفعله الحق، فلا بد من تبرئة الحاكم، ولذلك فقد صيغت رواية تقول: إن المأمون لما طلبه هرب ولم يزل متوارياً حتى مات ولم يقدر عليه[2]، ولعل ما خفي من أسباب قتله، بالإضافة إلى حسد المأمون على مديحه لأبي دلف، أن أسرة ابن جبلة كانت موالية للأمين في حربه مع أخيه المأمون، وأن عبد الرحمن بن جبلة كان من كبار قادة الأمين، الذين أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع عنه والانتصار له، وبقي على وفائه له حتى قُتل بأسدآباذ سنة خمس وتسعين ومائة، وهو يحارب عبد الله بن طاهر أكبر قادة المأمون[3].



(1) الأغاني 20/49 ـ 50.
(2) الأغاني 20/21، طبقات ابن المعتز ص 171.
(3) ابن الأثير ـ الكامل 6/413، شعر علي بن جبلة ص 12.

محمد بن عبد الملك الزيات

قتل بالتنور الذي صنعه لتعذيب خصومه(سنة 233 هـ)

أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، المعروف بابن الزيات، جاءه هذا اللقب من جده الذي كان تاجراً يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد، وجده هذا هو أبان بن حمزة من أهل قرية الدسكرة، مقابل جُبَّل من عمل بغداد، وأسرة ابن الزيات عربية الأصل، وكان أبوه عبد الملك تاجراً من وجوه تجار الكرخ في بغداد، وهو ثري موسر، وكان يتولى تزويد بلاط المأمون بما يلزمه من الفساطيط والجمازات وما تحتاجه مطابخ القصر من أشياء، ومعنى هذا أنه كان من كبار تجار بغداد المرموقين، وقد نشأ ابنه محمد في هذا العز الموروث القائم على تجارة الزيت في بغداد بجانب الكرخ.

كان ابن الزيات ميالاً منذ صغره إلى العلم والأدب، ولا نعلم عن ثقافته وهو صغير تحقيقاً وتفصيلاً، إلا أن الدلائل تشير إلى شغفه بالأدب وتفضيله على التجارة، فقد كان أبوه يريده أن يكون تاجراً كأسرته، وكان هو يطلب الكتابة وملازمة الدواوين ومجالسة الكتاب، وكان من كتاب عصره آنذاك الجاحظ، وعمرو بن مسعدة، وأحمد بن يوسف، وسهل بن هارون، وغيرهم، وعلى الرغم من إلحاح أبيه على أن يتعاطى التجارة، إلا أنه كان شديد الحرص على طلب العلم والكتابة، ومما قاله أبوه عبد الملك يخاطبه: «والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك وليضرنَّك، لأنك تدع عاجل المنفعة وما أنت فيه مكفي، ولك ولأبيك مال وجاه وتطلب الآجل الذي لا تدري ما تكون فيه»، فقال: «والله لتعلمنَّ أينا ينتفع بما هو فيه أنا أم أنت؟» ثم شخص إلى الفضل بن سهل، بفم الصلح، فامتدحه بقصيدة فأعطاه عشرة آلاف درهم، فعاد بها إلى أبيه فقال

له أبوه: «لا ألومك بعدها على ما أنت فيه»، وفي القصيدة أبيات يقول فيها واصفاً حاله[1]:

إني شعرتُ فلم أمدح سواك ولم ... أعملْ إلى غيركَ الإدلاجَ والبُكرا
مـا كـان ذلـك إلا أننـي رجـلٌ ... لا أقربُ الوِرْدَ حتى أعرفَ الصدرا
لم أمتدحك رجاءَ المالِ أطلبُهُ ... لكن لتبلسَني التحجيلَ والغُررا

وكان ابن الزيات قد تثقف ثقافة عربية واسعة، فبرع في اللغة والنحو والشعر وعلوم الشريعة وغيرها، وأخذ عن كبار الكُتَّاب واللغويين والنحويين، فبرع ونبغ في علوم عصره، ويكفي أن يكون أبو عثمان المازني يجل ابن الزيات، ويثق بعلمه، ومن دلائل ذلك ما رواه ميمون بن هارون الكاتب: «أن أبا عثمان المازني لما قدم بغداد أيام المعتصم، كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو، فإذا اختلفوا فيما يقع فيه شك، يقول المازني: ابعثوا إلى هذا الفتى الكاتب ـ يعني محمد بن عبد الملك ـ اسألوه، واعرفوا جوابه، فيفعلون، فيصدر الجواب من قبله بالصواب الذي يرتضيه المازني، ويقفهم عليه[2].

لقد أعدّ ابن الزيات نفسه ليكون كاتباً من كتّاب الدولة، وكان ذكياً فطناً طموحاً، وكان أول صلته بقصر الخلافة في أيام المعتصم ويبدو أنه تسلم وظيفة القهرمان والإشراف على المطبخ، وكان يؤهل نفسه لمنصب الكتابة، ولذلك كان يلبس زي الكتّاب، من لبس السواد وحمل السيف، يقول الطبري: «كان محمد بن عبد الملك يتولى ما كان يتولاه أبوه للمأمون من عمل المشمش والفساطيط وآلة الجمازات[3]، ويكتب على ذلك مما جرى على يدي محمد بن عبد الملك، وكان يلبس إذا حضر الدار دراعة سوداء، وسيفاً بحمائل، فقال له

(1) ديوان ابن الزيات ص 193 تحقيق يحيى الجبوري، ط دار البشير، عمان 2002.
(2) تاريخ بغداد 3/144.
(3) الجمازة: بفتح الجيم، مركب سريع يتخذه الناس في المدن (شبه العجلة التي تجرها الخيل). (المعجم الوسيط: جمز).

الفضل بن مروان: إنما أنت تاجر، فما لك وللسواد وللسيف؟ فترك محمد ذلك»[1].

ولكن ابن الزيات كان يعد نفسه ليكون كاتباً من كتاب السلطان، وقد واتته الفرصة سريعة، وكانت مصادفة، وقد أعانه على اقتناص هذه الفرصة المتاحة جهل الوزير وضعف تحصيله، وقد تحدثت المصادر عن هذه الفرصة على خير وجه، من ذلك ما ذكره ابن خلكان وغيره، قال: «كان أحمد بن عمار البصري وزير المعتصم، فورد على المعتصم كتاب من بعض العمال، فقرأه الوزير عليه، وكان في الكتاب ذكر (الكلأ)، فقال المعتصم: ما الكلأ؟ فقال الوزير: لا أعلم، وكان قليل المعرفة بالأدب، فقال المعتصم: خليفة أمي، ووزير عامي!! وكان المعتصم ضعيف الكتابة، ثم قال: ابصروا من بالباب من الكتَّاب، فوجدوا محمداً ابن الزيات المذكور، فأدخلوه عليه، فقال: ما الكلأ؟ فقال: الكلأ العشب على الإطلاق، فإن كان رطباً فهو الخلا، فإذا يبس فهو الحشيش، وشرع في تقسيم أنواع النبات، فعلم المعتصم فضله، فاستوزره وحكمه وبسط يده»[2].

تقلد ابن الزيات الوزارة لثلاثة خلفاء؛ المعتصم والواثق والمتوكل، وكان حازماً قوياً شديداً مستقل الرأي مهيب الجانب، مع شيء غير قليل من القسوة والغلظة على الكتاب والعمال، الذين يستهينون بأمور الدولة ويعبثون بأموالها، وكان ابن الزيات مكيناً لدى الخلفاء المعتصم والواثق، وكان في زمن المعتصم شديداً على ابنه الواثق، لا ينفذ ما يأمر به المعتصم من إعطائه المال الكثير، وكان يراجع الخليفة في ذلك، وقد كسب بذلك عداء الواثق الذي أقسم بأغلظ الأيمان إنْ ولي الخلافة ليقتلنَّه شر قتلة، إلا أن الواثق لما ولى الخلافة، ورأى مقدرة ابن الزيات وحزمه واستقامته، وحاجة السلطان إليه، عفا عنه وأكرمه،

(1) تاريخ الطبري 5/312 ـ 313، معجم الشعراء ص 365.

(2) وفيات الأعيان 4/186 ط عبد الحميد، مصر 1948، الوافي بالوفيات 4/32، الفخري ص 232 خزانة الأدب 1/446.

وعلت منزلته في عهده، حتى أنه أمر الكتاب ومن في الديوان أن يقوموا له إذا مرَّ بهم، وكان في زمن الواثق شديداً على أخيه المتوكل، ولما رأى منه من تقصير وسلوك لا يليق بأخي الخليفة، وما كان عليه من زي يشبه زي المخنثين، فعامله ابن الزيات بقسوة وغلظة، ولم يشفع له عند أخيه ليرضى عنه، بل كان سبباً في حلق رأسه وجز شعر قفاه، وحاول ابن الزيات أن يجعل ولاية العهد بعد موت الواثق لابنه ويحجبها عن أخيه المتوكل، فلم يفلح، وانتصر عليه في هذا الأمر خصمه اللدود ابن أبي داود، الذي سعى في تولية المتوكل، وحظي عنده، وأضمر المتوكل أن ينتقم من ابن الزيات، وساعده على ذلك إغراء ابن أبي داود قاضي القضاة في قتل ابن الزيات ومصادرته، طمعاً في ماله، وتخلصاً من خصم منافس شديد، إلا أن المتوكل قد أرجأ لك أربعين يوماً، فأقر ابن الزيات على الوزارة، وخلع عليه، ثم صادره وحبسه، وأمر بتعذيبه حتى هلك.

وكان عذاب ابن الزيات في التنور الذي صنعه، فما هو التنور؟

لم يرد للتنور ذكر في التاريخ الإسلامي قبل عهد ابن الزيات، قيل: إن ابن الزيات صنع التنور للمصادرين، والمغضوب عليهم، والمطلوبين بالأموال، وذلك في أيام وزارته للمعتصم[1]، وينص ابن خلكان على أنه لم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة[2]، وفي الطبري قوله: «فذكر عن ابن أبي داود، وأبي الوزير، أنهما قالا: هو أول من أمر بعمل ذلك، فعذَّب به أسباط المصري، حتى استخرج منه جميع ما عنده، ثم ابتلي به فعُذِّبَ به أياماً[3]، فما هو التنور؟ وما شكله؟ وما هي مادة صنعه؟.

التنور:

التور من اسمه، هو الذي يخبز فيه الخبز، أي أنه وعاء أو فرن يخبز فيه،

---

(1) المسعودي ـ مروج الذهب 5/7.
(2) وفيات الأعيان 5/100.
(3) الطبري 10/8.

توضع في جوفه النار، ويلصق العجين على جوانبه ليكون خبزاً، والتنور: مفجِّر الماء، ومنه قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: 40]، وجاء وصف التنور الذي صنعه ابن الزيات ـ كما ذكرته المصادر ـ على الوجه الآتي:

تنور من حديد رؤوس مساميره من الداخل، قائمة مثل رؤوس المسال[1]، وقال البغدادي: «تنور من حديد أطراف مساميره المحددة إلى داخله، وهي قائمة مثل رؤوس المسال، وكان يعذِّب فيه أيام وزارته، فكيفما انقلب المعذَّبُ أو تحرك من حرارة العقوبة، تدخل المسامير في جسمه»[2]. ويقول البيهقي: «يُمدُّ المعذَّبُ يديه إلى السماء جميعاً، حتى يدق موضع كتفيه، ثم يدخل التنور ويجلس، وفي التنور مسامير حديد، وفي وسطه خشبة معترضة يجلس المعذَّبُ عليها، إذا أراد أن يستريح»[3]، وقيل: تنور من حديد وفيه مسامير أطرافها المحددة إلى داخل التنور، وهي قائمة مثل رؤوس المسال، ويعذب فيه المصادرين، وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، فكيفما انقلب أحدهم أو تحرك من حرارة الضرب، دخلت تلك المسال في جسمه، فيجد من ذلك ألماً عظيماً[4].

ويقول ياقوت على لسان الجاحظ: «ولما قُبِض على محمد، هرب الجاحظ، فقيل له: هربت؟ فقال: خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور، يريد ما صُنِع بمحمد وإدخاله تنور حديد فيه مسامير، وكان هو صنعه ليعذب الناس فيه، فعُذِّب هو فيه حتى مات»[5]، وصرح الأصفهاني أن التنور يحمى بالنار، قال: «فلما قُبِض عليه (أي ابن الزيات) استعمل له تنور حديد، وجعل

---

(1) مروج الذهب 5/7، المسال؛ جمع مسلة، وهو المخيط الضخم.

(2) خزانة الأدب 1/450.

(3) المحاسن والمساوىء ص 532.

(4) الوافي بالوفيات 4/32، تاريخ بغداد 1453 ـ 146، شذرات الذهب 3/154، الفخري ص 233.

(5) معجم الأدباء 5/2102 ط إحسان عباس.

فيه مسامير لا يقدر معها أن يتحرك إلا دخلت في جسده، ثم أحماه له، وجعله فيه، فكان يصيح: ارحموني، فيقال له: اسكت أنت كنت تقول: ما رحمت أحداً قط، والرحمة ضعف في الطبيعة، وخَوَر في المُنَّة، فاصبر على حكمك، وخرج عليه عبادة[1] فقال: أردت أن تشويني فشووك»[2]. وفي رواية عن العباس بن طومار: «أمر المتوكل عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيات ـ وقد أحْمي تنور حديد وجعله فيه ـ يكايده، فدخل إليه فوقف بازاءه. . . »[3].

وكل المصادر السابقة تنص على أن التنور من حديد، ولكن الطبري يذكر في سياق تعذيب ابن الزيات، أن التنور من خشب فيه مسامير من حديد قيام[4].

من خلال هذه المصادر التي قصدنا أن نذكرها بنصوصها، يتبين:

1 ـ أن ابن الزيات أول من عمل التنور للتعذيب، لاستخلاص الأموال من المطلوبين والمصادرين، وإن كان التنور معروفاً للعلاج ـ تنور الخبز وليس تنور التعذيب ـ ففي خبر وفاة الواثق ساق الطبري خبراً مفاده أن الواثق أصيب بعلة الاستسقاء، فعولج بالإقعاد في تنور مسخَّن، فوجد لذلك راحة وخِفَّة مما كان به، فأمرهم من غد ذلك اليوم بزيادة في إسخان التنور، ففُعِل ذلك وقعد فيه أكثر من قعوده في اليوم الذي قبله، فحُمي عليه فأخرج منه وصُيِّر في محفَّة، ثم مات بعد ذلك[5].

2 ـ أن التنور من حديد، وفيه مسامير حادة قائمة، كأنهما الأبر الغلاظ أو المخيط.

---

(1) عبادة: هو المشرف والقائم على تعذيب ابن الزيات.
(2) الأغاني 23/73.
(3) الأغاني 23/74.
(4) الطبري 10/8.
(5) الطبري 9/150.

3 ـ أن التنور ضيق، والمسامير تحيط بجسم المعذَّب، فإن تحرك دخلت المسامير في جسمه، فيشعر بألم شديد.

4 ـ قد يكون التنور للتضييق على المعذَّب وعدم استطاعته الحركة، دون الحاجة إلى حميه بالنار.

5 ـ مما ذكر أن التنور يحمى بالنار، وقال الأصفهاني: (ثم أحْماه)، وذكر عبارة: (أردت أن تشويني فشووك).

6 ـ إن المعذب يضرب، فإذا تحرك دخلت المسامير في جسمه.

7 ـ إذا كان المعذَّب يضرب وهو في التنور، والتنور من حديد، فينبغي أن يكون الضرب على الرأس والوجه.

8 ـ ذُكر في تعذيب ابن الزيات، أنه ضُرب على بطنه خمسين مقرعة، ثم قُلب فضُرب على استه مثلها، فمات وهو يضرب وهم لا يعلمون، ومعنى هذا أن الضرب في هذه الحالة يكون المعذَّب خارج التنور.

9 ـ في خبر عذاب ابن الزيات أن المتوكل أمر بإدخاله في التنور، وقُيِّد بخمسة عشر رطلاً من حديد.

10 ـ في أسفل التنور خشبة يجلس عليها المعذَّب، ولكن الخشبة تسحب من تحته، حتى يظل واقفاً زيادة في عذابه، وإذا حاول الجلوس مع وجود الخشبة شُدَّ من رقبته، كما سيأتي في عذاب ابن الزيات.

11 ـ يرفع المعذَّب يديه إلى أعلا حتى يدق كتفه، ومعنى هذا أن يديه قد تكونان خارج التنور، فيستطيع كتابة بعض الكلمات، كما فعل ابن الزيات حين كتب على ظهر التنور أبياتاً، وهذا يتيح للمعذِّب أن يضربه على يديه وكتفيه ورأسه وهو في التنور.

12 ـ إن وقوف المعذَّب وعدم استطاعته الحركة خوفاً من انغراز المسال في جسمه، هو عذاب شديد، حتى لو لم يُضرب، أو لم يُحمَ التنور، ولا شك

أن المعذَّب يعاني آلاماً شديدة في قدميه وساقيه وظهره.

13 ـ ليس هناك تحديد للأيام التي يبقى فيها المعذَّب في التنور، قد تطول حتى الإقرار والاعتراف بما يريدون، أو حتى وفاة المعذَّب، وكان عذاب ابن الزيات في التنور قد استمر أربعين يوماً إلى أن توفي.

14 ـ لم يرد ذكر لإطعام المعذَّب، ونفترض أنه يأكل مرة واحدة في يومه، رغيفاً من الخبز وجرعة ماء، وفي خبر ابن الزيات أنه لم يأكل طيلة حبسه إلا رغيفاً واحداً، وكان يأكل حبة عنب أو اثنتين.

15 ـ لم يرد ذكر لقضاء حاجة المعذَّب، وفي أكبر الظن أنه كان يقضيها في مكانه لطول مدة العذاب.

نكبة ابن الزيات:

لما توفي الواثق، سعى ابن الزيات لجعل الخلافة لابنه محمد بن الواثق، وكان صغيراً، وأراد أن يحجبها عن المتوكل، وسعى خصمه القاضي أحمد بن أبي داود لمبايعة المتوكل، ولما آلت الخلافة إلى المتوكل، صار ابن أبي داود يغري المتوكل بمصادرة ابن الزيات وقتله، وزيَّن له أن لابن الزيات أموالاً طائلة، ولم ينس المتوكل سلوك ابن الزيات حياله، فأمهله أربعين يوماً بعد أن أقره على الوزارة وخلع عليه، حتى إذا كان يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر صفر سنة 233 هـ، أمر المتوكل إيتاخ بأخذه وعذابه، فبعث إليه إيتاخ، فظن ابن الزيات أنه دُعي به، فركب بعد غدائه مبادراً، فلما حاذى منزل إيتاخ قيل له: اعدل إلى منزل أبي منصور، فعُدِل به، وأوجس في نفسه خيفة، فلما جاء إلى الموضع الذي كان ينزل فيه إيتاخ، عُدِل به يمنةً، فأحسَّ بالشر، ثم أدخل حجرة، وأخِذ سيفُه ومنطقتُه وقلنسوته ودراعته، فدُفِع إلى غلمانه، وقيل لهم: انصرفوا، فانصرفوا، لا يشكون أنه مقيم عند إيتاخ ليشرب النبيذ[1].

---

(1) الطبري 10/7.

وكان إيتاخ قد أعد له رجلين من وجوه أصحابه، هما يزيد بن عبد الله الحلواني، وهرثمة شارباميان، فلما كان ابن الزيات في منزل إيتاخ خرج هذان يركضان في جندهما وشاكريتهما حتى أتيا دار محمد بن عبد الملك، فهجما على داره وأخذا جميع ما فيها، وكان المتوكل قد أمر في هذا اليوم أن يقبض على كل ما في منزله من متاع ودواب وجوار وغلمان، فصيَّر كل ذلك في الهاروني، ووجه راشداً المغربي إلى بغداد في قبض ما هنالك من أمواله وخدمه، وأمر أبا الوزير بقبض ضياعه، وضياع أهل بيته حيث كانت، فأما ما كان بسامراء فحمل إلى خزائن مسرور سماتة، بعد أن اشترى للخليفة، وقيل لمحمد بن عبد الملك: وكِّلْ ببيع متاعك، وأتوه بالعباس بن أحمد بن رشيد كاتب عجيف، فوكله بالبيع عليه[1].

ويبدو أن الموكلين بمصادرة أموال ابن الزيات لم يبقوا له أو لأهل بيته شيئاً ذا بال، ذكر الحلواني ما صار عليه بيت أبي الزيات قال: «أتيت البيت الذي كان محمد بن عبد الملك يجلس فيه، فرأيته رث الهيئة قليل المتاع، ورأيت فيه طنافس أربعة وقناني رطليات فيها شراب، ورأيت بيتاً ينام فيه جواريه، فرأيت فيه بورياً[2] ومخادَّ منضدة في جانب البيت، على أن جواريه كن يَنَمْنَ فيه بلا فرش»[3].

وبقي ابن الزيات أياماً في حبسه مطلقاً، ثم أمِر بتقييده، فقُيِّد بحديد ثقيل، قيل: خمسة عشر رطلاً[4]، وساءت حاله، فامتنع عن الطعام، وكان لا يذوق شيئاً، وكان شديد الجزع من الحبس، كثير البكاء، قليل الكلام، كثير التفكير.

---

(1) الطبري 10/ 8.
(2) البوري: جمع البارياء، الحصير من قصب، فارسي معرب.
(3) الطبري 10/ 8.
(4) وفيات الأعيان 5/ 100.

ثم بدأت عملية التعذيب، وكان أولها أن سوهر، ومُنِع من النوم، فكان الموكل به إذا رآه قد غفا ينخسه بمسلة، ثم تُرِكَ يوماً وليلة فنام وانتبه، فاشتهى فاكهة وعنباً، فأتي به فأكل، ثم أعيد إلى المساهرة، ولم يكتفوا بعذاب السهر، بل شددوا عليه العذاب بأن أدخلوه في التنور، والمسامير تحيط به فلا يستطيع الحركة، ولم يُترك في التنور وشأنه بل زادوا عليه العذاب، روى الدنداني الموكل بعذابه أنه قال: «كنت أخرج وأقفل الباب عليه، فيمد يديه إلى السماء جميعها حتى يدق موضع كتفيه، ثم يدخل التنور فيجلس، والتنور فيه مسامير حديد، وفي وسطه خشبة معترضة يجلس عليها المعذَّب، إذا أراد أن يستريح، فيجلس على الخشبة ساعة، ثم يجيء الموكل به، فإذا سمع صوت الباب يُفتح قام قائماً كما كان، ثم شددوا عليه»[1].

وقد مُنِع ابن الزيات حتى من القعود على الخشبة داخل التنور، قال المعذِّب له: «ثم خاتلته يوماً، وأريته أني أقفلت الباب، ولم أقفله، إنما أغلقته بالقفل، ثم مكثت قليلاً، ثم دفعت الباب غفلة، فإذا هو قاعد في التنور على الخشبة، فقلت: أراك تعمل هذا العمل!! فكنت إذا خرجت بعد ذلك شددت خناقه، فكان لا يقدر على القعود، واستللت الخشبة حتى كانت تكون بين رجليه، فما مكث بعد ذلك أياماً حتى مات»[2].

وإذا صحت رواية موته، فيبدو أنه مات مخنوقاً لأن المعذِّب قد شدَّ خناقه حتى لا يجلس على الخشبة، ومع ذلك فقد سحب الخشبة فلم يستطع القعود، ولا شك أنه قد أنهِك فلم تحتمله رجلاه، فانهار جسمه إلى أسفل والحبل في رقبته، فاختنق بثقل جسمه، هذه رواية موته، وهناك رواية أخرى، أظنها الأرجح، تقول: «إنه بُطِح فضُرِب على بطنه خمسين مقرعة، ثم قُلِب فضُرِب على إسته خمسين أخرى، فمات وهو يُضرب، وهم لا يعلمون، فأصبح ميتاً قد

---

(1) الطبري 10/8.

(2) الطبري 10/9.

التوت عنقه، ونُتفت لحيته»[1]. وقد اجتمع على ابن الزيات عذاب التنور وعذاب الضرب وعذاب الجوع أيضاً، قال مبارك المغربي: ما أظنه أكل طول حبسه إلا رغيفاً واحداً، وكان يأكل العنبة والعنبتين.

وكان يتذكر حاله قبل النكبة، وما كان فيه من نعمة، وندم أن طلب الوزارة، ويحزن على ما صار إليه، ووصف المغربي حاله قبل الموت قال: «كنت أسمعه قبل موته بيومين أو ثلاثة يقول لنفسه: يا محمد بن عبد الملك، لم تقنعك النعمة والدواب الفُرَّة، والدار النظيفة، والكسوة الفاخرة، وأنت في عافية، حتى طلبت الوزارة، ذق ما عملت بنفسك، فكان يكرر ذلك على نفسه، فلما كان قبل موته بيوم، ذهب عنه عتاب نفسه فكان لا يزيد على التشهد وذكر الله»[2]، وكانت مدة إقامته في التنور أربعين يوماً[3].

ولما أخذ ابن الزيات أخذ ابناه سليمان وعبيد الله فحُبِسا، فلما مات ابن الزيات، أحضِر ابناه وقد طُرِحت جُثَّتُه على باب من خشب، في قميصه الذي حُبس فيه، وقد اتسخ، فدُفعت جثته إليهما، فغسلاه على باب الخشب، ودفناه وحفرا له، فلم يعمقا، فذُكرَ أنَّ الكلاب أكلت لحمه[4]، وتبالغ الرواية فتجعل ابنيه يشتمانه حين رأيا جثته، فقالا: الحمد لله الذي أراح من هذا الفاسق[5]، وما أظن أن هذه الرواية صحيحة إذ لم يُعرف عن أبنائه العقوق والجحود، وإذا افترضنا أنها صحيحة ـ وهذا فرض بعيد ـ فإن الخوف من بطش السلطان أنطقهما بهذا الكلام.

وهكذا يسدل الستار على حياة كاتب شاعر، ووزير حازم، أراد أن يعيد للخلافة هيبتها، ويضع حداً لطمع الطامعين وعبث العابثين، بأموال الدولة

---

(1) الطبري 10/9.

(2) السابق نفسه.

(3) وفيات الأعيان 5/100.

(4) الطبري 10/9.

(5) السابق والصفحة.

ومصائر الناس، في زمن كان الخلفاء ضعفاء ومنصرفين إلى اللهو والترف والسرف والمجون، وغلب عليهم قادة الجند من الأتراك، وقد كان للأحقاد والمنافسات أثر كبير في مصير ابن الزيات، الذي بولغ في عذابه وإهانته، وكان الطامعون في ماله يظنون أن له ثروة طائلة، ولكنهم حين صادروه، لم يجدوا في كل أمواله في بغداد وسامراء إلا ما قيمته تسعون ألف دينار، وقيل: مئة ألف، في زمن كانت الجوائز والهبات تجاوز هذا المبلغ، وأن هذه الثروة تعد زهيدة لمن تولى الوزارة أربع عشرة سنة، وكان غنياً موسراً قبل أن يتولى الوزارة، ومن أسرة من أثرياء بغداد، ولذلك فقد قيل: إن المتوكل ندم على فعلته، وقال لابن أبي داود: «أطمعتني في باطل، وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضاً»[1].

من شعره عند العذاب:

يبدو أن الخليفة المتوكل كان يحضر إلى السجن ويشاهد عذاب ابن الزيات، وكان ابن الزيات يستعطفه ويقول: يا أمير المؤمنين، ارحمني، فقال له: الرحمة خور في الطبيعة كما كنت تقول للناس، وقال له: «أجرينا فيك حكمك في الناس[2]. وقد طلب ابن الزيات أثناء عذابه دواة وبطاقة، فأحضرتا إليه، فكتب[3]:

هو السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ما تُريك العينُ في النومِ
لا تجزعنَّ رويداً إنها دولٌ دنيا تنقلُ من قومٍ إلى قومِ

وسيَّرها إلى المتوكل، فاشتغل عنها، ولم يقف عليها إلا إلى الغد، فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجه، فجاءوا إليه فوجدوه ميتاً.

ومما كتبه أثناء العذاب أبيات يذكر فيها ما يقاسيه من تسهير، يتشوق إلى

(1) الأغاني 23/73، الطبري 9/161.
(2) ابن خلكان 5/100، 102.
(3) ابن خلكان 5/100، ديوان ابن الزيات ص 258، (محمد بن عبد الملك الزيات، سيرته أدبه، تحقيق ديوانه) تأليف يحيى الجبوري، ط دار البشير، عمان 2002.

النوم، وقد وجدت هذه الأبيات مكتوبة بخطه بالفحم على جانب التنور[1]:

مَـــنْ لـــه عهـــدٌ بنـــوم يُــرشـــدُ الصَّـــبَّ إليـــهِ
رحـــم اللـــهُ رحيمـــاً دلَّ عينـــــيَّ عليـــــهِ
سَهِـــرت عينـــي ونـــامـــتْ عيـــنُ مـــن هِنْـــتُ عليـــهِ

وقد دخل عليه أحد أصحابه، وهو أحمد الأحول، فرآه وكلمه ووصف حاله، قال: لما قُبض على ابن الزيات تلطفت إلى أن وصلت إليه، فرأيته في حديد ثقيل، فقلت له: يعزُّ عليَّ ما أرى، فقال[2]:

سَـلْ ديـار الحيِّ مَنْ غيَّـرهـا وعفـاهـا ومحـا منظـرهـا
وكـذا الـدنيـا إذا مـا انقلبـتْ جعلـتْ معـروفَهـا منكَـرَهـا
إنَّمـا الـدنيـا كظـلٍّ زائـلٍ أحمـدُ اللـهَ كـذا قـدَّرهـا

ولما جُعل في التنور قال له خادمه: يا سيدي قد صرت إلى ما صرت إليه وليس لك حامد، فقال له: وما نفع البرامكة صُنعُهم؟ فقال: ذكرك لهم هذه الساعة، فقال: صدقت، رحمه الله[3]. وإيغالاً في إيذائه وتوبيخه أمر المتوكل عبادة أن يدخل عليه ـ وقد أحمى تنور حديد، وجعله فيه ـ فيكايده، فدخل عليه ووقف بإزائه وجعل يعظه بعظات وقعهن أشد من الأبر والمسامير، قال له: اسمع يا محمد، كان في جيراننا حفار يحفر القبور فمرضت مخنثة[4] من جيراني، وكانت صاحبة له، فبادر فحفر لها قبراً من الطمع في الدراهم، فبرأت هي، ومرض هو بعد أيام، فدخلت إليه صاحبتي وهو بالنزع، فقالت: ويْ يا فلان! حفرت لي قبراً وأنا في عافية، أو ما علمت أنه من حفر بئر سوء وقع فيها؟ وحياتك يا محمد، لقد دفناه في ذلك القبر، والعُقبى لك، قال: فوالله ما

(1) الديوان ص 288، تاريخ بغداد 3/146، الوافي 4/33.
(2) الديوان ص 204، الأغاني 23/74.
(3) ابن خلكان 5/101.
(4) المخنثة: المرأة اللينة المتكسرة في مشيها.

برح من إزاء محمد بن عبد الملك يؤذيه ويكايده إلى أن مات[1].

وعلى غرار هذا ما ذكره البيهقي، قال: «أمر بعمل التنور فابتلي به لصحة المثل: كما تدين تدان، وإن شئت: مَنْ يُرِ يوماً يُرَ به، وإن شئت: من حفر حفرة هوى فيها، فعُذِّب في التنور[2].

والشعر الذي قاله وهو تحت العذاب كثير، فمما يُروى أنه وُجِد على حائط البيت الذي كان فيه من قِبل التنور، قوله[3]:

لعبَ البِلى بمعالمي ورسومي ... ودُفْنتُ حيّاً تحتَ ردْمِ غُمومِ

وشكوتُ غَمّي حين ضِقْتُ ومن شكا كَرْباً يضيقُ به فغيرُ ملومِ

لزِمَ البِلى جسمي وأوهنَ قوتي ... إنَّ البِلى لموكلٌ بلزومِ

ويخاطب ابنته وما سيكون حالها ويوصيها:

أبُنَيَّتي قِلّي بُكاكِ واصبري ... فإذا سمعتِ بهالكٍ مغمومِ

فانْعَي أباكِ إلى نسائهِ واقعدي ... في مأتمٍ يُبكي العيونَ وقومي

قولي له يا غائباً لا تُرتجى ... حتى القيامةِ مُخْبِراً بقدومي

يا عينِ كنتِ وما أكلِّفُكِ البُكا ... حتى ابتليتِ فإنْ صبرتِ فدومي

* * *

(1) الأغاني 23/74.

(2) المحاسن والمساوىء ص 532.

(3) الديوان ص 259، المحاسن والمساوىء ص 532 ـ 533.

ديك الجن الحمصي

قتل حبيبته بمكيدة من ابن عمه فندم (توفي سنة 235 هـ)

أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام الكلبي الحِمصي، أصله من قرية مؤتة (من قرى البلقاء بمشارف الشام)، لقب بديك الجن وفي لقبه أقوال، منها أن ديك الجن دويبة توجد في البساتين، وقيل: سُمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين، وقيل: من معاني الديك في كلام أهل اليمن الربيع، كأنه لتلون نباته فيكون على التشبيه بالديك(1)، ولعل الراجح من هذه الأقوال أن ديك الجن قد قال أبياتاً في ديك عُمَير بن جعفر، وكان قد ذبحه وعمل عليه وليمة، فقال ديك الجن يرثيه(2):

دعانا أبو عمروٍ عُمَيرُ بنُ جعفرٍ ... على لحمِ ديكٍ دعوةً بعدَ موعدِ
فقـدَّمَ ديكـاً عُـدْمُليـاً مُلَـدَّحـاً ... مبـرنـسَ أثيـابٍ مـؤذِّنَ مسجـدِ
يحدثنا عن قومِ هودٍ وصالحٍ ... وأغربِ من لاقاه عمرو بنُ مرثدِ

أصل ديك الجن من سَلَمية من أعمال حِمص، ولم يعرف عنه أنه غادر الشام طوال حياته(3)، وله منزلة كبيرة في الشعر، من ذلك أن أبا نواس كان يعجب بشعره، رُوي أن أبا نواس مرَّ بحمص قاصداً مصر لمدح الخصيب، ولما سمع ديك الجن بوصوله استخفى منه خوفاً أن يظهر لأبي نواس أنه قاصر بالنسبة إليه، فقصده أبو نواس في داره وهو بها، فطرق الباب واستأذن عليه، فقالت له الجارية: ليس هو ههنا، فعرف مقصده فقال لها: قولي له: اخرج فقد فتنت أهل العراق بقولك:

---

(1) تاج العروس 7/134، حياة الحيوان ـ الدميري 1/488، ديوان ديك الجن ص 6 ـ 8، تحقيق مظهر الحجي ط وزارة الثقافة، دمشق 1987.

(2) الديوان ص 87.

(3) الأغاني 14/53 ط دار الكتب العلمية، بيروت 1992.

مُـوَرَّدةٌ مـن كـفٍّ ظبـيٍ كـأنَّمـا تنـاولهـا مـن خـدِّهِ فـأدارَهـا

فلما سمع ديك الجن خرج إليه، واجتمع به وأضافه[1]. وتذكر هذه الحادثة عن دعبل الخزاعي مع ديك الجن، وعن أبي تمام مع ديك الجن[2]، وقيل: إن ديك الجن كان يساعد أبا تمام بشعره في حداثته، روى عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزبيدي: «أنه كان جالساً عند ديك الجن، فدخل عليه حَدَثٌ فسلم عليه وأنشده شعراً عمله، فأخرج ديك الجن من تحت مصلاه درجاً كبيراً فيه كثير من شعره، فسلَّمه إليه وقال: يا فتى، تكسب بهذا واستعن به على قولك، فلما خرج سأله عنه فقال: هذا فتى من أهل جاسم، يذكر أنه من طي، يكنى أبا تمام، واسمه حبيب بن أوس، وفيه أدب وذكاء، وله قريحة وطبع»[3].

عاش ديك الجن حياة يغلب عليها اللهو والمجون، ومعاقرة الخمر، ومغازلة الغلمان والفتيات، وقد ورث ثروة كبيرة أنفقها في لهوه ومجونه، وكان ابن عمه أبو الطيب ينكر عليه حياة اللهو والعبث، وينصحه ليرده عن طريق غوايته.

وكانت محنة ديك الجن مرتبطة بحبه لفتاة نصرانية اسمها (ورد بنت الناعمة) وقيل (دنيا)، فأغرم بها وأحبها حباً شديداً، فدعاها إلى الإسلام فأسلمت وتزوجها، ويقول فيها[4]:

انظرْ إلى شمسِ القصورِ وبدرِها وإلى خُزاماها وبهجةِ زهرِها
لم تبْلُ عينُكَ أبيضاً في أسودٍ جمع الجمالَ كوجهها في شعرِها
ورديةُ الوجناتِ يختَبِرُ اسمَها من ريقِها من لا يُحيطُ بِخُبْرِها
وتمايلتْ فضحِكْتُ من أردافِها عَجَباً ولكنِّي بكيتُ لِخصْرِها

(1) وفيات الأعيان 2/356، أعيان الشيعة 38/35، ديوان ديك الجن ص 107.
(2) حياة الحيوان 1/488، حلية الكميت ص 127.
(3) وفيات الأعيان 2/356، العمدة 2/119، أعيان الشيعة 38/29.
(4) الأغاني 14/56، الديوان ص 115.

تَسْقيكَ كأسَ مُدامةٍ من كَفِّها　　ورديَّـةٍ ومُـدامـةً مـن ثَغْـرِهـا

ونعم ديك الجن بحبيبته دهراً إلا أنه أسرف في ماله فاختلت حاله، فرحل من حمص إلى سلمية، قاصداً أحمد بن علي الهاشمي، وأقام عنده مدة، وفي غيابه صار ابن عمه أبو الطيب يكيد له، فقد أبغضه بعد مودة بسبب هجائه، فأذاع أبو الطيب أن (ورد بنت الناعمة) تهوى غلاماً، وأشاع ذلك بين أهل بيته وجيرانه وإخوانه، وبلغ الخبر ديك الجن وهو في سلمية، فكتب إلى ممدوحه أحمد بن علي يستأذنه في الرجوع إلى حمص، ويعلمه ما بلغه من خبر حبيبته ورد، من قصيدة جاء فيها[1]:

إنَّ ريبَ الزمانِ طالَ انتكاثُه　　كـم رمتْني بحـادثٍ أحـداثُـهْ

ظبيُ أنسٍ قلبي مقيلُ ضُحاهُ　　وفـؤادي بـريـرُهُ وكَبَـاثُـهْ

كمْ وكمْ أستغيثُ من شحْطَةِ الدا　　رِ ولم يُسْعِفِ النوى مُسْتغاثُهْ

خيف أنْ يخونَ عهدي وأنْ يُضْـ　　ـحي لغيري حجولُهُ ورِعاثُهْ

فـإذا شـاءَ أحمـدُ بـنُ علـيٍّ　　ضَمَّ شَمْلاً لهُ يخافُ انشعاثُهْ

وعاد إلى حمص، وكان ابن عمه أبو الطيب قد رصد له قوماً يعلمونه بموافاته باب حمص، فلما وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعَنِّفاً على تمسكه بتلك المرأة، بعدما شاع ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه أنها قد أحدثت في مغيبه حادثة لا يجمل به معها المقام عليها، ودسَّ الرجل الذي رماها به، وقال له: إذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه، ونادِ باسم (ورد)، فإذا قالت: من أنت؟ فقل: أنا فلان.

فلما نزل عبد السلام منزله، وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ عليها فأجابته جواب من لم يعرف من القصة شيئاً، فبينما هو كذلك، إذ قرع الرجل الباب فقالت: من هذا؟ فقال: أنا فلان، فقال لها عبد السلام: «يا زانية، زعمت أنك لا تعرفين من الأمر شيئاً» ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها،

(1) الأغاني 14/56 ـ 57، الديوان ص 75 ـ 76.

وقال في ذلك يعبر عن ندمه في حبها[1]:

ليتني لم أكنْ لعطفِكِ نِلْتُ ... وإلى ذلك الوصالِ وصلتُ
فالذي منِّي اشتملتِ عليهِ ... ألعارٍ ما قد عليهِ اشتملتُ
قال ذو الجهلِ قد حلمتَ ولا أعـ ... ـلَمُ أنِّي حَلُمتُ حتى جَهِلْتُ
لائمٌ لي بجهلِهِ ولماذا ... أنا وحدي أحبَبْتُ ثُمَّ قَتَلتُ
سوف آسى طولَ الحياةِ وأبكيـ ... ـكِ على ما فعلتِ لا ما فعَلْتُ

وقال فيها أيضاً[2]:

لكِ نفسٌ مواتيَهْ ... والمنايا معاديَهْ
أيها القلبُ لا تعُدْ ... لِهوى البِيْضِ ثانيَهْ
ليس برقٌ يكونُ أخْـ ... ـلَبَ من برقِ غانيَهْ
خُنْتِ سِرِّي ولم أخُنْـ ... ـكِ فموتي علانيَهْ

وبلغ الخبرُ السلطان، فطلبه، فخرج إلى دمشق، فأقام فيها أياماً وكتب أحمد بن علي إلى أمير دمشق أن يؤمِّنَهُ، ويحمل عليه باخوانه، حتى يستوهبوا جنايته، فقدم حمص، وبلغه الخبر على حقيقته وصحته، واستيقنه وندم ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء، ولا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رمقه، وقال في ندمه على قتلها[3]:

يا طلعةً طلعَ الحِمامُ عليها ... وجَنى لها ثمَرَ الردَّى بيديها
روَّيْتُ من دمِها الثَّرى ولَطالما ... روَّى الهوى شَفَتَيَّ من شَفتَيْها
قد باتَ سيفي في مجالِ وِشاحِها ... ومدامعي تجري على خَدَّيْها
فوحقِّ نعليْها وما وَطِئَ الحصى ... شيْءٌ أعزُّ عليَّ من نَعْلَيْها
ما كانَ قتْليها لأنِّيَ لم أكُنْ ... أبكي إذا سقطَ الذبابُ عليها

---

(1) الأغاني 14/57 ـ 8، الديوان ص 68 ـ 69.
(2) الأغاني 14/58، الديوان ص 196.
(3) الأغاني 14/58 ـ 59، الديوان ص 224 ـ 226.

لكنْ ضَنَنْتُ على العيونِ بِحُسْنِها　　وأنِفْتُ من نَظَرِ الحسودِ إليها

وبعد وفاة ديك الجن سنة 235 هـ، ظلت هذه المأساة في ذهن الزمن، وكان لهذه القصة صدى في كتابات الأدباء وتضخمت القصة، ولعب بها الخيال، فذهب بعضهم إلى أن هناك حباً بين غلام ديك الجن وجاريته، وأنه وجدهما متلبسين بالخطيئة، فقتلهما وأحرقهما، ثم ندم، وعمل من رمادهما كوزين يشرب بهما الخمر، قال العاملي: «وكان له جارية وغلام قد بلغا في الحسن أعلى الدرجات، وكان مشغوفاً بحبهما، فوجدهما في بعض الأيام مختلطين تحت إزار واحد، فقتلهما وأحرق جسديهما، وأخذ رمادهما وخلط به شيئاً من التراب، وصنع منه كوزين للخمر، كان يحضرهما في مجلس شرابه، ويضع أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فتارة يقبل الكوز المتخذ من رماد الجارية، وينشد:

يا طلعةً طلع الحِمامُ عليها　　وجنى لها ثمر الردى بيديها

وتارة يقبل الكوز المتخذ من رماد الغلام، وينشد:

وقتلتُهُ ولـه علـيَّ كـرامـةٌ　　مِلءَ الحشا وله الفؤادُ بأسرِهِ»[1]

وقد ذهبت بعض الروايات إلى أن ديك الجن قد جُنَّ بعد ذلك أو كاد يُجَنُّ[2]، وبقي صدى مأساة الشاعر في أذهان الناس على مر العصور، وتعجب الناس من صنع الشاعر في أن يجعل من رمادهما كأساً يشرب فيه الخمر ويقبِّلُه، فأوحت هذه الفكرة قصيدة (كأس) للشاعر عمر أبو ريشة في العصر الحديث، التي يقول فيها على لسان ديك الجن[3]:

قبَّلتُهـا والليـلُ ينفـضُ عنـه أسـرابَ النجـومِ

(1) الكشكول ص 48، وفيات الأعيان 3/186، تزيين الأسواق 1/292، الديوان ص 109، 224.

(2) الزهرة 1/82، ديوان الصبابة ص 77.

(3) شعر عمر أبو ريشة ص 72.

ومدامعي تجري وكفِّي فوقَ خنجريَ الأثيمِ
هـي وقفـةٌ رعنـاءُ ضـاقَ بهـولها حلـمُ الحليـمِ
فحملـتُ شِلْـوَ ضحيتـي والنـارُ حمـراءُ الأديـمِ
وجبلتُ من تلك الجذى كأسي ومن تلك الكلومِ
فاشربْ ودعها فهي ما مرّتْ على شَفَتيْ نديمِ

رحم الله ديك الجن على ما ابتلي به من حب عنيف، وغيرة شديدة آلت إلى القتل، وكان ضحية كيد لئيم، من ابن عم غادر حسود.

* * *

القاضي يحيى بن أكثم

غضب عليه المتوكل فصادر أملاكه وألزمه بيته (توفي سنة 242 هـ)

القاضي النابغة الذكي الرفيع القدر يحيى بن أكثم بن محمد التميمي، أبو محمد، من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، كان عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي رضي الله عنه، قال الخطيب البغدادي: «كان يحيى بن أكثم سليماً من البدعة، ينتحل مذهب أهل السنة»[1]، في وقت كان الاعتزال مذهب السلطة في زمن المأمون والمعتصم والواثق.

وُصِفَ يحيى بن أكثم بأنه: أحد أعلام الدنيا، ومن قد اشتهر أمره وعُرف خبره، ولم يستتر عن الكبير والصغير من الناس، فضله وعلمه ورياسته وسياسته لأمره وأمل أهل زمانه من الخلفاء والملوك، واسع العلم بالفقه كثير الأدب حسن العارضة، قائم بكل معضلة، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد من الناس جميعاً، وكان المأمون ممن برع في العلوم فعرف من حال يحيى بن أكثم

(1) تاريخ بغداد 14/191، وفيات الأعيان 6/147، تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت.

وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذ بمجامع قلبه، حتى قلده قضاء القضاة، وتدبير أهل مملكته، فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم، ولا يُعلم أحد غلب على سلطانه في زمانه، إلا يحيى بن أكثم، وأحمد بن أبي داود[1].

كانت أول صلة يحيى بن أكثم بالمأمون، حين أراد المأمون أن يولي رجلاً على القضاء، فوُصِف له يحيى بن أكثم فاستحضره، فلما حضر دخل عليه، وكان دميم الخَلْق، فاستحقره المأمون لذلك، فعلم ذلك يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، سَلْني إن كان القصد علمي لا خَلْقي، فسأله عن هذه المسألة (أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت إحدى البنتين، وخلفت من في المسألة)، فقال: يا أمير المؤمنين، الميت الأول رجل أم امرأة؟ فعرف المأمون أنه قد عرف المسألة، فقلده القضاء[2].

ولي يحيى بن أكثم قضاء البصرة وكان حديث السن، عمره عشرون سنة ونحوها، فاستصغره أهل البصرة فقالوا: كم سن القاضي؟ فعلم أنه قد استُصْغر، فقال: أنا أكبر من عتَّاب بن أسيد الذي وجَّه به النبي ﷺ قاضياً على مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجَّه به النبي ﷺ قاضياً على أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجَّه به عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قاضياً على أهل البصرة، فجعل جوابه احتجاجاً[3].

وقيل: لم يكن في يحيى بن أكثم ما يُعاب به، سوى ما كان يُتهم به من الهنات المنسوبة إليه الشائعة عنه، والله أعلم بحاله فيها، وذكر الخطيب في تاريخه[4] أنه ذكر لأحمد بن حنبل رضي الله عنه ما يرميه الناس به، فقال:

(1) تاريخ بغداد 14/197.
(2) وفيات الأعيان 6/148.
(3) تاريخ بغداد 14/199.
(4) تاريخ بغداد 14/198.

سبحان الله، سبحان الله، من يقول هذا؟ وأنكر ذلك إنكاراً شديداً. وذُكر عنه أيضاً أنه كان يحسد حسداً شديداً، وكان مفنّناً، فكان إذا نظر إلى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث، وإذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو، وإذا رآه يعلم النحو سأله عن الكلام، ليقطعه ويخجله، فدخل إليه رجل من أهل خراسان ذكي حافظ، فناظره فرآه مفنناً، فقال له: نظرت في الحديث؟ قال: نعم، قال: ما تحفظ من الأصول؟ قال: أحفظ عن شريك عن أبي إسحاق عن الحارث، أن علياً رضي الله عنه رجم لوطياً، فأمسك ولم يكلمه[1].

ومما قيل في هذه التهمة: أن يحيى بن أكثم مازح الحسن بن وهب، وهو يومئذ صبي، فلاعبه ثم جمَّشه، فغضب الحسن، فأنشد يحي[2]:

أيــا قمــراً جمَّشتــه فتغضَّبــا ... وأصبح لي من تيهه متجنِّبا
إذا كنتِ للتجميشِ والعضِّ كارهاً ... فكُــنْ أبــداً يــا سيــدي متنقبــا
ولا تظهر الأصداغ للناسِ فتنةً ... وتجعلَ منها فوق خديك عقربا
فتقتــلَ مسكينــاً وتفتــنَ نــاسكــاً ... وتتركَ قاضي المسلمينَ معذَّبا

ويروى أن المأمون قال ليحيى بن أكثم من الذي يقول:

قاضٍ يرى الحدَّ في الزناء ولا ... يرى على من يلوطُ من باسِ

قال: أو ما يعرف أمير المؤمنين من القائل؟ قال: لا، قال: يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم، الذي يقول:

لا أحسبُ الجورَ ينقضي وعلى الـ ... ـــأمــة والٍ مــن آل عبــاسِ

من جملة أبيات، قال: فأفحم المأمون خجلاً، وقال: ينبغي أن ينفى أحمد بن أبي نعيم إلى السند[3].

---

(1) ابن خلكان 6/152.
(2) السابق والصفحة.
(3) تاريخ بغداد 14/196.

وحكى أبو الفرج الأصفهاني[1] ليحيى بن أكثم وقائع في هذا الباب، وأن المأمون لما تواتر النقل عن يحيى بهذا أراد امتحانه، فأخلى له مجلساً واستدعاه، وأوصى مملوكاً خزرياً يقف عندهما وحده، فإذا خرج المأمون يقف عندهما ولا ينصرف، وكان المملوك في غاية الحسن، فلما اجتمعا في المجلس وتحادثا، قام المأمون ليتوضأ، فتجسس المأمون عليهما، وكان قد قرر معه أن يعبث بيحيى، علماً منه أن يحيى لا يتجاسر عليه خوفاً من المأمون، فلما عبث به المملوك سمعه المأمون وهو يقول: ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: 31]، فدخل المأمون وهو ينشد[2]:

وكُنَّا نُرَجِّي أن نرى العدلَ ظاهراً فأعقبنا بعد الرجاء قنوطُ

متى تصلحُ الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوطُ

وهذان البيتان لأبي حكيمة، راشد بن إسحاق الكاتب. ولعل مما يرجح هذه التهمة والعياذ بالله ما رواه ابن خلكان قال: «ونقلت من أمالي أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، أن القاضي يحيى بن أكثم قال لرجل يأنس به ويمازحه: ما تسمع الناس يقولون فيَّ؟ قال: ما أسمع إلا خيراً، قال: ما أسألك لتزكيني، قال: أسمعهم يرمون القاضي بالأبْنَة، قال: فضحك وقال: اللهم غفراً! المشهور عنا غير هذا»[3].

وكانت أحوال القاضي يحيى بن أكثم على خير حال طيلة عهد المأمون والمعتصم والواثق، حتى إذا تولى المتوكل الخلافة ساءت أحواله، وكان القاضي في زمن المتوكل هو محمد بن القاضي أحمد بن أبي دواد، فعزله المتوكل وولى القضاء يحيى بن أكثم، وخلع عليه خمس خلع، ثم عزله في سنة أربعين ومئتين، وأخذ أمواله. ولا يُعرف السبب في ذلك، وولى في رتبته

---

(1) الأغاني 20/272 ـ 273.

(2) ابن خلكان 6/154 ـ 155، الأغاني 20/273، مروج الذهب 4/21.

(3) وفيات الأعيان 6/154.

جعفر بن عبد الواحد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي، فجاء كاتبه إلى القاضي يحيى، فقال له: سلِّم الديوان، فأبى، فقال: شاهدان عدلان على أمير المؤمنين أنه أمرني بذلك، فأخذ منه الديوان قهراً، وغضب عليه المتوكل، فأمر بقبض أملاكه وألزمه منزله[1].

ولعل السبب في ذلك أن المتوكل كان ضعيفاً سمَّاعاً للوشايات، ويطمع في مصادرة من يعلم أن له ثروة، كما فعل مع محمد بن عبد الملك الزيات، إذ سمع فيه وشايات خصمه القاضي أحمد بن أبي دواد، الذي أطمعه في ماله وزين له أن له ثروة طائلة فصادره وعذبه حتى مات، وكذلك كان الأمر مع يحيى بن أكثم، في أكبر الظن.

ثم حج يحيى بن أكثم وحمل أخته معه، وعزم على أن يجاور، فلما اتصل به رجوع المتوكل له بدا له في المجاورة، ورجع يريد العراق، فلما وصل إلى الربذة توفي بها يوم الجمعة منتصف ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومئتين، وقيل سنة ثلاث وأربعين، ودُفن هناك، رحمه الله تعالى، وعمره ثلاث وثمانون سنة.

* * *

ابن السكّيت

أمر المتوكل بسَلِّ لسانه ووَطْء بطنه (توفي سنة 244 هـ)

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت، كان أبوه من أصحاب الكسائي عالماً بالعربية واللغة والشعر، وكان ابن السكيت يؤدب مع أبيه بمدينة السلام في درب القنطرة صبيان العامة، حتى احتاج إلى الكسب، فجعل يتعلم النحو، وحكي عن أبيه أنه كان قد حج، فطاف بالبيت وسعى، وسأل الله تعالى أن يعلم ابنه النحو، فتعلم النحو واللغة[2].

---

(1) وفيات الأعيان 6/163.

(2) وفيات الأعيان 6/398 ط إحسان عباس.

تعلم النحو من البصريين والكوفيين، فأخذ عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الأعرابي والأثرم، وروى عن الأصمعي وأبي عبيدة، وأخذ عنه أبو سعيد السكري وأبو عكرمة الضبي ومحمد بن الفرج المقرىء، ومحمد بن عجلان الاخباري وميمون بن هارون الكاتب، وغيرهم[1].

برع ابن السكيت في علوم العربية وكان ذكياً فطناً واسع المعرفة، وكان عالماً بالقرآن ونحو الكوفيين، ومن أعلم الناس باللغة والشعر، راوية ثقة، ولم يكن بعد ابن الأعرابي مثله، وفي الرواية الآتية دلالة واضحة على علمه وفطنته منذ زمن صباه، قال أبو الحسن الطوسي: «كنا في مجلس أبي الحسن علي اللحياني، وكان عازماً على أن يملي نوادره ضعف ما أملي، فقال يوماً: تقول العرب (مُثْقَل استعان بذقنه)، فقام إليه ابن السكيت وهو حدث فقال: يا أبا الحسن، إنما هو (مثقل استعان بدَفَّيه)، يريدون الجمل إذا نهض بحمله استعان بجنبيه، فقطع الإملاء. فلما كان المجَلس الثاني، أملى فقال: تقول العرب (هو جاري مكاشري)، فقام له ابن السكيت فقال: أعزك الله، وما معنى مكاشري؟ إنما هو (هو مُكاسري، كِسْرُ بيتي إلى كِسْرِ بيته)، قال: فقطع اللحياني الإملاء فما أملى بعد ذلك شيئاً»[2].

صنّف ابن السكيت كتباً كثيرة جيدة صحيحة، منها: إصلاح المنطق، وكتاب الألفاظ، وكتاب في معاني الشعر، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب النوادر، وكتاب الأضداد، وكتاب السرج واللجام، وكتاب الوحوش، وغيرها[3].

وكان لابن السكيت شعر وهو مما تثق النفس به، فمن ذلك قوله[4]:

---

(1) معجم الأدباء 6/2840 ط إحسان عباس، بغية الوعاة ـ السيوطي 2/349.
(2) وفيات الأعيان 6/396.
(3) وفيات الأعيان 6/395، معجم الأدباء 6/2841.
(4) وفيات الأعيان 6/399 ـ 400.

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ وضاق لما به الصدرُ الرحيبُ
وأوطِنَـتِ المكـارهُ واستقـرَّتْ وأرستْ في أماكنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشافِ الضُّرِّ وجهاً ولا أغنـى بحيلتـهِ الأريـبُ
أتـاك علـى قنـوطٍ منك غـوثٌ يمُـنُّ بـه اللطيـفُ المستجيـبُ
وكـلُّ الحـادثـاتِ إذا تنـاهـتْ فمـوصـولٌ بهـا فَـرَجٌ قـريـبُ

وقال أحمد بن محمد بن أبي شداد: شكوتُ إلى ابن السكيت ضائقة، فقال: هل قلت شيئاً؟ قلت: لا، قال: فأقولُ أنا، ثم أنشدني:

نفسي ترومُ أموراً لستُ مدركَها ما دمتُ أحذرُ ما يأتي به القدرُ
ليس ارتحالُك في كسبِ الغِنى سَفَرا لكنْ مُقامُكَ في ضُرٍّ هو السفرُ

محنة ابن السكيت:

خرج ابن السكيت إلى سر من رأى، فصيره عبد الله بن يحيى بن خاقان إلى المتوكل، فضم إليه ولده يؤدبهم، وأسنى له الرزق، ثم دعاه إلى منادمته فنهاه عبد الله بن عبد العزيز عن ذلك، فظن أنه حسده، وأجاب إلى ما دُعي إليه.

قيل: وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز بالله، فلما جلس عنده قال له: بأي شيء يحب الأمير أن نبدأ - يريد من العلوم - فقال المعتز: بالانصراف، قال يعقوب: فأقوم، قال المعتز: فأنا أخفُّ نهوضاً منك، وقام فاستعجل فعثر بسراويله فسقط، والتفت إلى يعقوب خجلاً وقد احمرَّ وجهه، فأنشد يعقوب:

يصابُ الفتى من عثرة بلسانه وليس يصابُ المرءُ من عثرةِ الرجلِ
فعثرته في القولِ تُذهِبُ رأسَهُ وعثرتُهُ بالرجلِ تبرأ في مهلِ

فلما كان من الغد دخل يعقوب على المتوكل فأخبره بما جرى، فأمر له

بخمسين ألف درهم وقال: قد بلغني البيتان[1].

كان ابن السكيت يتشيع، ويميل في رأيه واعتقاده إلى مذهب من يرى تقديم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان المتوكل معروفاً ببغضه علي بن أبي طالب وولده، وجاءت محنته من هذا الباب، قال أحمد بن عبيد: «شاورني ابن السكيت في منادمته المتوكل فنهيته، فحمل قولي على الحسد، وأجاب إلى ما دُعي إليه من المنادمة، فبينما هو مع المتوكل يوماً جاء المعتز والمؤيد فقال المتوكل: يا يعقوب، أيما أحب إليك، ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فغض ابن السكيت من ابنيه وذكر من الحسن والحسين رضي الله عنهما ما هما أهله، فأمر الأتراك فداسوا بطنه، فحُمل إلى داره، فمات بعد غد ذلك اليوم»[2].

وقيل قال له: «إن قنبر خادم عليّ أحبُّ إليَّ من ابنيك، وكان يعقوب يتشيع، فأمر المتوكل الأتراك فسلوا لسانه وداسوا بطنه، وحُمِل إلى بيته فعاش يوماً وبعض آخر، ومات يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ثلاث وأربعين ومئتين، وقيل: سنة أربع وأربعين، وقيل ست وأربعين، ووجه المتوكل من الغد عشرة آلاف درهم ديته إلى أهله»[3].

ولما بلغ عبد الله بن عبد العزيز الذي نهاه عن المنادمة خبر قتله، أنشد[4]:

نهيتُكَ يا يعقوبُ عن قُربِ شادنٍ ... إذا ما سطا أربى على كلِّ ضيغَمِ
فذُقْ واحسُ إني لا أقول الغداةَ إذْ ... عثرتَ لعاً بل لليدينِ وللفمِ

* * *

(1) وفيات الأعيان 6/399.
(2) وفيات الأعيان 6/395 ـ 396.
(3) معجم الأدباء 6/2841، الكامل لابن الأثير 6/133، بغية الوعاة 2/349.
(4) معجم الأدباء 6/2841، وفيات الأعيان 6/396.

عليٌّ بن الجَهْم

سجن وصُلب وصودر (قُتل سنة 249 هـ)

أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود القرشي، ينتهي نسبه إلى سامة بن لؤي[1]، أصل علي بن الجهم من مرو، المعروفة بمرو الشاهجان، قصبة خراسان، وانتقل أبوه الجهم من خراسان إلى بغداد، ويفتخر علي بن الجهم بنسبته إلى خراسان، لأن أهل خراسان هم الذين قاموا بالدعوة العباسية، يقول في مدح المتوكل[2]:

مذهبي واضحٌ وأصلي خراسا ... نُ وعِـزِّي بعـزِّكـم مـوصـولُ

وهو من أسرة لها مكانة ومنعة في الدولة العباسية، وقد كان أبوه الجهم على بريد اليمن في زمن المأمون، وولاّه الثغر، وولاه الواثق الشرطة في بغداد، وكان أخوه الأكبر محمد بن الجهم عالماً أديباً يذكره الجاحظ كثيراً في كتبه، ويروي عنه، وكان مقرباً إلى المأمون وولاه عدة ولايات[3]، وقد نشأ علي في أسرة لها مكانتها الاجتماعية والأدبية والعلمية.

نشأ ابن الجهم في بغداد، وظهرت شاعريته وهو صغير السن، وكان نشطاً ذكياً يميل إلى الحركة والصخب، مما دعا والده أن يأمر معلم الكتّاب بحبسه، فلما رأى علي الصبيان ينصرفون إلى دورهم وهو محبوس، كتب في لَوحهِ أبياتاً وأرسلها إلى أمه، يقول فيها:

---

(1) الأغاني 10/247 ط دار الكتب العلمية، بيروت، تاريخ بغداد 7/240.

(2) ديوان علي بن الجهم ص 26 تحقيق خليل مردم، ط بيروت 1980.

(3) تاريخ بغداد 7/240، الأغاني 13/15 ط ساسي، ديوان علي بن الجهم، المقدمة ص 6.

يــا أمَّتــا أفــديــكِ مــن أمٍّ   أشكـو إليـكِ فظـاظـةَ الجَهْـمِ
قــد سُــرِّحَ الصبيــانُ كلُّهــمُ   وبقيــتُ محصــوراً بــلا جُــرْمِ

حدث عليٌّ نفسه قال: «وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي، فأرسلت إلى أبي: والله لئن لم تطلقه، لأخرجنَّ حاسرةً حتى أطلقه»[1].

تثقف علي بن الجهم بثقافة عربية ومال إلى الشعر والأدب، ولم يستسغ مذهب أهل الجدل من المعتزلة بل آثر أهل الحديث، فاتصل بالإمام أحمد بن حنبل وكان يسأله مسائل في القدر والصفات، وما أشبه ذلك، وكان يتردد على قبة الشعراء في المسجد الجامع ببغداد، وكان يجتمع فيها الشعراء ويتناشدون الأشعار، وقد تعرف فيها على جماعة من شعراء العصر، من مثل دعبل الخزاعي، وأبي الشيص، وابن أبي فنن، وأبي تمام، وغيرهم.

وقد لمع اسم ابن الجهم في زمن المأمون والمعتصم، وكان المأمون يستحسن شعره، وقيل: إن المأمون ولاه مظالم حلوان، وله شعر في زمن المعتصم يهنئه بفتح عمورية، ومدح الواثق، ولكن أكثر أشعاره وأخباره في زمن المتوكل، ولما تولى المتوكل الخلافة مدحه بقصيدة طويلة، أجاد فيها ولمع اسمه بسببها، ومطلعها[2]:

وقــائــل أيهمــا أنــورُ   الشمــس أم سيــدنــا جعفــرُ

وعلت منزلة ابن الجهم لدى المتوكل وصار جليسه ونديمه، وكان يرسله في حاجاته، ويفضي إليه بأسراره، ويثق به ويأنس بمجالسته، ويطلعه على أموره الخاصة، ويدعوه نهاراً كما يدعوه ليلاً، وكان ينادم المتوكل مع ابن الجهم مجموعة من الشعراء منهم: البحتري والحسين والضحاك ومروان بن أبي الجنوب، وأحمد بن حمدون، وبختيشوع بن جبرائيل الطبيب، وكان بين علي بن الجهم وبين الشعراء حسد ومنافسة، ويبدو أن ابن الجهم كان كثير

(1) طبقات الشعراء، لابن المعتز ص 151، الأغاني 10/262.
(2) الديوان ص 71.

السعاية بهؤلاء القوم، يذكرهم بالقبيح، فإذا خلا بالمتوكل عرَّفه أنهم يعيبونه ويثلبونه، فيكشف المتوكل عن ذلك فلا يرى له حقيقة، فأبغضه المتوكل وحبسه ونفاه، وكان ابن الجهم مولعاً بهجاء آل أبي طالب، منحرفاً عنهم، يذمهم ويهجوهم، وفي شعره يعرض بالشيعة ويهجوهم، يقول من قصيدة في مدح المعتصم[1]:

مـودتُكـمْ تُمَحِّـصُ كـلَّ ذنـبٍ ... وتُقْـرَنُ بـالصـلاةِ وبـالصيـامِ
ورافضةٌ تقولُ بشِعْبِ رِضْوى ... إمـامٌ خـابَ ذلـك مـن إمـامِ
إمـامـي مـن لـه سبعـونَ ألفـاً ... مـن الأتـراكِ مُشْـرعـةَ السهـامِ
إذا غضبـوا لـديـن الله أرضـوا ... مضـاربَ كـلِّ هنـديٍّ حُسـامِ

وقد أثارت وشايات ابن الجهم وتعاليه على الشعراء حفيظة الشعراء، فاتفقوا عليه، فتناوله بعضهم بالهجاء، فهجاه البحتري، ومروان بن أبيَ الجنوب، وسعوا به لدى المتوكل وكادوا له، وزعموا أنه يجمِّشُ خدم القصر ويغمزهم، فتغير عليه المتوكل، بعد أن كان موضع سره نحواً من سبع سنين وأمره بأن يلزم داره، وانقطع عن القصر، واستمر خصومه من الشعراء بذمه والإيقاع به، وزعموا أنه يطعن على الخليفة ويعيبه، ويُزري بالخلافة، وكان ابن الجهم قد هجا بختيشوع فسبه عند المتوكل، فغضب عليه المتوكل وأمر بحبسه، فقال علي بن الجهم في حبسه عدة قصائد يستعطف بها المتوكل فأطلقه بعد سنة، ثم نفاه إلى خراسان، فقال في أول حبسه قصيدة كتب بها إلى أخيه يقول فيها[2]:

تـوكلنـا علـى ربِّ السمـاءِ ... وسلَّمنـا لأسبـابِ القضـاءِ
ووطَّنّـا علـى غِيَـرِ الليـالـي ... نفـوساً سـامحـتْ بعـدَ الإبـاءِ
وأفنيـةُ الملـوكِ محجبـاتٌ ... وبـابُ اللـهِ مبـذولُ الفنـاءِ

---

(1) الديوان ص 12.

(2) الأغاني 10/251، الديوان ص 81 ـ 85.

فما أرجو سواهُ لكشفِ ضُرِّي ولـم أفـزع إلـى غيـر الـدعـاءِ
هـي الأيـامُ تَكلمُنـا وتـأسـو وتجـري بـالسعـادةِ والشقـاءِ
ومـا يُجـدي الثـراءُ علـى غنـيٍّ إذا مـا كـان محظـور العطـاءِ

ويهجو فيها خصومه، ويعلن إخلاصه ووفاءه للمتوكل في قوله:

أنـا المتـوكلـيُّ هـوىً ورأيـاً ومـا بـالـواثقيـة مـن خفـاء
ومـا حبـسُ الخليفـةِ لـي بعـارٍ وليـس بمـؤيسـي منـه التنـائـي

فلما بلغت القصيدة المتوكل رقَّ له، وأوشك أن يأمر بإطلاقه، ولكن خصومه من ندماء المتوكل تألبوا عليه وأنشأ مروان بن أبي الجنوب قصيدة يعارضه فيها ويرد عليه، وأنشدها في مجلس المتوكل، وأعانه في الانتقاص من ابن الجهم بقية خصومه من الشعراء، فاغتابوه وثلبوه وأوغروا صدر المتوكل، ولم يكن المتوكل من الخلفاء العقلاء المتزنين، بل كان سماعاً للوشايات ويتأثر بالأقاويل، فأمر المتوكل أن يترك ابن الجهم في الحبس وأن يقيَّد، وفي ذلك يقول علي بن الجهم[1]:

فلا تجزعي إمَّا رأيتِ قيودَهُ فإنَّ خلاخيلَ الرجالِ قيودُها
ولا تُنْكري حالَ الرخاءِ وفوتَهُ فـإنَّ أميـرَ المـؤمنيـن يُعيـدُهـا

وكلما همَّ المتوكل أن يعفو عن ابن الجهم ويطلقه، افتن الخصوم في الكيد له، وقد روى عبد الله بن المعتز طرفاً من هذه المكايد قال: «لما حبس أمير المؤمنين المتوكل علي بن الجهم وأجمع الجلساء على عداوته، وإبلاغ الخليفة عنه كل مكروه، ووصفهم مساويه، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكر حقوقه عليه، وهي:

عفـا اللـهُ عنـكَ ألا حـرمـةٌ تعـــودُ بعفـــوكَ أن أبْعَـــدا

ووجه بها إلى بيدون الخادم، فدخل بها إلى قبيحة، وقال لها: إن علي بن

---

(1) الديوان ص 51.

الجهم قد لاذ بك، وليس له ناصر سواكِ، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتّاب لأنه رجل من أهل السنة وهم روافض، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله، فدعت المعتز وقالت له: اذهب بهذه الرقعة يا بُنَيَّ إلى سيدك وأوصلها إليه، وجاء بها ووقف بين يدي أبيه، فقال له: ما معك فديتُك؟ فدنا منه وقال: هذه رقعة دفعتها إليَّ أمي، فقرأها المتوكل وضحك، ثم أقبل عليهم فقال: أصبح أبو عبد الله ـ فديتُه ـ خصمكم، هذه رقعة علي بن الجهم يستقيل[1]، وأبو عبد الله شفيعه، وهو ممن لا يُرَدُّ، وقرأها عليهم، فلما بلغ إلى قوله:

فلا عُدْتُ أعصيكَ فيما أمرتَ   إلـى أنْ أحُـلَّ الثـرى مُلحَـدا
وإلا فخـالفــتُ ربَّ السمــاء   وخُنْتُ الصديقَ وعِفْتُ النَّدى
وكنتُ كعَزُّونَ أو كأبي عمرو   مُبيــحَ العيــالِ لمــن أولــدا

وثب ابن حمدون وقال للمعتز: يا سيدي فمن دفع هذه الرقعة إلى السيدة؟ قال بيدون الخادم: أنا، فقالوا له: أحسنتَ! تعادينا وتوصل رقعة عدونا في هجائنا!! فانصرف بيدون وقام المعتز فانصرف، واستلب ابن حمدون قوله:

وكنتُ كعُّزونَ أو كأبي عمرو   مبيــحِ العيــالِ لمــن أولــدا

فجعل ينشدهم إياه وهم يشتمون ابن حمدون ويضجون، والمتوكل يضحك ويصفق ويشرب حتى سكر ونام، وسرقوا قصيدته من بين يدي المتوكل وانصرفوا، ولم يوقع بإطلاقه، ونسيَهُ، فقالوا لابن حمدون: ويلك! تعيد هجائنا وشتمَنا!! فقال: يا حمقى، والله لو لم أفعل ذلك فيضحك ويشرب حتى يسكر وينام، لوقَّع في إطلاقه، ووقعنا معه في كل ما نكره»[2].

وأيقن خصوم ابن الجهم أنه إذا أطلق من الحبس فسيكيد لهم، ويصيبهم ما أصابه من مكروه، فزعموا للخليفة أن ابن الجهم قد هجاه، فأمر المتوكل بمصادرة أمواله ونفيه إلى خراسان، بعد أن مكث في السجن سنة وكتب إلى أمير

---

(1) يستقيل: يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه.
(2) الأغاني 10/275 ـ 276.

خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر أن يصلبه يوماً إلى الليل ثم يحبسه، فلما وصل إلى الشاذياخ حبسه طاهر، ثم أخرج فصُلِبَ يوماً إلى الليل مجرداً من ثيابه، ثم أنزل إلى الحبس، وفي ذلك يقول ابن الجهم يصف حاله من قصيدة[1]:

لم ينصبوا بالشاذياخِ عشيَّة ... الإثنينِ مسبوقاً ولا مجهولا
نصبوا بحمدِ اللهِ مِلءَ قلوبهم ... شرفاً ومِلءَ صدورِهم تبجيلا
مـا ازدادَ إلا رفعـةً بنكـولـهِ ... وازدادتِ الأعـداءُ عنـه نكـولا

ومكث في سجن طاهر بن عبد الله زمناً، وكان في تلك المدة يراسل طاهر بن عبد الله ويكتب له القصائد ويتظلم، وبعد مدة من لبثه في سجن خراسان لا ندري كم لبث، ولكنها مدة طويلة، رقَّ له المتوكل، وكتب إلى طاهر بن عبد الله بإطلاقه، فأطلقه طاهر ووصله وحمله وكساه[2].

ولما انجلت المحنة عن ابن الجهم وخرج من الحبس، لم يجد له صديقاً يواسيه، وساء ظنه بالناس، وسئم العيش، فزهد في الدنيا واشتاق إلى الوطن بعد أن ذهب أهله ومات من يحبهم، فصار في خراسان يجاور المقابر ويرتاح إلى مجالسة الموتى، روى أبو الفرج عن رجل من أهل خراسا، قال: «رأيت علي بن الجهم بعدما أطلِق من حبسه جالساً في المقابر، فقلت له: ويحك، ما يجلسُك ههنا؟ فقال:

يشتاقُ كلُّ غريبٍ عند غُربتهِ ... ويذكر الأهلَ والجيرانَ والوطنا
وليس لي وطنٌ أمسيتُ أذكُرُهُ ... إلا المقابرَ إذ صارتْ لهم وطنا»[3]

وعاد ابن الجهم إلى داره في شارع دجيل ببغداد، ولم يتصل بالخليفة في سامراء، ولكنه اعتزل وانصرف عن الناس وانصرف الناس عنه، ولعل يأسه من

---

(1) الأغاني 10/253، الديوان ص 171.
(2) الأغاني 10/254.
(3) الأغاني 10/270.

الحياة جعله يميل إلى اللهو ومصاحبة أهل الفتوة في بغداد، والاختلاف إلى بيوت القيان، قال أبو الفرج: «كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أطلِق من حبسه ورُدَّ من المنفى، وكانوا يتقاينون[1] ببغداد، ويلزمون منزل مقيِّن بالكرخ يقال له المفضَّل، فقال فيه علي بن الجهم:

نزلنا بباب الكرخ أطيبَ منزلٍ ... على محسناتٍ من قيانِ المفضَّلِ

فلابن سُريجٍ والغريضِ ومَعْبَدٍ ... بدائعُ في أسماعنا لم تُبَدَّلِ

أوانسُ ما للضيفِ منهن حشمةٌ ... ولا ربُّهنَّ بالجليلِ المُبَجَّلِ

يُسَرُّ إذا ما الضيفُ قلَّ حياؤهُ ... ويغْفُلُ عنهُ وهو غيرُ مُغَفَّلِ...[2]»

وبقي ابن الجهم على هذه الحال من اليأس والمجون سبع سنوات، حتى قُتل المتوكل سنة 247 هـ، بتدبير من ابنه المنتصر، وكان خبر قتل المتوكل قد هزَّ ابن الجهم وأسف عليه، وأنكر على من قتله، ورثاه، وبعد مقتل المتوكل اضطربت أحوال البلاد، ودب فيها الضعف، وقوي فيها الروم، واشتدت هجماتهم على الثغور، ففي سنة 249 هـ قُتل قائدان من قواد الثغور الجزرية هما عمر بن عبيد الله، وعلي بن يحيى، مع عدد كبير من الجند، وغزا الروم المسلمين وسلبوهم أموالهم، واعتدوا على حرماتهم، فخرج الناس لصد الروم وخرج علي بن الجهم إلى الشام في قافلة قاصداً الثغر، فلما كانوا في خُساف[3] خرج عليهم نفر من الأعراب الكلبيين، فقاتلوهم وهرب الناس، وثبت علي بن الجهم، وأبلى في قتالهم، فلما كان من غد خرج عليهم خلقٌ كثير، فتسرعت إليهم المقاتلة، وخرج علي بن الجهم فيهم، فأصابته طعنة قتلته، فاحتمله أصحابه وهو ينزف دمه، فلما أحسَّ بالموت جعل يقول[4]:

أزِيدَ في الليلِ ليلُ ... أم سالَ بالصبحِ سيلُ

---

(1) يتقاينون: يجالسون القيان.

(2) الأغاني 10/264.

(3) خساف: برية بين بالس وحلب. (معجم البلدان: خساف).

(4) الأغاني 10/279، الديوان ص 170.

ذكـــــرتُ أهـــــلَ دُجَيْــــلٍ   وأيـــــنَ منـــــي دُجَيـــــلُ[1]

فأبكى كل من كان في القافلة، ومات مع السحر، فدُفِن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب، وحين نُزِعت ثيابه بعد موته، وُجِد معه رقعة فيها قوله[2]:

وارحمتا للغريبِ في البلدِ النَّا   زحِ مــــاذا بنفسِـــــهِ صنعـــا
فـــارقَ أحبـــابَـــهُ فمـــا انتفعـــوا   بـــالعيش مـن بعـدِه ولا انتفعـا

وهكذا ارتاح الشاعر بعد رحلة عذاب، من مكايدة الحاسدين والحبس والصلب والمصادرة والغربة والتشريد.

* * *

الحــــلاَّج

ضُرب ألف سوط، وقطعت يداه ورجلاه، ثم صُلب وأُحرق (سنة 309 هـ)

رجل تضاربت الأقوال فيه، فهو فيلسوف عند أناس، ومن كبار المتعبدين والزهاد، كان يأكل يسيراً ويصلي كثيراً، ويصوم الدهر، وهو عند آخرين في زمرة الملحدين، وكان يظهر مذهب الشيعة للملوك العباسيين، ومذهب الصوفية للعامة، ويدعي بين ذلك حلول الإلوهية فيه، وكثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه، فسُجن وعُذِّب وضُرب وهو صابر لا يتأوه ولا يستغيث، وقطعت أطرافه الأربعة، ثم حُزَّ رأسه، وأحرقت جثته، ولما صارت رماداً ألقيت في دجلة ونُصب رأسه على جسر بغداد. فمن هو الحلاج؟ وما حقيقة أمره؟.

---

(1) دجيل: نهر مخرجه من أعلى بغداد، بين تكريت وبينها، مقابل القادسية دون سامراء. (ياقوت: دجيل).

(2) تاريخ بغداد 11/369. الديوان ص 154.

هو الحسين بن منصور الحلاج، ولد سنة 244 هـ في مدينة الطور في الشمال الشرقي من البيضاء في مقاطعة فارس بإيران، والبيضاء شاعت فيها العربية، وفيها ولد سيبويه، وكانت معسكراً صغيراً على الطريق الحربي الممتد من البصرة إلى خراسان، يقيم به موالٍ لبني الحارث يمنيون، كان أبوه منصور يمتهن صناعة حلج القطن، ورحل منصور إلى واسط على نهر دجلة، وفيها نشأ الحسين نشأة عربية، وكان معظم سكان واسط من أهل السنة على مذهب ابن حنبل، مع وجود أقلية من الشيعة الغلاة في ظاهر الريف.

وكانت واسط مركزاً لمدرسة مشهورة من القراء، فقرأ الحسين بن منصور القرآن وحفظه وسنه آنذاك عشرة سنين، اتصل بسهل التستري وقرأ عليه وتعلم التصوف، ثم ارتحل إلى البصرة وعمره عشرون سنة، والتقى بعمرو المكي المتصوف، فأخذ عنه هذا العلم، وتزوج بأم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع البصري، وهي زوجته الوحيدة، وكان زواجاً موفقاً حتى نهايته، وأنجب منها ثلاثة أبناء هم: سليمان ومنصور وحمد، وبنتاً واحدة، وما كانت حياة الحلاج لتكفل لهذه الأسرة رزقها، فتكفل بهم صِهره الأقطع وهو كرنبائي يقيم في البصرة في حي تميم من قبيلة بني مجاشع التي كان الكرنبائيون من مواليهم، ويُعزى ميل الحلاج إلى الثورة أن الكرنبائيين كانوا حلفاء للفتنة التي أثارها الزنج في البصرة، وتأثروا بعض التأثر بالحركة الشيعية السرية المغالية، وقد قُبض على الحلاج لأول مرة في ديري بصفته من غلاة الشيعة، ولكن الحلاج استمر في عيشه بالبصرة بين أسرته عيشة الزاهد المتحمس ذي النزعة السنية، فكان يصوم رمضان ويبلس السواد في يوم عيد الفطر، ويقول: (هذا اللباس من يُرَد عليه عمله)[1].

ذهب الحلاج إلى بغداد واتصل بالجنيد الصوفي، ثم ارتحل إلى مكة،

---

(1) أخبار الحلاج رقم 24، عن شخصيات قلقة في الإسلام لعبد الرحمان بدوي ص 105، وأفدنا في هذه الترجمة من هذا المرجع ونقلنا عنه.

وكانت ثورة الزنج قد أخمدت في هذا الوقت، فوصل مكة لأداء فرضة الحج لأول مرة، وبقي فيها عاماً ملازماً البيت العتيق، وهو صائم صامت كثير العبادة والتأمل، وأخذ نفسه بالمجاهدة الشديدة، وصار مريدوه يفدون إليه، ويذكرهم في شعره بلفظ (أصحابي وخلاني)، وعاد من مكة إلى الأهواز، وصار يعظ الناس، وقد أثار هذا حفيظة الصوفية عليه، فنبذ خرقة الصوفية وصار يتحدث إلى الناس وبخاصة الكتّاب والمثقفين، وصار من هؤلاء تلامذة له ومريدين، ووقف فريق آخر من الشيعة والمعتزلة يخاصمونه، وكان كبار موظفي الخراج من الشيعة من مثل ابن الفرات وابن نوبخت من ألد خصومه، فأثاروا شغب العامة ضد الحلاج واتهموه بالشعوذة والاحتيال بالمعجزات، ونثر الدراهم والأغذية على الفقراء، وصارت أقواله وأفكاره تنتشر بين الناس، ويتلقفها السامعون ويحارون في تفسيرها، فمن أشعاره وأقواله:

جبلت روحك من روحي كما   يُجبَلُ التِّبْرُ بالمِسْك الفَتِقْ

وقوله:

وتحل الضمير جوف فؤادي   كحلول الأرواح في الأبدانِ

وقوله[1]:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحانِ حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرتَهُ   وإذا أبصرتَهُ أبصرتنا

ومن أقواله: «إذا استولى الحق على قلب أخلاه عن غيره، وإذا لزم أحداً أفناه عمَّن سواه، وإذا أحبَّ عبداً حثَّ عباده بالعداوة عليه، حتى يتقرب العبد مقبلاً عليه»[2].

ثم ارتحل إلى خراسان، وهو يدعو ويعظ الناس في إيران، ويقيم على

(1) ديوان الحلاج ص 93.
(2) أخبار الحلاج رقم 36.

الحدود، ويرابط مع المرابطين في الثغور، وبقي كذلك خمس سنوات ثم عاد إلى الأهواز وبفضل مؤازرة الوزير حمد القنَّاني ارتحل بأهله إلى بغداد، ثم قصد مكة حاجاً للمرة الثانية، وبرفقته الآن أربعمئة من تلاميذه، وقد أوغر هذا صدر منافسيه من الصوفية من أصدقائه القدامى، فاتهموه بأعمال سحرية والاتصال بالجن.

ثم قام برحلة كبيرة في بلاد الهند، وفيها الكفار والمانوية والبوذية، فوصل بطريق البحر، وصعَّد في نهر السند، وذهب من ملتان إلى كشمير واتجه شمالاً حتى بلغ طُرفان (ماسين) مع القوافل الأهوازية.

ثم قصد مكة للمرة الثالثة والأخيرة سنة 290 هـ، وفي مكة وقف بعرفة ولبَّى وسأل الله أن يزيده فقراً، ويجعل الناس تنكره وتنبذه، حتى يكون الله وحده هو الذي يشكر نفسه بنفسه خلال شفتي الحلاج، ثم عاد من مكة إلى بغداد، وصار يتفوه بكلمات غريبة، ويريد أن يموت، وكان يصلي في الليل عند القبور، وعند قبر أحمد بن حنبل خاصة، وفي النهار يجول في الطرقات والأسواق، وهو في حالة من الهيام والطرب ويقول: «يا أهل الإسلام، أغيثوني، فليس (أي الله) يتركني ونفسي فآنس بها، وليس يأخذني من نفسي فأستريح منها، وهذا دلال لا أطيقه»[1]. وطلب من الناس أن يقتلوه، فصاح بهم في جامع المنصور: «اعلموا أن الله تعالى أباح لكم دمي فاقتلوني... اقتلوني تؤجروا وأسترح... ليس في الدنيا للمسلمين شغل أهم من قتلي... اقتلوني تكونوا أنتم مجاهدين وأنا شهيد»[2].

فأثارت هذه الأقوال وأمثالها شعورالعامة وكذلك كان لرسائله وما فيها من موضوعات شائكة أثر في الأوساط المثقفة، فأثارت الخلاف والجدل، وكان من أثر ذلك أن ثارت حفيظة فقيه ظاهري هو محمد بن داود، وكان شاعراً كاتباً، فكبُرَ عليه أن يدعي الحلاج الاتحاد بالله، فاستغل منصبه قاضياً في محكمة كبير

(1) أخبار الحلاج رقم 38.
(2) أخبار الحلاج رقم 50.

القضاة ببغداد، ورفع أمر الحلاج إلى المحكمة طالباً الحكم بقتله، وقد استجاب لذلك آخرون، ولكن هذا الأمر لقي معارضة القاضي ابن سريج، وهو من الشافعية، وقال: إن مثل هذا الإلهام الصوفي لا يدخل في اختصاص المحاكم الشرعية، وقد أنقذ ذلك الحلاج من الموت مؤقتاً.

وظلت أقوال الحلاج تثير السامعين حتى من قبل أصدقائه من مثل الشبلي الشاعر الصوفي، وهو صديق الحلاج، فقد كان يسائله الشبلي وهو في جامع المنصور فيجيبه الحلاج وقد أخفى عينيه بطرف كميه نصف إخفاء (أنا الحق)، أي (أنا الحق الخالق) أي (أنا هو الله).

وكان يضمن في شعره أفكاره التي تحار الناس في فهمها وتأويلها، من مثل قوله في رباعتيه[1]:

يا سِرَّ سِرٍ يدقُّ حتى	يخفى على كلِّ حيِّ
وظاهراً باطناً تجلَّى	لكلِّ شيءٍ بكلِّ شيِّ
إنَّ اعتذاري إليكَ جهلٌ	وعظمُ شكٍّ وفَرطُ عِيِّ
يا جملة الكُلِّ لستَ غيري	فما اعتذاري إذن إليَّ

وقد أتيح للوزير ابن الفرات أن يقضي على خصومه فأصدر أمراً بالقبض على الحلاج وأتباعه، فقبض على أربعة من أتباعه ونجا الحلاج، واختفى في بلده سوس بالأهواز، وهي مدينة حنبلية، وبعد ثلاث سنوات من البحث عن الحلاج وبتعضيد وكراهية حامد عامل واسط، قُبِض على الحلاج، وجيءَ به إلى بغداد حيث بدأت قضيته ومحاكمته التي استمرت تسع سنوات، وتبدأ المحنة على الوجه الآتي:

محنة الحلاج:

في سنة 301 هـ جاء وزير جديد هو ابن عيسى القنَّاني، وكان أحد أعضاء وزارته هو حمد القنَّاني، ابن عمه حلاجياً صريحاً، فأفسد قضية ابن الفرات،

(1) أخبار الحلاج رقم 121.

ومنع كبير القضاة من النظر فيها، اعتماداً على الفتوى الشافعية التي أصدرها ابن سريج، وأطلق تلاميذ الحلاج، ثم لفقوا تهمة للحلاج بأنه داعي القرامطة، وهي تهمة لفقها مدير الشرطة مؤنس الفحل كيداً للوزير ابن عيسى القنائي، وبهذه الحجة عُرِض الحلاج مصلوباً ثلاثة أيام، ثم حُبِس في دار السلطان، وسُمِحَ له بأن يعظ المسجونين، وبالمثول في حضرة الخليفة، وقد شفاه الحلاج من الحُمَّى في سنة 303 هـ، وقيل إنه في سنة 305 هـ أحيا ببغاء ولي العهد الراضي محمد بن جعفر المقتدر[1]، وقد أثارت هذه الأمور ثائرة المعتزلة وحسدهم، وما للحلاج من (شعبذة) وحيل سحرية.

وكتب الحلاج في حبسه مؤلفه الأخير، وهو كتاب (طاسين الأول)، وفي سنة 306 هـ جاء الشلمغاني، وهو أحد غلاة الشيعة إلى بغداد بصحبة حامد عامل واسط، وقد عُرِف هذا بفرض الضرائب وجباية الأموال وحذره ودهائه، وكان حامد يستشير الشلمغاني في كل ما يهمه من أمور، وعلى الرغم من أن حامداً كان سنياً، إلا أن صهره أبا الحسين بسطام، كان شيعيا، وكان تلميذاً مخلصاً للشلمغاني، وكان الشلمغاني رجل دسائس ومؤامرات، قاسياً عنيفاً، وكان قد حرَّض على قتل بعض أكابر الثنائيين، وعلى أنصار الحلاج، وقد استشاره حامد في أمر الحلاج، فاقترح عليه بالتشديد في تعذيبه وقتله.

وقد جرت محاكمة الحلاج على منصة مرتفعة في سنة 308 هـ، كان القاضي أبو عمر الحمادي ومساعده أبو الحسين الأشناني قد انصاعا لأوامر الوزير حامد وقررا الحكم على الحلاج بالإعدام، وكان القاضي أبو عمر قد احتج على الحلاج بقضية (الاستغناء)، عن الحج، يشبه أمره بأمر القرامطة الثائرين الذين أرادوا هدم الكعبة، وقد زعموا أنهم وجدوا للحلاج كتاباً جاء فيه أن الإنسان إذا عجز عن الحج فليعمد إلى غرفة من بيته فيطهرها ويطيبها ويطوف بها، ويكون كمن حج البيت[2].

---

(1) صلة تاريخ الطبري ـ عريب بن سعد القرطبي، ص 92.
(2) الطبقات الكبرى ـ الشعراني 1/ 14 ـ 15، ط صبيح، القاهرة، د.ت.

وقد استطاع ابن مكرم رئيس الشهود، أن يحضر أربعة وثمانين شاهداً وافقوا على قتل الحلاج، ونطق القاضي أبو عمر بالحكم فقال: «يا حلال الدم». وفي اليومين التاليين بذل نصر، أمير البلاط، ووالدة الخليفة سعيهما لدى الخليفة، وكان مصاباً بالحمى، فبدل حكم الإعدام، ولكن الوزير حامد حذر الخليفة من شبح ثورة اجتماعية حلاجية، واستعان حامد بمؤنس كبير القواد للتخلص من أنصار الحلاج، وفي الغداة وقع الخليفة أمراً بإعدام الحلاج.

وفي الثالث والعشرين من ذي القعدة، أعلنت الأبواق أن الوزير يتهيأ لتنفيذ حكم الإعدام، فأسلِمَ الحلاج إلى رئيس الشرطة ابن عبد الصمد وفي اليوم التالي جيء بالحلاج من باب خراسان، وبحضرة مجلس للشرطة، وجمع غفير ضُرب الحلاج ألف سوط، وقُطعت يداه ورجلاه، وصُلِب وهو لا يزال حيّاً، وكان بعض أصدقائه، وكذلك أعدائه يستجوبونه ويسائلونه، من ذلك أن أحد تلامذته قال له: أيها الشيخ، هل أتحِفت[1]؟ قال: بلى، بالكشف واليقين، وأنا مما أتحِفْتُ خَجِل، غير أني تعجلت الفرج[2]، ويقال إنه قال وهو مصلوب: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: 18].

وبقي مصلوباً ثلاثة أيام، وفي هذه الأثناء كان الثائرون من أنصار الحلاج يحرقون بعض الدكاكين، ولم يصدر أمر الخليفة في الإجهاز عليه، إلا عند المساء، فأجِّل الإعدام إلى صبيحة الغد، حتى يستطيع الوزير حضور النطق بالحكم، وكان حامد قد قال للخليفة المقتدر، وهو يستحثه على الموافقة على أمر بالإعدام: (إن أصابك شيء. . . فاقتلني)، وقد وجد حامد أن من الحكمة أن يخلي نفسه هو والخليفة من المسؤولية، فدعا بالشهود الموافقين على

(1) أتحفت: أي تلقيت هدايا النوروز، وهو عيد رأس السنة.
(2) أخبار الحلاج رقم 22.

الحكم، وكانوا مجتمعين أمام المقصلة، وطلب منهم أن يصيحوا قائلين: «نعم اقتله، ففي قتله صلاح المسلمين، ودمه في رقابنا»، وقطعوا رأسه، وصُبَّ على جسمه الزيت، وأحرِق بالنار، وألقي برماده من أعلى المئذنة في نهر دجلة، وذلك في سنة 309 هـ، وكان عمره خمساً وستين سنة.

وقد سمع بعض الشهود آخر الكلمات التي نطق بها الحلاج، وهو في العذاب، قوله: (إلٰهي، إذا تتودد إلى من يؤذيك، فكيف لم تتودد إلى من أوذي فيك)، وشهد بشهادة التوحيد، وقال: (حسب الواحد إقرار الواحد له).

وقد بقي رأس الحلاج عند أم الخليفة المقتدر شَغَب، احتفظت به سنة كاملة في (كنز الرؤوس) الخاص بالقصر، قبل أن يُرسل الرأس إلى خراسان.

وبقي الحلاج بعد موته في ذاكرة مريديه ومحبيه، وبقي في ذاكرة الزمن، فقد ذكر البيروني أنه وجد من المسلمين من صار عندهم يوم موت الحلاج بمثابة عصر في دورة الشعائر الدينية، وكان من أثر بقاء فاجعة الحلاج في أذهان الناس وتمجيده، أن نظم فريد الدين العطار الملحمة الحلاجية، وصار الحلاج ولياً في ذاكرة الشعب التركي، ونظم شعراؤهم قصائد في تمجيد الحلاج، من ذلك شعر لمعي والعطار، وكذلك فعل شعراء إيران وصوفية الهند، وقد أمر السلطان حسين بيقرا في هرات رسامه المشهور بهزاد أن يصور حياة الحلاج كلها، وممن مجد الحلاج من مؤرخي الإسلام الخطيب البغدادي والذهبي، وقد نظر الفيلسوف السهروردي الحلبي، وكذلك ابن سبعين المرسي إلى الحلاج على أنه ولي وشفيع، وكذلك فعل نصير الدين الطوسي، وجلال الدين الرومي، وعبد القادر الجيلاني، وبقي قبرالحلاج الذي شيد في بغداد في القرن الخامس الهجري ـ وهو خال من رفاته ـ كعبة الزائرين وخاصة من الهنود[1].

* * *

(1) اعتمدنا في ترجمة الحلاج على كتاب شخصيات قلقة في الإسلام لعبد الرحمان بدوي، فاقتبسنا منه باختصار.

ابن مُقْلــة

عُذب وضرب بالمقارع وصودر وقطعت يده وقُطع لسانه

(توفي سنة 327 هـ)

أديب كاتب شاعر جميل الخط، ضُرب بخطه الأمثال، وقد نال من الأمجاد ما لم ينله أحد، تسنم الوزارة ثلاث مرات، ونال من الأمجاد والجاه والسلطان ما لم ينله أحد، ونال كذلك من المصائب والعجائب ما تقشعر له الأبدان، فقد أحرقت داره مرات، وعُزل وحُبس وقطعت يده وقُطع لسانه وعذب، ومات عاجزاً بائساً ولم تشفع له مواهبه النادرة، وشخصيته الباهرة، وخطه النادر العجيب.

نبغ في العصر العباسي أخَوان بلغا في الخط غاية في الجودة والاتقان، هما ابنا مقلة، أولهما الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقلة المتوفى سنة 328 هـ، والثاني أبو عبد الله الحسن بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقلة المتوفى سنة 338 هـ.

ومقلة لقب أبيهما علي، وهو اسم أم لهم كان أبوها يرقصها ويقول: يا مقلة أبيها، فغلب عليها[1]، وورث الوزير أبو علي ابن مقلة موهبة الخط عن أبيه علي، فقد كان كاتباً مليح الخط، وعلى خطه كتب ولداه أبو علي وأبو عبد الله، وكذلك ورث هذه الصنعة جماعة من ذراريهم، وقال ابن النديم: إنه رأى مصحفاً بخط علي بن مقلة[2]، وقد انتشرت الكتابة في أسرة ابن مقلة فأبدعت

---

(1) معجم الأدباء 9/28.

(2) معجم الأدباء 9/30، وانظر: الخط والكتابة في الحضارة العربية ـ يحيى الجبوري ص 201 ـ 206.

فيها وجوَّدت، على أن الفضل والكمال كانا للوزير أبي علي الذي بلغ مرتبة رفيعة في العلم والفن، فقد أتقن النحو وحفظ اللغة، وأبدع في الأدب شعره ونثره، وامتاز بفضائل كثيرة تميز بها على أقرانه من أهل عصره، وقد أشاد به الصولي فقال: «ما رأيت وزيراً ـ منذ توفي القاسم بن عبيد الله ـ أحسن حركة، ولا أظرف إشارة، ولا أملح خطاً، ولا أكثر حفظاً، ولا أسلط قلماً، ولا أقصد بلاغة، ولا آخذ بقلوب الخلفاء، من محمد بن علي...»[1].

تنقل ابن مقلة في أعمال الدولة، وقد كان قديراً طموحاً، ذكر ابن خلكان أنه كان في أول حياته يتولى بعض أعمال فارس، ويجبي خراجها، وتنقلت به الحال إلى أن استوزره المقتدر بالله[2]، أما ابن الطقطقي فيذكر أنه: «كان في ابتداء أمره يخدم في بعض الدواوين في كل شهر بستة دنانير، ثم إنه تعلق بأبي الحسن بن الفرات الوزير، واختص به، وكان ابن الفرات كالبحر سماحاً وجوداً، فرفع من قدره، وأعلى شأنه، فمكث بين يديه يعرض عليه رقاعاً في مهمات الناس وينتفع بسبب ذلك، وكان ابن الفرات يأمره بالتحصيل من هذه الجهة، إيثاراً لنفعه، فما زال على ذلك حتى علت حاله، وكثر ماله، ولما ولي ابن الفرات الوزارة الثانية، تمكن ابن مقلة في دولته ونبغت حاله، وعرض جاهه، ثم إن الشيطان نزغ بينه وبين أبي الحسن علي بن الفرات، فاستوحش كل منهما من صاحبه، فكفر ابن مقلة إحسان ابن الفرت، ودخل في جملة أعدائه والسعاة عليه، حتى جرت النكبة على ابن الفرات، فلما رجع ابن الفرات إلى الوزارة قبض عليه، وصادره على مئة ألف دينار، أدَّتها عنه زوجته، وكانت ذات مال طائل»[3].

تقلب ابن مقلة في وظائف الدولة، واستوزر مرات، وعاش حياة عريضة مترفة، فقد علت حاله وكثر ماله، ومن مظاهر ذلك أنه كان له بستان كله شجر

(1) النجوم الزاهرة: ابن تغري بردي 3/268.
(2) وفيات الأعيان 2/61.
(3) الفخري ص 270 ـ 271 ط صادر.

ليس فيه نخل، فجعل له شبكة ابريسم، وكانت تفرخ الطيور التي لا تفرخ في الشجر، كالهزار والقماري والببغ والبلابل والطواويس، وكان فيه من الغزلان والنعام وحمر الوحش كثير، وبُشِّر بطائر بري وقع على طائر بحري وباضا وأفرخا فأعطى من بشَّره بذلك مئة دينار، وكان يتصدق بخطه، وأخذ خطه بألف ألف دينار[1]، ولكن طموحه أدى به إلى المهالك، فاشترك في مؤامرات الحكم، وغدر السلطة والسلطان، وذاق بسبب ذلك ضروباً من العذاب والبلاء، وكان من مثله في غنىً عن هذا الجاه الزائل.

استوزر ابن مقلة ثلاث مرات في أيام الخلفاء: المقتدر بالله، والقاهر بالله، والراضي، وكان المقتدر قد استوزر ابن مقلة وخلع عليه سنة 316 هـ، ثم قبض عليه وصادره ونفاه إلى شيراز من بلاد فارس سنة 318 هـ[2].

واستوزره القاهر بالله فأرسل إليه إلى شيراز رسولاً يجيء به، ورتَّب له نائباً عنه، فوصل ابن مقلة في عيد الأضحى سنة 320 هـ، وخلع عليه، ولم يزل وزيره حتى أُتُّهم بمعاضدة علي بن بليق على الفتك به، فاستتر في أول شعبان سنة 321 هـ، وسعى مع الحسن بن هارون في خلع القاهر بالله، فكانا يراسلان قواد الساجية والحجرية ويخوفانهم من شره، ويذكران لهم غدره ونكثه مرة بعد مرة، وكان ابن مقلة يجتمع بالقواد ليلاً، تارة في زي أعمى، وتارة في زي مكد، وتارة في زي امرأة، حتى ملأ صدورهم، فاتفقوا على خلعه، وهجموا على القصر فقبضوا عليه وحبسوه ثم سملوا عينه[3].

واستوزره الراضي بالله، وقد بويع بالخلافة بعد القاهر بالله سنة 322 هـ، بعد ثلاثة أيام من ولايته، فكانت الكلمة العليا في أول الأمر لابن مقلة ولحاجبه

---

(1) تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب: الصائغ ص 48 تحقيق هلال ناجي، ط تونس 1967، وفيات الأعيان 4/199.

(2) ابن الأثير 8/184، الوزراء والكتاب ص 45، 47، التنبيه والإشراف: المسعودي ص 329.

(3) الكامل 8/279، وفيات الأعيان 4/198.

محمد بن ياقوت، ثم حدثت الوحشة بينهما، إذ تحكم ابن ياقوت في البلاد بأسرها، وخرج الأمر من يد ابن مقلة، فسعى به إلى الراضي، وأدام السعاية، فبلغ ما أراده، وقبض الخليفة على محمد بن ياقوت، وعلى أخيه المظفر وحبسهما، ومات محمد في الحبس، ثم أطلق المظفر بعد أن أخذ عليه ابن مقلة العهد أنه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له ولا لولده بمكروه، وكان المظفر يظن أن ابن مقلة سمَّم أخاه، فكان لذلك يتحين الفرصة للقبض عليه، فاتفق مع الجنود الحجرية أن يقبضوا على ابن مقلة، فقبضوا عليه في دهليز دار الخلافة سنة 324 هـ، وأرسلوا إلى الراضي يعرفونه صورة الحال، وعددوا له ذنوباً وأسباباً تقتضي ذلك، فاستحسن عملهم، واستوزر عبد الرحمن بن عيسى، وسلم إليه ابن مقلة، فضربه بالمقارع وعلقه، وأخذ خطه بألف ألف دينار، ثم خلص، وجلس بطالاً في داره[1].

ولما استولى محمد بن رائق على الخلافة وقوي أمره، احتاط على أملاك ابن مقلة وضياعه وأملاك ولده أبي الحسين، فأخذ ابن مقلة في السعي به من كل جهة، وكتب إلى الراضي سراً يشير عليه بإمساكه، وضمن له أنه متى فعل ذلك وقلده الوزارة استخرج له ثلاث مئة ألف ألف دينار، فلما استوثق الراضي، سار ابن مقلة إليه سراً، حتى إذا وصل دار الخليفة، لم يمكنه من الوصول إليه، وخاس الراضي بعهده، فاعتقله في حجرةٍ، ووجه من غد إلى ابن رائق، وأخبره بأسره لابن مقلة، فالتمس ابن رائق من الخليفة قطع يده اليمنى التي كتب بها رسالة إليه، فقطعت، ورُدَّ إلى سجنه، ولم يجد منجى من محنته حتى مات فيه[2].

وقد وصف الطبيب ثابت بن سنان الحراني ـ في زمن الراضي ـ المحنة التي ابتُلي بها ابن مقلة وصفاً حزيناً مؤلماً، جاء فيه قوله: «أمرني الراضي بالله

(1) وفيات الأعيان 4/ 199.

(2) وفيات الأعيان 4/ 199، الفخري ص 272.

بالدخول إلى ابن مقلة، آخر اليوم الذي قطعت يده فيه، فدخلت إليه فعالجته، وسألني عن خبر ابنه أبي الحسين[1]، فعرفته خبر سلامته، فسكن إلى ذلك غاية السكون، ثم ناح على نفسه، وبكى على يده، وقال: يدٌ خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات، وكتبت بها القرآن دفعتين، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، أتذكر وأنت تقول لي: إنك في آخر نكبة، والفرج قريب، قلت: بلى، قال: ترى ما حلَّ بي؟ فقلت: ما بقي بعد هذا شيء، والآن ينبغي أن نتوقع الفرج، فإنه عُمل بك ما لم يُعمل بنظير لك، وهذا انتهاء المكروه، ولا يكون بعد الانتهاء إلا الانحطاط فقال: لا تغفل، إن المحنة فقد تشبَّثت بي تشبثاً تنقلني به من حال إلى حال، حتى تؤديني إلى التلف، كما تتشبث حُمَّى الدقِّ بالأعضاء فلا تفارق صاحبها حتى تؤديه إلى الموت، ثم تمثل بهذا البيت[2]:

إذا ما مات بعضُك فابكِ بعضاً فإنَّ البعضَ من بعضٍ قريبُ

قال ثابت: فكان الأمر على ما قال، فلما قرب إتيان أمره من بغداد، نقل من ذلك الموضع إلى موضع أغمض منه، فلم يوقف له على خبر وحُجبتُ عنه، ثم قُطع لسانه، وبقي في الحبس مدة طويلة، ثم لحقه ذرب، ولم يكن له من يعالجه لا من يخدمه، حتى بلغني أنه كان يستقي الماء بيده اليسرى وفمه، ولحقه شقاء شديد إلى أن مات، ودُفن في دار السلطان. ثم سأل أهله بعد مدة تسليمه إليهم، فنُبِش وسُلِّم إليهم، فدفنه ابنه أبو الحسين في داره، ثم نبشته حُرَّتُه المعروفة بالدينارية، ودفنته في دارها بقصر أم حبيب، وذلك سنة 238 هـ»[3].

---

(1) أبو الحسين ابن محمد بن مقلة، يرد تارة باسم أبي الحسن، وكان شاعراً ذكره الثعالبي في اليتيمة باسم أبي الحسن، وقال عنه إنه من أبناء الوزراء وبقية بني مقلة. (يتيمة الدهر 100/3 ط الصاوي 1934).

(2) البيت للخريمي الشاعر يبكي عينه التي ذهبت. انظر طبقات ابن المعتز ص 293، والشعر والشعراء ص 542.

(3) وفيات الأعيان 81/2، الكامل لابن الأثير 347/8، البداية والنهاية لابن كثير 196/11.

قال ثابت: ومن عجائبه أنه كان يراسل الراضي بالله من الحبس بعد قطع يده، وقبل أن يقطع لسانه، ويطمعه في المال الذي وعد تصحيحه له، ويقول: إن قطع يده ليس مما يمنعه أن يستوزره، لأنه يمكنه أن يوقع بحيلة يحتال بها، أو يعمل بيده اليسرى. ولقد كانت تخرج من يده رقاع - بعد قطع يده - إلى ابنه أبي الحسين، وقبل أن يُضَيِّق عليه، ويذكر ابنه أنها كانت بخط جيد من خطه، وأنه كان يكتب بيده اليسرى، أو يسند القلم على ساعد يده اليمنى فيكتب به، ومن نكد الدنيا أن مثل تلك اليد النفيسة تقطع[1].

وقد نسب ابن خلكان قطع لسانه بعد قطع يده اليمنى إلى بجكم[2]، أما ابن الأثير فيرى خلاف ذلك، إذ يقول: لما قرب بجكم من بغداد سمع الخدم يتحدثون بقطع يد ابن مقلة، وأنه قال: إن وصل بجكم فهو يستلخصني، وأكافىء ابن رائق، وصار يدعو على من ظلمه وقطع يده، فوصل خبره إلى الراضي وابن رائق، فأمر بقطع لسانه[3].

ومن طريف ما يروى من أمر ابن مقلة أنه تقلد الوزارة ثلاث مرات، وسافر ثلاث مرات، وذهب للقتال ثلاث مرات، ودفن بعد موته ثلاث مرات. لقد ذاق ابن مقلة من العذاب ما لم يذقه أحد، فقد قطعت يده، وقطع لسانه، وحبس وضرب بالمقارع، وأحرقت داره ثلاث مرات، وعجز ولم يجد أحداً يخدمه، كان في الحبس يستقي الماء بيده اليسرى وفمه، وعطش فلم يجد ماء

---

(1) الثعالبي: ثمار القلوب ص 168.

(2) ابن خلكان 2/62، ويحكم أمير تركي كان في أول أمره من غلمان أبي علي العارض، ثم اتصل بابن رائق أمير الأمراء، وتلقب بالرائقي نسبة إليه، ثم فارقه، وانتهى أمره بأن تغلب على بغداد في خلافة الراضي بالله، وتولى إمرة الأمراء مكان ابن رائق، وضرب الدنانير والدراهم باسمه، وصور عليها صورته شاكي السلاح (مروج الذهب 2/529) ولم يزل على ذلك حتى قتله غلام من الأكراد قرب نهر جور، وهو يتصيد (الكامل 8/121)، وعاد ابن رائق فاستولى على بغداد (البداية والنهاية 13/200).

(3) الكامل 8/121.

فبال وشرب بوله، ومات في السجن فدفن في دار السلطان، ثم حمل فدفن في داره، ثم أخرج فدفن في مكان آخر[1].

ولابن مقلة أدب وشعر، ومن شعره في محنته وقطع يده قوله[2]:

ما سئمت من الحياة ولكن توثقْـ ـتُ بأيمانهم فبانت يميني
بعتُ ديني لهم بدنيايَ حتى حرموني دنياهمُ بعد ديني
ولقد حُطْتُ ما استطعتُ بجهدي حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيشٍ يا حياتي بانت يميني فبيني

* * *

أبو الفتح ابن العميد

صودر وسُمِلتْ عينه وقُطع أنفه

وعُذِّب حتى مات تحت العذاب (سنة 366 هـ)

أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين بن محمد ابن العميد، الملقب بذي الكفايتين، كفاية السيف، وكفاية القلم، وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه، بعد أبيه محمد بن الحسين ابن العميد، ثم وزير ابنه مؤيد الدولة بويه بالري وأصفهان، ورد إلى بغداد بصحبة عضد الدولة بن ركن الدولة، لنصرة عز الدولة بختيار.

كان أبو الفتح أديباً فاضلاً بليغاً، قد اقتدى بأبيه في علو الهمة وبعد الشأو، وهو القائل[3]:

---

(1) تحفة أولي الألباب ص 49، ثمار القلوب ص 168، الخط والكتابة في الحضارة العربية ص 205.

(2) وفيات الأعيان 201/4، ابن الجوزي: المنتظم 311/6.

(3) معجم الأدباء 1886/4 ط إحسان عباس.

إنَّ السـريَّ إذا سـرى فبنفسـه　　　وابن السريِّ إذا سرى أسراهما

عُني به أبوه فأدَّبه وأحسن تأديبه، ووكل ابن فارس اللغوي بتعليمه وتأديبه ولما توفي أبوه ابن العميد سنة 360 هـ، قام مقامه في وزارة ركن الدولة، وكان آنذاك شاباً وعمره اثنتان وعشرون سنة، وألقى ركن الدولة مقاليده إليه، وعوَّل عليه في إدارة الدولة، وعلا قدره وارتفع شأنه، وقد برع في الكتابة والشعر، ومن قوله وقد تقلد الوزارة بعد أبيه[1]:

دعوت الغِنى ودعوتُ المُنى　　　فلما أجابا دعوتُ القَدَحْ

إذا بلغَ المرءُ آمالَهُ　　　فليس له بعدها مقترحْ

ومن شعره في مدح عضد الدولة[2]:

أفضت عقودٌ أم أفيضتْ مدامعُ　　　وهذي دموعٌ أم نفوسٌ هوامعُ

على المُلْكِ قوَّامٌ وللدينِ حافظٌ　　　وللمالِ وهَّابٌ وللجارِ مانعُ

أسودٌ ولكن الحرابَ عرينُها　　　شموسٌ ولكنَّ الصفوفَ مطالعُ

أشاحوا وما شحُّوا ونابوا وما نبَوا　　　وكان لهم تحت المنايا مناقعُ

وقد بلغ أبو الفتح أوج مجده، إذ انقادت له الأمور، فهو الوزير وهو القائد، وقد أحبه الناس، وكانت سيرته محمودة فهو شاب طموح كريم حسن المعشر جيد السياسة، وكانت هذه الخصال قد ألَّبت عليه حسد الحاسدين وشغب الشاغبين، فكانت سبباً في محنته وقتله، عرض الثعالبي وياقوت الحموي لأسباب نكبته وما جرى عليه في محنته، فمما قالا: «لما توفي ركن الدولة وقام مقامه مؤيد الدولة خليفة لأخيه عضد الدولة، أقبل من أصبهان إلى الري ومعه الصاحب (ابن عباد) أبو القاسم، وخلع على أبي الفتح ابن العميد خلعة الوزارة، وألقى إليه مقاليد المملكة، والصاحب على جملته في الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به، وشدة الحظوة لديه، وكان الصاحب بن عباد

(1) يتيمة الدهر 3/ 218.

(2) السابق ص 220.

يخلو بمؤيد الدولة ويوثِّبُه على أبي الفتح بما يجد السبيل إليه من الطعن والقدح، فأحسَّ بذلك ابن العميد، فكره أبو الفتح مكانه، وأساء الظن به، فبعث الجند على أن يشغبوا عليه، وهمُّوا بما لم ينالوا منه، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان، وأسَرَّ في نفسه الموجدة على أبي الفتح لهذا الشأن وغيره»[1].

هذا سبب وسبب آخر هو تغير عضد الدولة وحقده على أبي الفتح ابن العميد، لأشياء حسبها عليه في أيام أبيه وبعدها، من ذلك ممايلته بختيار، وميل القواد إليه، بل غلوهم في موالاته ومحبته، ومنها ما كان في أبي الفتح من الاعتداد بنفسه، وترفعه عن التواضع لعضد الدولة في مكاتباته، فاستوحش منه مؤيد الدولة، وترددت بينه وبين عضد الدولة مكاتبات ومراسلات في شأن أبي الفتح، فعزم الأخوان عضد الدولة ومؤيد الدولة على اعتقال أبي الفتح ابن العميد وأخذ أمواله، فاعتقل في بعض القلاع سنة 366 هـ، وقد زاد في غضب عضد الدولة وحقده عليه أنه بلغه بعض كلام من أبي الفتح، فأرسل عضد الدولة من طالبه بالأموال، وعذَّبه ومثَّل به، ويقال: إنه سمل إحدى عينيه وقطع أنفه وجَزَّ لحيته، وأبو الفتح صابر لم يهن ولم يلن، ولم يعطِ من أمواله شيئاً، ولما اشتد عليه العذاب، وطالت أيام عذابه، وقد يئس من نفسه، استأذن معَذِّبَه في صلاة ركعتين، فصلاهما، ودعا بدواة وقرطاس، وكتب يصف حاله[2]:

بُـدِّلَ مـن صـورتـي المنظـرُ ... لكنـــه مـــا بُـــدِّلَ المخبـــرُ
ولسـتُ ذا حُـزْن علـى فـائـتٍ ... لكـنْ علـى مـن لـيَ يستعبـرُ
ووالـــهِ القلـــبِ لمـــا مسَّنـــي ... مستخبـــرٍ عنـــي ولا يُخْبَـــرُ
فقُـلْ لمـنْ سُـرَّ بمـا سـاءنـي ... لا بـــدَّ أن يُسْلَـــكَ ذا المعبـــرُ

وقيل: إن أبا الفتح قد أغريَ بإنشاد هذين البيتين قبيل نكبته، ولا يجف

---

(1) يتيمة الدهر 3/221، معجم الأدباء 4/1887، نكت الهيمان ص 216.

(2) اليتيمة 3/222، معجم الأدباء 4/1888.

لسانه من ترديدهما في أكثر أوقاته وأحواله، والبيتان هما[1]:

ملكَ الدنيا أناسٌ قبلنا رحلوا عنها وخَلَّوْها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا ونخلّيها لقومٍ بعدنا

ولما استيقن أبو الفتح أنه هالك لا محالة، وأنَّ خصومَه قد تمكنوا منه، ويريدون دمه وماله، وأنه لا ينجو منهم وإنْ بذل لهم ماله، قرر أنْ يحرمهم من التمتع بماله بعده، فمد يده إلى جيب جُبَّة عليه، ففتقه عن رقعة فيها ثبت بما لا يُحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره، فألقاها في كانون نار بين يديه، وقال للقائد الموكل به والمأمور بقتله بعد مطالبته: «اصنع ما أنت صانع، فوالله لا يصل من أموالي المستورة إلى صاحبك دينار واحد، فما زال الموكل به يعرضه على العذاب، ويمثِّل به، حتى تلف رحمه الله تعالى»[2].

وقال بعض أصحابه في نكبته[3]:

آلَ العميد وآلَ برمكَ ما لكم قَلَّ المُعينُ لكم وذلَّ الناصرُ
كان الزمانُ بحبِّكم فبدا له إنَّ الزمانَ هو المحِبُّ الغادرُ

* * *

---

(1) المصدران السابقان.
(2) اليتيمة 3/222 ـ 223، معجم الأدباء 4/1888، نكت الهيمان ص 216.
(3) اليتيمة 3/223.

القاضي الرشيد

شُهِّر به وصلب (سنة 563 هـ)

أبو الحسين أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني، المعروف بالرشيد، أصله من أسوان من أسرة عرفت بالعلم والأدب[1]، نشأ فقير الحال، وقدم مصر بعد مقتل (الظافر) وتولي (الفائز)، قيل: حضر مصر وعليه أطمار رثَّة وطيلسان صوف، وأنشد قصيدته مع من أنشد في رثاء الظافر، وذلك قوله:

ما للرياضِ تميلُ سكرا ... هل سقيت بالمزنِ خمرا

جارى الملوك إلى العلا ... لكنهم ناموا وأسرى

وفيها يقول:

قَسَماً بمن طاف الحجيـ ... ـجُ ببيته شُعثاً وغُبْرا

لولا طلائعُ لم نكن ... نرجو لميت الدين نشرا

أفَكربَلاءٌ بالعرا ... قِ وكربلاءُ بمصر أخرى

وحين سمع الناس البيت الأخير ضجوا بالبكاء والعويل، وانهلت عليه العطايا من كل جانب، ويقال: إنه عاد إلى منزله بمال وافر، حصل عليه من الأمراء والخدم وحظايا القصر، وأعطاه الوزير جملة من المال، وقالوا: لولا العزاء والمأتم لجاءتك الخلع[2].

وقد علت منزلة أبي الحسين، وكان ذا علم واسع في شتى العلوم، وُصف بأنه: «كان أسود الجلدة، وسيد البلدة، أوحد عصره في علم الهندسة

---

(1) خريدة القصر ص 200.

(2) معجم الأدباء 1/401، خريدة القصر ص 202.

والرياضات والعلوم الشرعيات، والآداب الشعريات»[1]، وقد أشيد بعلمه فوصف بأنه: «كان ذا علم غزير وفضل كبير شاعر، وله رسالة أودعها من كل علم مشكلة، ومن كل فن أفضله، وكان عالماً بالهندسة والمنطق وعلم الأوائل»[2]، وله مصنفات منها جنان الجنان وروضة الأذهان، والمقامات وديوان شعر وغير ذلك.

وكان أبو الحسين الرشيد طموحاً شديد الاعتداد بنفسه، فخوراً بعلمه وذكائه، ويتضح ذلك فيما يقوله عن نفسه في بعض شعره، من ذلك قوله[3]:

جلَّتْ لديَّ الرزايا بل جَلَتْ هممي وهل يضرُّ جلاء الصارمِ الذكرِ

غيري يُغَيِّرُهُ عن حسن شيمته ... صرفُ الزمانِ وما يأتي من الغِيَرِ

لو كانت النارُ للياقوتِ محرقةً ... لكانَ يشتَبِهُ الياقوتُ والحجرُ

لا تُغْـرَرَنَّ بـأطمـاري وقيمتِهـا ... فـإنمـا هـي أصـدافٌ علـى دُرَرِ

ولا تظُنَّ خفاءَ النجمِ من صِغَرٍ ... فالذنبُ في ذاك محمولٌ على البَصَرِ

ويبدو أنه قال هذه الأبيات أول قدومه إلى مصر، لأنه يذكر أطماره وسوء مظهره، ولكن بعد مدة من بقائه بمصر علا شأنه وعُرف قدره، وحسُنَ حاله وعلت مكانته، ولعل ذلك كان بمعونة خاله الموفق بن الجلال كبير كتاب ديوان الإنشاء الفاطمي[4]، واتصل في مصر بملوكها ومدح وزراءها وتقدم عندهم، وتوصل إلى الخليفة الفاطمي، وعرف الخليفة مواهبه وعلمه، فأرسله إلى اليمن داعياً له سنة 539 هـ، فتقلد أبو الحسين القضاء في اليمن ولقب بـ (قاضي قضاة اليمن وداعي دعاة الزمن)، ووجد في اليمن ترحيباً وقبولاً، ولما استقرت به الحال في اليمن، وعلا شأنه فيها، سمَتْ نفسه إلى رتبة الخلافة، فسعى فيها،

---

(1) وفيات الأعيان 1/161 ـ 162.

(2) معجم الأدباء 1/400، الطالع السعيد ص 98، والرسالة المشار إليها هي: أمنية الألمعي ومنية المدعي.

(3) وفيات الأعيان 1/162، خريدة القصر ص 202.

(4) خريدة القصر ص 200.

وأجابه قومٌ، وسُلِّم عليه بالخلافة، وضربت له السكة، وكان نقش السكة على الوجه الواحد: (قل هو الله أحد الله الصمد) وعلى الوجه الآخر: (الإمام الأمجد أبو الحسين أحمد)[1]، ولا بد لهذه الخلافة من أن تُطفأ سريعاً، فقد نشط حساده في اليمن، واستكثروا على قاض قبيح أسود أن يكون خليفة، مهما كان له من فضل وعلم، فلما بلغ الخليفة الفاطمي خبرهُ، أرسل من يقبض عليه ويرسل به إلى مدينة قوص بمصر مكبلاً، فحكى من حضر دخوله إليهما أنه رأى رجلاً ينادي بين يديه: «هذا عدو السلطان أحمد بن الزبير» وهو مغطى الوجه، حتى وصل إلى دار الإمارة، والأمير بها يومئذ طرخان سليط، وكان بينهما ذحول قديمة، فقال: احبسوه في المطبخ الذي كان يتولاه قديماً، وكان ابن الزبير قد تولى المطبخ، وفي ذلك يقول الشريف الأخفش من أبيات يخاطب الصالح بن رُزيِّك[2]:

يـولـي علـى الشـيء أشكـالَـهُ — فيُصبـــحُ هـــذا لهـــذا أخـــا
أقام على المطبخ ابنَ الزبير — فـولَّـى علـى المطبـخِ المطبخـا

وقد ذكَّره بعض الحاضرين بمكانة أخيه المهذب حسن بن الزبير من قلب الصالح، فقال: «ينبغي أن تحسن إلى الرجل، فإن أخاه قريب من قلب الصالح، ولا أستبعد أن يستعطفه عليه فتقع في خجلة»[3].

ولم يمضِ على حبسه غير ليلة أو ليلتين، حتى ورد ساعٍ من الصالح بن رزيِّك إلى طرخان بكتاب يأمره فيه بإطلاقه والإحسان إليه، فأحضره طرخان من سجنه مكرماً، قال الحاكي: فرأيته وهو يزاحمه في رتبته ومجلسه.

وكان أبو الحسين الرشيد من أسرة عريقة، ومن بيت كبير بالصعيد من الممولين، وهو على جلالة قدره وعلو منزلته من العلم والنسب، كان قبيح

(1) معجم الأدباء 1/400.
(2) معجم الأدباء 1/401.
(3) معجم الأدباء 1/401.

المنظر أسود الجلد جهم الوجه، سَمِج الخلقة، ذا شفة غليظة وأنف مبسوط كخلقة الزنوج قصيراً، وكان لدمامته وسواده أن الناس يهزأون به ويسخرون منه، ولكن ذلك لم يؤثر في نفسه ولم يغضبه، وكان ذكاؤه ودهاؤه يغطيان على كل تلك الصفات، قيل: اجتمع ليلة عند الصالح بن زريك هو وجماعة من الفضلاء، فألقى عليهم مسألة في اللغة، فلم يجب عنها بالصواب سواه، فأعجب الصالح، فقال الرشيد: ما سُئلتُ قط عن مسألة، إلا وجدتني أتوقد فهماً، فقال ابن فارس وكان حاضراً[1]:

إنْ قلـــتَ مـــن نـــارٍ خُلِقْـ ـــتُ وفقـتُ كـلَّ النـاسِ فَهمـا

قلنـا صــدقْــتَ فمـا الــذي أطفــاكَ حتـى صِـرْتَ فحمـا

ومن طريف ما يُروى عن قبحه وسواده، ما روى الشريف أبوعبد الله محمد بن أبي محمد الإدريسي الصعيدي عن أبيه، قال: «كنت أنا والرشيد بن الزبير، والفقيه سليمان الديلمي، نجتمع في القاهرة في منزل واحد، فغاب عنا الرشيد يوماً وطال انتظارنا له، وكان ذلك في عنفوان شبابه وإبّان صِباه وهبوب صَباه فجاءنا وقد مضى معظم النهار، فقلنا له: ما أبطأك عنا؟ فتبسم وقال: لا تسألوا عما جرى عليَّ اليوم، فقلنا: لا بد من ذلك، فتمنَّع وألححنا عليه فقال: مررتُ اليوم بالموضع الفلاني، وإذا امرأة شابة صبيحة الوجه وضيئة المنظر، حُسَّانة الخَلْق ظريفة الشمائل، فلما رأتني نظرت إليَّ نظر مُطمِع لي في نفسها، فتوهمتُ أنني وقعتُ منها بموقع ونسيتُ نفسي، وأشارتْ إليَّ بطرفها فتبعتها وهي تدخل بي سكة وتخرج من أخرى، حتى دخلت داراً، وأشارت إليَّ فدخلتُ، ورفعتْ النقابَ عن وجهٍ كالقمر في ليلة تمامه، ثم صفقت بيدها مناديه: يا ست الدار، فنزلت إليها طفلة كأنها فلقة قمر، فقالت لها: إن رجعتِ تبولين في الفراش تركتُ سيدنا القاضي يأكلك، ثم التفتت إليَّ وقالت: لا أعدمني الله إحسانه بفضل سيدنا القاضي أدام الله عزه، فخرجت وأنا خزيان

---

(1) معجم الأدباء 1/ 402.

خجل لا أهتدي الطريق»[1].

ثم ولي القاضي الرشيد بعد ذلك النظر بثغر الإسكندرية والدواوين السلطانية سنة 559 هـ، وقيل كان ذلك بغير اختياره[2]، ومع ذلك فقد أجاد في عمله وحسنت سيرته، وأرضى الناس وأثنى عليه الفقهاء[3]، وما كادت تستقر أحواله وتحمد سيرته، حتى نازعته نفسه إلى الخوض في غمار السياسة وطلب الرياسة، ذلك أن: «أسد الدين شيركوه حاول اقتحام مصر، وكاتبه فانضم إليه، واتصل ذلك بشاور وزير العاضد فطلبه فاختفى بالإسكندرية، واتفق التجاء الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الإسكندرية ومحاصرته لها، فخرج ابن الزبير راكباً متقلداً سيفاً وقاتل بين يديه، ولم يزل معه مدة مقامة بالإسكندرية إلى أن خرج منها، فتزايد وجد شاور عليه، واشتد طلبه له، واتفق أن ظفر به على صفة لم تتحقق لنا، فأمر بإشهاره على جمل وعلى رأسه طرطور ووراءه جلواز ينال منه، وشوهد أبو الحسين على تلك الحال وهو ينشد[4]:

إن كان عندَكَ يا زمانُ بقيّةٌ مما تُهينُ به الكرامَ فهاتِها

ثم جعل يهمهم شفتيه بالقرآن، أمر به بعد إشهاره بمصر والقاهرة أن يُصلب شنقاً، فلما وُصِل به إلى الشناقة، جعل يقول للمتولي ذلك منه: عجِّلْ عجِّلْ، فلا رغبة لكريم في الحياة بعد هذه الحال، ثم صُلب»[5]، في شهر المحرم سنة 563 هـ.

ومن غرائب المصادفات أن أبا الحسين الرشيد دفن في موضع صلبه، فما مضت إلا الأيام والليالي حتى قُتِل شاور وسُحِبَ، فاتفق أن حفِر له ليدفن فوجد

(1) معجم الأدباء 1/402.
(2) وفيات الأعيان 1/161.
(3) الطالع السعيد ص 100.
(4) البيت لمهيار في ديوانه 1/164.
(5) معجم الأدباء 1/402 ـ 403.

الرشيد بن الزبير في الحفرة مدفوناً، فدُفِنا معاً في موضع واحد، ثم نُقل كل واحد منهما بعد ذلك إلى تربة له بقرافة مصر والقاهرة[1].

ومما يُستجاد من شعر القاضي الرشيد مما يناسب نهايته قوله[2]:

سمحنا لدنيانا بما بخلتْ به　　علينا ولم نحفلْ بجُلِّ أمورِها
فيا ليتنا لما حُرِمنا سرورها　　وُقينا أذى آفاتِها وشرورِها

* * *

ابن الجوزي

سجن ونُفي وأحرقت كتبه وامتحن بعقوق ولده

(توفي سنة 597 هـ)

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، علامة عصره، برز في علوم كثيرة، وتفرَّد بها عن غيره، جمع من المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاث مئة مصنف، ذكرها بأسمائها سبطه في تاريخه مرآة الزمان[3]، وهذه المصنفات الكثيرة في مجال التفسير والحديث والتاريخ والسير وعلوم العربية والأصول والفقه والمناقب والرقائق والرياضيات والشعر والوعظ وغيره، ولم يبلغ أحد في كثرة التأليف والقراءة والنسخ ما بلغه ابن الجوزي ـ إذا استثنينا السيوطي ـ روى سبطه في ما قال فيه: «سمعته يقول على المنبر في آخر عمره: كتب باصبعيَّ هاتين ألفي مجلدة»[4]، ونقل عن عبد اللطيف البغدادي قوله: «إن ابن الجوزي كان يكتب في اليوم أربع كراريس،

(1) معجم الأدباء 1/403.
(2) معجم الأدباء 1/400.
(3) مرآة الزمان 8/312 ـ 316.
(4) مرآة الزمان 8/311، وانظر الذيل على الروضتين لأبي شامة ص 21.

ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين»[1]، وروى ابن خلكان عن كثرة ما كتبه ابن الجوزي: أنه لو جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره، وقُسمت الكراريس على المدة، فكان ما خص كل يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل، ويقال: إنه جُمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ، فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يُغسل به بعد موته ففعل، فكفت وفضل منها»[2].

كان ابن الجوزي كثيرالنظر في الكتب والقراء، قال عن نفسه: «ولو قلت إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر وأنا في الطلب»[3]، وقال عنه الحافظ الذهبي: ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل، وقال ابن تيمية: عددت له أكثر من ألف مصنف، ورأيت بعد ذلك ما لم أره، وقد ذكر ابن الجوزي مؤلفاته فصنف كتاباً بخطه فيه فهرست مؤلفاته، والفهرست موجود في الذيل لابن رجب[4].

ينتسب ابن الجوزي إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو عربي قرشي تيمي، والجوزي لقب لُقِب به أحد أجداده وهو جعفر بن عبد الله بن القاسم، نسبة إلى مشرعة الجوز، وهي فرضة (مرفأ) نهر البصرة، وقيل: بل نسبة إلى جوزة كانت في داره بواسط، لم يكن بواسط جوزة غيرها، وتوارث أبناؤه هذا اللقب، وكان أهل ابن الجوزي تجاراً بالنحاس لم يشتغل بالعلم غيره، قال في كتابه (لفتة الكبد): «واعلم يا بُني أننا من أولاد أبي بكر الصديق، ثم تشاغل سلفنا بالتجارة والبيع والشراء، فما كان من المتأخرين من رُزق همة في طلب العلم غيري».

---

(1) شذرات الذهب 4/330.

(2) وفيات الأعيان 3/141 ط إحسان عباس.

(3) صيد الخاطر ص 366 ـ 367.

(4) ذيل الطبقات لابن رجب 1/416.

توفي أبوه وهو صغير، وكان أبو موسراً، وقد خلف أموالاً كثيرة، فما أعطوه منها إلا عشرين ديناراً ودارين، وقالوا له: هذا نصيبك من إرث أبيك، فاشترى بذلك كتباً، وإن أمه أهملته وانصرفت عنه، وقد كفلته عمته ورعته، وأخذته لما أدرك إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ، فاعتنى به وأسمعه الحديث، وحفظ القرآن.

نشأ ابن الجوزي يتيماً، فقد توفي أبوه وعمره ثلاث سنين، ولكنه كان منذ صغره ميالاً للصلاح والعفاف والعلم، ولم ينشأ نشأة الصبيان في طلب اللهو واللعب، وقد ترجم لنفسه في كتبه، فقال: «أذكر نفسي ولي همَّة عالية وأنا في المكتب ابن ست سنين، وأنا قرين الصبيان الكبار، قد رزقت عقلاً وافراً في الصغر، يزيد على عقل الشيوخ فما أذكر أني لعبت في طريق مع الصبيان قط، ولا ضحكت ضحكاً عالياً، حتى إني ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع فأطلب المحدث يتحدث فأحفظ جميع ما أسمعه، وأذهب إلى البيت وأكتبه... وقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءاً وأقعد حجزة من الناس (أي بعيداً عنهم) فأتشاغل بالعلم»[1].

مجالسه:

عُرف ابن الجوزي بحفظه وذكائه وسعة علمه، وقد نشأت في هذا العصر وتطورت مجالس الوعظ، وكانت مجالسه من أشهر تلك المجالس وأكثرها ناساً، وكان له تأثير شديد في الحاضرين، يساعده على ذلك حسن تصرفه في فنون القول وقوة العارضة، وكان صوته حلواً رخيماً، وحركاته موزونة، ولذلك كان الناس يهرعون إلى مجلسه ويتزاحمون لسماعه، وقيل: بلغ عدد من حضر مجلسه مئة ألف، وإنِ كان في هذا العدد مبالغة، لعدم القدرة على سماع صوته، ولكنه يدل على مدى تعلق الناس بمجالس وعظه وجودة تلك

---

(1) لفتة الكبد ص 26.

المجالس، وفي خلافة المستضيء حسنت علاقة ابن الجوزي بالخليفة، وصنف له كتباً، وأذن الخليفة لابن الجوزي أن يجلس للوعظ في (باب بدر) في ساحة قصر الخليفة، وأعطاه مالاً.

وقد سجل ابن جبير الأندلسي الذي قدم بغداد سنة 580 هـ، وحضر مجالس ابن الجوزي قبل وفاته بسبع عشرة سنة، وكان عمره يومئذ سبعاً وسبعين سنة[1]، قال: «ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بكرة يوم الخميس بباب بدر في ساحة قصر الخليفة، ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع من حرم الخليفة وقد خُصَّ ابن الجوزي الوصول إليه، والمتكلم فيه يسمعه من تلك المناظر[2] الخليفة نفسه ووالدته ومن حضر من الحرم، ثم يُفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع، وقد بُسِط بالحُصِر، وجلوس ابن الجوزي بهذا الموضع كل يوم خميس»[3]، ويصف ابن جبير كيف بدأ ابن الجوزء في الجلوس ثم الوعظ، وقد سبق الوعظ قراءة القرآن من قِبل قرَّاء جلسوا صفوفاً أمامه، ثم بدأ بالتفسير والوعظ بما أدهش الناس وأدخل الخشوع في القلوب، قال: «وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الألباب والعقول، وكثر الوله والذهول. . . ثم في أثناء مجلسه كان ينشد أشعاراً من النسب مبرحة التشويق، بديعة الترقيق، تشعل القلوب وجداً، ويعود موضعها النسبي زهداً، وكان آخر ما أنشده من ذلك:

أيـن فـؤادي أذابـه الـوجـدُ   وأيـن قلبـي فمـا صحـا بعـدُ
يا سعدُ زدني جوىً بذكرهمُ   باللّهِ قُلْ لي فُديتَ يا سعدُ

ولم يزل يرددها والانفعال قد أثَّر فيه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه، إلى أن خاف الإفحام، فابتدر القيام ونزل عن المنبر عجلاً، وقد أطار

(1) صيد الخاطر، المقدمة ص 11.
(2) أي النوافذ والشرفات.
(3) رحلة ابن جبير ص 198 ط صادر، بيروت 1988.

القلوب وجلاً، وترك الناس على أحر من الجمر، يشيعونه بالمدامع الحمر، فمن معلن بالانتحاب، ومن متعفر بالتراب، فيا له من مشهد ما أهول مرآه، وما أسعد من رآه»[1].

وكان ابن الجوزي سريع البديهة حاضر الخاطرة، وقد ساعده على ذلك كثرة محفوظه وسعة روايته، ومما يروى عن سرعة بديهته وجودة إجابته، أنه تنازع بعض أهل السنة وأهل الشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي، ورضوا فيما بينهم بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاموا له رجلاً وسط المجلس فسأله عن ذلك فقال على البديهة: «أفضلهما من كانت ابنته تحته»، ونزل في الحال حتى لا يُراجع، فقالت الشيعة: يريد علياً لأن بنت النبي ﷺ تحته، وقالت السنة: يريد أبا بكر، لأن ابنته تحت النبي ﷺ، وعلق ابن خلكان على هذا بقوله: «وهذا من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر، كان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة»[2].

محنتــــه:

وقد ابتُلِيَ ابن الجوزي بالنفي والحبس وعقوق الولد وبيع مكتبته العامرة بالثمن البخس، وكان ابن الجوزي ضحية من ضحايا السياسة والعصبية المذهبية ومكايد المتخاصمين، ومما روي في ذلك: إن الوزير يونس الحنبلي قد عقد مجلساً للركن عبد السلام (عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي)، وهو من أحفاد المتصوف المعروف عبد القادر الجيلي (الكيلاني)، وأحرقت كتب الركن عبد السلام، وكان فيها من الزندقة وعبادة النجوم، وذلك بمحضر ابن الجوزي وغيره من العلماء، وانتزع الوزير منه مدرسة جدِّه وسلمها إلى ابن الجوزي.

فلما ولي الوزارة ابن القصاب ـ وكان رافضياً خبيثاً ـ سعى في القبض على

---

(1) رحلة ابن جبير ص 199.

(2) وفيات الأعيان 3/141 ـ 142.

ابن يونس الحنبلي وتتبّع أصحابه، فقال له الركن عبد السلام: أين أنت عن ابن الجوزي؟ فإنه ناصبي من أولاد أبي بكر فهو من أكبر أصحاب ابن يونس، وأعطاه مدرسة جدي، وأحرقت كتبي بمشورته. فكتب ابن القصاب إلى الخليفة الناصر أحمد بن المستضيء بأمر الله، وكان الناصر يميل إلى الشيعة، ويبغض ابن الجوزي، ويقصد أذاه، وقيل: إن الشيخ ابن الجوزي ربما كان يعرض في مجالسه بذم الناصر، فأمر الناصر بتسليم ابن الجوزي إلى الركن عبد السلام، فجاء إلى دار ابن الجوزي وشتمه وأغلظ عليه، وختم كتبه وداره، وشتت عياله[1].

فلما كان في أول الليل، حُمل ابن الجوزي في سفينة، وليس معه إلا عدوه الركن عبد السلام، وعلى الشيخ غلالة بلا سراويل، وعلى رأسه تخفيفة، فأخذ إلى واسط، وكان ناظرها شيعياً، فقال له الركن عبد السلام: «مكِّني من عدوي لأرميه في المطمورة، فزبره وقال: يا زنديق، أرميه بقولك؟ هات خط الخليفة، والله لو كان من أهل مذهبي لبذلت روحي ومالي في خدمته، فعاد الركن إلى بغداد.

قال ابن القادسي: لما حضروا واسط جمع الناس، وادَّعى ابن عبد القادر على الشيخ أنه تصرف في وقف المدرسة، واقتطع من مالها كذا وكذا، وكذب فيما ادعاه، وأنكر الشيخ وصدق وبرَّ، وأفرِدَ للشيخ دار بدرب الديوان، وأفرد له من يخدمه، وبقي الشيخ محبوساً بواسط في دار بدرب الديوان، وعلى بابها بواب، وكان بعض الناس يدخلون عليه ويستمعون منه، ويُملي عليهم، وكان يرسل أشعاراً كثيرة إلى بغداد.

وأقام بها خمس سنين، يخدم نفسه بنفسه، ويغسل ثوبه ويطبخ ويستقي الماء من البئر، ولا يتمكن من خروج إلى حمام ولا غيره، وقد قارب الثمانين،

---

(1) أبو شامة: الذيل على الروضتين ص 6، وانظر يحيى الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية ص 235.

ويقال: إنه بقي خمسة أيام في السفينة حتى وصل إلى واسط، لم يأكل فيها طعاماً[1].

وذُكِر عنه أنه قال: قرأت بواسط مدة مقامي بها كل يوم ختمة، ما قرأت فيها سورة يوسف من حزني على ولدي يوسف، ويوسف هذا هو محيي الدين يوسف، وكان أصغر أولاده وأشبههم به، ولد سنة 580 هـ وقرأ القرآن بالقراءات العشر على ابن الباقلاني، وسمع الحديث من أبيه، وكان كثير المحفوظ قوي المشاركة في العلوم، اشتغل بالفقه والخلاف والأصول فبرع في ذلك، وزاد في الشهرة على أبيه، ووعظ من صغره على طريقة أبيه، وعلا أمره وعظم شأنه، وولي الولايات الجليلة، ثم عُزل عن جميع ذلك فانقطع في داره يُفتي ويدرس، ثم أعيد إلى الحسبة، وكان سفير الخليفة إلى ملوك الأطراف، ثم صار أستاذ دار الخليفة[2]، وقُتل معه وهو الذي بنى المدرسة الجوزية في دمشق، وإلى هذه المدرسة ينسب ابن قيم الجوزية العالم المعروف، لأن أباه كان قيّماً عليها[3].

وعلى خلاف هذا الولد الصالح، كان لابن الجوزي ولد آخر، هو أشد الأبناء عقوقاً، وقد كانت محنة الشيخ فيه شديدة، وهو أبو القاسم علي الذي ألف له الشيخ كتاب (لفتة الكبد في نصيحة الولد)[4]، ورجا ابن الجوزي أن ينبغ ابنه في العلم وأن يخلفه، ولكنه خيَّب ظنه فكان عاقّاً سيئاً، وكانت محنة ابن الجوزي في ابنه هذا أشد من محنته في سجنه ونفيه، فقد كانت للشيخ خزانة كتب كبيرة عامرة، ويكفي أن تكون مؤلفاته هو بالمئات، فكيف بالكتب التي نسخها والتي اشتراها، منذ صغره حتى بلغ الثمانين؟ فما كان من هذا الولد السيء إلا أن يسطو عليها ويبيعها بأبخس الأثمان، قال سبط ابن الجوزي: ومن

(1) أبو شامة: الذيل على الروضتين ص 6.
(2) أي وزير البلاط.
(3) صيد الخاطر ص 26 المقدمة.
(4) رسالة صغيرة أعاد نشرها الشيخ ناصر الألباني والأستاذ محمود مهدي.

أولاده «أبو القاسم علي. . . هو الذي أظهر مصنفات والده، وباعها بيع العبيد، ولما مضى والده إلى واسط كانت كتبه في داره بدرب دينار[1] فتحيَّل عليها بالليل والنهار حتى أخذ منها ما أراد، وباعها بثمن ولا ثمن المداد، وكان أبوه قد هجره سنين، فلما امتُحِن أبوه صار إلباً عليه للمعادين»[2].

وقال سبط ابن الجوزي أيضاً في حوادث سنة 630 هـ، وهي السنة التي توفي فيها أبو القاسم علي: «. . . وكتب الكثير من مصنفات جدي، وهو الذي أظهرها وباعها بثمن بخس، وكان جدي قد سخط عليه بهذا السبب، ومات وهو على ذلك»[3]، وكان الركن عبد السلام بن عبد الوهاب الجيلي هو السبب الأول في ضياع مكتبة ابن الجوزي، قال ابن كثير: «هو الذي كان وشى بابن الجوزي إلى الوزير ابن القصاب، حتى أحرقت بعض كتب ابن الجوزي، وخُتم على بقيتها»[4].

مكث ابن الجوزي في نفيه وحبسه بواسط خمس سنين، من سنة تسعين إلى خمس وتسعين وخمس مئة، ثم أفرج عنه، وقدم إلى بغداد، وخرج خَلْقٌ كثير يوم دخوله لتلقيه، وفرح به أهل بغداد فرحاً كثيراً، ونودي له بالجلوس يوم السبت للوعظ، وحضر مجلسه خلق كثير، وخلع الخليفة على الشيخ، وجلس عند تربة أم الخليفة للوعظ، وأنشد:

شقينا بالنوى زمناً فلما	تلاقينا كأنَّا ما شقينا
سخِطْنا عندما جنتِ الليالي	فما زالت بنا حتى رضينا
سعدنا بالوصولِ وكم شقينا	بكاسات الصدود وكم فنينا
فمن لم يَحْيَ بعد الموتِ يوماً	فإنَّا بعد ما متنا حيينا

(1) من محلات بغداد القديمة ذكرها ياقوت. (معجم البلدان: دينار).
(2) مرآة الزمان 8/325 ـ 326، الذيل على الروضتين ص 26، البداية والنهاية 13/20.
(3) مرآة الزمان 8/449.
(4) البداية والنهاية 13/45.

وبقي ابن الجوزي يؤلف ويعظ وينشر العلم إلى أن توفي، وكانت وفاته ليلة الجمعة 12 رمضان سنة 597 هـ، بين العشاءين، وعمره نحو التسعين، وغسل وقت السحر واجتمع أهل بغداد، وغلِّقت الأسواق، وحُملت جنازته على رؤوس الناس، ودفن بباب حرب بالقرب من مدفن أحمد بن حنبل، وأوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات:

يا كثيرَ العفو عمَّن كثُرَ الذنبُ لديهِ
جاءك المذنبُ يرجو الصفحَ عن جُرمٍ لديهِ
أنا ضيفٌ وجزاء الـ ضيفِ إحسانٌ لديهِ

وحزن عليه الناس حزناً شديداً، وبكوا عليه بكاءً كثيراً، وباتوا عند قبره طوال شهر رمضان يختمون الختمات، بالقناديل والشموع والجماعات، يرحمه الله[1].

* * *

السهروردي

قُتل بحلب (سنة 587 هـ)

شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حَبَش السهروردي، وُلد بسهرورد في إقليم الجبال، ونهل العلم في موطنه، ورحل إلى المراغة ثم إلى أصفهان، فدرس الفقه وكتب التصوف والفلسفة، وصحب الصوفية وأخذ طرائقهم في الرياضة والمجاهدة، كان فقيهاً شافعي المذهب أصولياً أديباً شاعراً حكيماً متفنناً، كثير المناظرة لخصومه، قرأ بالمراغة على الشيخ الإمام مجد الدين الجيلي الفقيه الأصولي المتكلم، ولازمه مدة، وكان شيخه هذا يثني عليه كثيراً ويقول: «لم أرَ زماني أحداً مثله، ولكني أخشى عليه من شدة حدته وقلة تحفظه»[2].

---

(1) مرآة الزمان 8/349، الذيل على الروضتين ص 26، البداية والنهاية 13/45.
(2) معجم الأدباء 6/2807.

وللسهروردي تصانيف كثيرة منها: التلويحات في الحكمة، والتنقيحات في أصول الفقه، وحكمة الإشراق، والغربة الغريبة في الحكمة، وهياكل النور في الحكمة أيضاً، والمعارج، والمطارحات، وغيرها[1]، وقد أثنى ابن أبي أصيبعة على السهروردي وعلمه فقال: «كان السهروردي أوحد أهل زمانه في العلوم الحكمية، جامعاً للفنون الفلسفية، بارعاً في الأصول الفقهية، مفرط الذكاء فصيح العبارة، وكان علمه أكثر من عقله»[2].

ثم رحل إلى حلب فدخلها في زمن الظاهر غازي بن أيوب سنة 579 هـ، وحضر درس شيخها الشريف افتخار الدين وناظر الفقهاء، فلم يجاره أحد منهم وظهر عليهم، وعرف شيخه افتخار الدين فضله فقرَّب مجلسه وأدناه وعرف مكانه في الناس، ومن ذلك الحين تألَّب عليه الفقهاء، وكثر تشنيعهم عليه، فاستحضره الملك الظاهر وعقد له مجلساً مع الفقهاء والمتكلمين، فباحثوه وناظروه، فظهر عليهم بحججه وبراهينه وأدلته، وظهر فضله للملك الظاهر فقرَّبه وأقبل عليه وتخصص به، فازداد غيظ المناظرين عليه، ورموه بالإلحاد والزندقة، وكتبوا بذلك إلى الملك الناصر صلاح الدين، وحذروه من فساد عقيدة ابنه الظاهر بصحبته للشهاب السهروردي، وفساد عقائد الناس إذا أبقى عليه، فكتب صلاح الدين إلى ابنه الظاهر يأمره بقتله، وشدَّد عليه بذلك، وأكَّد[3].

وأفتى فقهاء حلب بقتله، وكان أشد الجماعة عليه الشيخين: زين الدين ومجد الدين ابني جَهْبَل[4]، فبلغ ذلك السهروردي، فطلب من الظاهر أن يُحبس في مكان، ويُمنع من الأكل والشرب إلى أن يموت، ففُعِل به ذلك، وقيل: بل أمر الظاهر بخنقه في السجن فخُنق سنة 587 هـ بقلعة حلب وقد قارب الأربعين[5].

---

(1) وفيات الأعيان 6/270، معجم الأدباء 6/2807.
(2) طبقات الأطباء 2/167.
(3) معجم الأدباء 6/2807، وفيات الأعيان 7/273.
(4) وفيات الأعيان 6/272.
(5) معجم الأدباء 6/2807.

وقيل: إن الظاهر ندم على ما فعل بعد مدة، ونقم على من أفتوا بقتله، فقبض عليهم واعتقلهم ونكبهم، وصادر جماعة منهم بأموال عظيمة[1].

ويروي القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد، قاضي حلب (في أوائل سيرة صلاح الدين) قال: «وقد أمر صلاح الدين ولدَهُ صاحب حلب بقتل شاب نشأ يقال له (السهروردي) قيل عنه: إنه معاند للشرائع، وكان قد قبض عليه ولده المذكور لما بلغه من خبره وعرف السلطان به فأمر بقتله، فقتله وصلبه أياماً، ولما كان يوم الجمعة بعد الصلاة سِلْخَ ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمس مئة، أخرِج الشهاب السهروردي ميتاً من الحبس بحلب، فتفرق عنه أصحابه[2].

وقال سبط ابن الجوزي: «وأقمت بحلب سنين للاشتغال بالعلم الشريف، ورأيت أهلها مختلفين في أمره، وكل واحد يتكلم على قدر هواه، فمنهم من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد، ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وأنه من أهل الكرامات، ويقولون: ظهر لهم بعد قتله ما يشهد له بذلك[3].

وكان السهروردي أديباً شاعراً ذكرت له أقوال وأشعار، من ذلك قوله: «الفكر في صورة قدسية، يتلطف بها طالب الأريحية، ونواحي القدس دار لا يطؤها القوم الجاهلون، وحرام على الأجساد المظلمة أن تلج ملكوت السموات، فوحد الله وأنت بتعظيمه ملآن، واذكره وأنت من ملابس الأكوان عريان، ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الأركان، فأبى النظام أن يكون غير ما كان»[4].

وللسهروردي شعر كثير، وأجوده قصيدته الحائية التي يقول فيها[5]:

---

(1) السابق والصفحة.

(2) وفيات الأعيان 6/273.

(3) السابق والصفحة.

(4) وفيات الأعيان 6/270.

(5) وفيات الأعيان 6/271، معجم الأدباء 6/2807 ـ 2808.

أبــداً تحـــن إليكـــم الأرواحُ ووصــالكـم ريحـانهـا والـراحُ
وقلوبُ أهلِ ودادكم تشتاقكم وإلـى لـذيـذ لقـائكـم تـرتـاحُ
وارحمتـا للعـاشقيـن تكلفـوا سَتْـرَ المحبـة والهـوى فضَّـاحُ
بالسرِّ إن باحوا تباحُ دماؤهم وكـذا دمـاءُ البـائحيـن تبـاحُ
وإذا هـمُ كتمـوا تحـدث عنهـمُ عند الوشاةِ المدمعُ السحاحُ
وبدت شواهدُ للسقام عليهمُ فيهـا لمشكـلِ أمـرهـم إيضـاحُ
خفَضَ الجناحَ لكم وليس عليكمُ للصبِّ في خَفْضِ الجناحِ جُناحُ
فـإلـى لقـاكـم نفسُـهُ مشتـاقـةٌ وإلـى لقـاكـمُ طَـرْفُـهُ طَمَّـاحُ
عودوا بنورِ الوصلِ في غسقِ الجفا فالهجرُ ليلٌ والوصالُ صباحُ

والقصيدة كما رواها ياقوت وابن خلكان طويلة في ثلاثة وعشرين بيتاً.

ويقال: إنه لما تحقق القتل كان كثيراً ما ينشد[1]:

أرى قـــدمـــي أراقَ دمـــي وهــانَ منـي فهـا نـدمـي

* * *

(1) وفيات الأعيان 6/ 272.

مصادر الكتاب ومراجعه

(أ)

- أسماء المغتالين من الأشراف، ابن حبيب: محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ت 245 هـ)، (ضمن نوادر المخطوطات) تحقيق عبد السلام هارون، مصر 1374 هـ.
- إتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا ـ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (845 هـ) ط القاهرة 1947 م.
- أثر التشيع في الأدب العربي ـ محمد سيد كيلاني، ط دار الكتاب العربي، مصر، د.ت.
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب ـ ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت 463 هـ) ط مصر 1358 هـ/ 1939 م، وتحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، ط دار المعرفة، بيروت 1997 م.
- الاشتقاق ـ ابن دريد: محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت 321 هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجي، مصر 1378 هـ/ 1958 م.
- الأعلام ـ الزركلي: خير الدين محمود بن علي بن فارس (ت 1396 هـ) الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت 1980 م.
- أعيان الشيعة ـ محسن الأمين: محسن بن عبد الكريم بن علي العاملي (ت 1371 هـ) تحقيق حسن الأمين، ط دار التعارف للمطبوعات، بيروت 1983 م.
- الأغاني ـ الأصفهاني؛ أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356 هـ) ط الساسي،

مصر 1323هـ، دار الكتب المصرية، ط دار الكتب العلمية، بيروت 1992.
- أمالي المرتضى - الشريف المرتضى: علي بن الحسين العلوي (ت 436 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الكتاب العربي، بيروت 1967 م.
- الإمامة والسياسة - ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276 هـ) تحقيق طه محمد الزيني، ط الحلبي مصر 1967 م.
- الإمتاع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد (ت 400 هـ) ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1951 م.
- أنساب الأشراف - البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ)، تحقيق محمد حميد الله، ط دار المعارف، مصر 59 - 1962 م.
- أيام العرب في الجاهلية - محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط مصر 1361 هـ/ 1942 م.

(ب)

- البداية والنهاية - ابن كثير: أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر (ت 774 هـ) ط مكتبة المعارف، بيروت 1974 م.
- البصائر والذخائر - أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد (ت 400 هـ) ط مصر 1953 م، وتحقيق إبراهيم الكيلاني، ط مكتبة أطلس، دمشق 1964 م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2 دار الفكر، القاهرة 1979 م.
- بلاغات النساء - طيفور: أحمد بن أبي طاهر (ت 280 هـ)، ط دار النهضة الحديثة، بيروت 1972 م.
- البيان والتبيين - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255 هـ) تحقيق عبد السلام هارون، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 48 - 1950 م.

(ت)

- تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463 هـ) ط مكتبة الخانجي، القاهرة 1349 هـ/ 1931 م.
- تاريخ البيهقي ـ البيهقي: أبو الفضل محمد بن حسين (ت 470 هـ)، ترجمة يحيى الخشاب، ط القاهرة 1956 م.
- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ـ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، مصر 60 ـ 1969 م.
- تاريخ قريش ـ حسين مؤنس. ط الدار السعودية للنشر والتوزيع 1988 م.
- تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571 هـ) تحقيق شكري فيصل وروحية النحاس ورياض عبد الحميد، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1982 م.
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ـ الصقلي: ابن مكي عمر بن خلف (ت 501 هـ)، تحقيق عبد العزيز مطر، ط دار المعارف، مصر 1981 م.
- تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب ـ الصائغ: عبد الرحمان بن يوسف (ت 845 هـ) تحقيق هلال ناجي، ط تونس 1967 م.
- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ـ داود الأنطاكي (ت 1008 هـ) ط الأزهرية، مصر 1328 م.
- التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ـ العسكري: أبو أحمد الحسن بن عبد الله (ت 382 هـ) مجموعة رسائل، ط الجوائب القسطنطينية 1302 هـ.
- التنبيه والإشراف ـ المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346 هـ) تصحيح عبد الله الصاوي، ط القاهرة 1938 م، وط بيروت 1965 م.
- تهذيب التهذيب ـ ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت 852 هـ) ط دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند 25 ـ 1327 م.

(ث)

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار نهضة مصر، القاهرة 1965 م.

(ج)

- جمهرة الأمثال - العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395 هـ) تحقيق عبد المجيد قطامش ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة 1964 م.

(ح)

- حلبة الكميت - النواجي: محمد بن الحسن (ت 859 هـ) ط مصر 1938 م.
- حماسة البحتري - البحتري: أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت 284 هـ) تحقيق لويس شيخو، ط بيروت 1910 م، وصورت في بيروت سنة 1967 م.
- الحماسة البصرية - البصري: صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين (ت 659 هـ) تحقيق مختار الدين أحمد، ط حيدر آباد، الدكن 1964 م.
- الحماسة الشجرية - ابن الشجري: هبة الله علي بن حمزة العلوي (ت 542 هـ) ط حيدر آباد، الدكن 1345 هـ، وتحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، ط دمشق 1970 م.
- حياة الحيوان الكبرى - الدميري: كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى (ت 808 هـ) ط القاهرة 1293 هـ، وط دار التحرير، القاهرة 1965 م.

(خ)

- خريدة القصر وجريدة العصر - العماد الأصبهاني: أبو عبد الله عماد الدين القرشي (ت 597 هـ) قسم شعراء العراق، تحقيق محمد بهجة الأثري، طبع

المجمع العلمي، بغداد 1955 م، قسم شعراء مصر، تحقيق شوقي ضيف، ط القاهرة 1951 م، قسم شعراء الشام، تحقيق شكري فيصل، ط دمشق 1955 م، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق محمد المرزوقي ومحمد المطوي والجيلاني يحيى، ط الدار التونسية، تونس 1973 م.

- خزانة الأدب ـ البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت 1093 هـ) ط السلفية مصر 1299 هـ، وتحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجي، مصر 86 ـ 1989 م،
- الخط والكتابة في الحضارة العربية ـ يحيى الجبوري، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1994 م.

(د)

- دمية القصر وعصرة أهل العصر ـ الباخرزي: أبو الحسن علي بن الحسن (ت 467 هـ) تحقيق عبد الفتاح الحلو، ط دار الفكر العربي، القاهرة 1971 م.
- الديارات ـ الشابشتي: أبو الحسن علي بن محمد (ت 388 هـ) تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد 1951 م.
- ديوان الأقيشر الأسدي (ت 80 هـ) تحقيق خليل الدويهي، ط بيروت 1991 م.
- ديوان بشار بن برد (ت 167 هـ) تحقيق الطاهر بن عاشور، ط تونس 1976 م.
- ديوان التهامي ـ التهامي: أبو الحسن علي بن محمد بن نهد (ت 416 هـ) ط المكتب الإسلامي، دمشق 1964 م.
- ديوان ابن الدمينة ـ ابن الدمينة: عبد الله بن عبيد الله بن أحمد (ت 130 هـ) تحقيق أحمد راتب النفاخ، ط دار العروبة، القاهرة 1379 هـ.
- ديوان ديك الجن الحمصي ـ عبد السلام بن رغبان الكلبي الحمصي (ت 235 هـ) تحقيق مظهر الحجي، ط وزارة الثقافة، دمشق 1987 م.
- ديوان الراعي النميري ـ الراعي: عبيد بن حصين بن معاوية (ت 90 هـ)

تحقيق راينهرت فايبرت، ط دار صادر، بيروت 1980 م.
- ديوان ابن الزيات ـ محمد بن عبد الملك الزيات (ت 223 هـ) تحقيق يحيى الجبوري، ط دار البشير، عمان 2002 م.
- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (ت 40 هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1950 م.
- ديوان العرجي: عبد الله بن عمر (ت 120 هـ) تحقيق سجيع جميل الجبيلي، ط دار صادر، بيروت 1998 م.
- ديوان علي بن الجهم ـ علي بن الجهم: أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر القرشي (ت 249 هـ) تحقيق خليل مردم، ط بيروت 1980 م.
- ديوان لقيط بن يعمر الإيادي (ت 250 ق. هـ/ 380 م)، تحقيق عبد المعين خان، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1987 م.
- ديوان يزيد بن مفرغ الحميري (ت 69 هـ) جمع وتحقيق عبد القدوس أبو صالح، ط 3 مؤسسة الرسالة، بيروت 1993 م.

(ذ)

- ذيل الروضتين ـ أبو شامة عبد الرحمان بن إسماعيل الدمشقي المقدسي (ت 665 هـ)، ط مصر 1366 هـ.
- ذيل الطبقات (الذيل على طبقات الحنبالة) ـ ابن رجب: عبد الرحمان بن أحمد (ت 795 هـ) ط مصر 1372 م.

(ر)

- رحلة ابن جبير ـ ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت 614 هـ) ط 2 صادر، بيروت 1988 م.

(ز)

- زهر الآداب وثمر الألباب ـ الحصري: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت 453 هـ) تحقيق زكي مبارك، ط 4 دار الجيل، بيروت 1972 م.

- الزهرة - الأصبهاني: محمد بن داود (ت297 هـ) تحقيق إبراهيم السامرائي، ط مكتبة المنار، عمان 1985 م.

(س)

- سر صناعة الإعراب - ابن جني: عثمان بن جني (ت 392 هـ) تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط الحلبي، مصر 1954 م.
- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون - ابن نباتة: جمال الدين محمد بن محمد (ت 768 هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الفكر العربي، القاهرة 1964 م.
- سمط اللآلىء - البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 478 هـ) تحقيق عبد العزيز الميمني، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936 م.
- سنن أبي داود - أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275 هـ) تحقيق عزت عبد الله الدعاس، ط حمص 1969 م.
- سنن ابن ماجه - ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 275 هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط الحلبي، مصر 1972 م.
- سنن النسائي - النسائي: أبو عبد الرحمان أحمد بن علي (ت 303 هـ) ط الحلبي، مصر 1312 هـ.
- السيرة النبوية - ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 218 هـ) تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط الحلبي، مصر 1936 م.

(ش)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت 1089 هـ) ط مكتبة القدسي، القاهرة 1350 هـ، وط دار الجيل، بيروت، د.ت.
- شرح ديوان الحماسة - الخطيب التبريزي: أبو زكريا يحيى بن علي (ت 502 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، مصر د.ت.

- شرح شواهد المغني ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت 911 هـ) ط مصر 1322 هـ، وط دار مكتبة الحياة، بيروت د. ت.
- الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) ط ليدن 1902 م، وتحقيق أحمد شاكر، ط دار المعارف، مصر 1966 م.
- شعر علي بن جبلة (العكوك) ـ العكوك: علي بن جبلة بن مسلم الأنباوي (ت 213 هـ) تحقيق حسين عطوان، ط دار المعارف، مصر 1982 م.
- شعر عمر بن لجأ ـ التيمي: عمر بن لجأ (ت 110 هـ) تحقيق يحيى الجبوري، ط دار القلم، الكويت 1981 م.
- شعر الكميت بن زيد الأسدي ـ الكميت بن زيد الأسدي (ت 126 هـ) جمع وتحقيق داود سلوم، ط عالم الكتب، بيروت 1997 م.
- شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ـ يحيى الجبوري، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1981 هـ.
- شعر هدبة بن الخشرم العذري ـ هدبة بن الخشرم بن كرز العذري (ت 57 هـ)تحقيق يحيى الجبوري، ط 2 دار القلم، الكويت 1986 م.

(ص)

- صالح بن عبد القدوس البصري ـ ابن عبد القدوس: صالح بن عبد القدوس بن عبد الله (ت 167 هـ) حياته ومجموع شعره، جمع وتحقيق عبد الله الخطيب، ط بغداد 1967 م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت 821 هـ) المطبعة الأميرية، مصر 31 ـ 1338 هـ، صورة عنها، ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، د. ت.
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح) ـ البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ) ط أوربا، وط البابي الحلبي، مصر د. ت.
- صحيح مسلم (الجامع الصحيح) ـ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط القاهرة 1956 م.

- صلة تاريخ الطبري - القرطبي: عريب بن سعد (ت 369 هـ) ط ليدن 1897 م، وطبع في الجزء الحادي عشر من تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، مصر 1967 م.
- صيد الخاطر - ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمان بن علي القرشي البغدادي (ت 597 هـ) تحقيق ناجي الطنطاوي، ط 5 دار المنارة، جدة 1991 م.

(ط)

- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد - الأدفوي: جعفر بن تغلب (ت 748 هـ) ط مصر 1332 هـ/ 1914 م.
- طبقات الأطباء والحكماء - ابن جلجل: أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد 372 هـ) ط مصر 1955 م.
- طبقات الشعراء - ابن المعتز: عبد الله بن المعتز العباسي (ت 296 هـ)، ط مصر 1955 م، وتحقيق عبد الستار فراج، ط دار المعارف، مصر 1976 م.
- طبقات فحول الشعراء - الجمحي: محمد بن سلام (ت 231 هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، ط دار المعارف مصر 1952، وط المدني، مصر 1972 م.
- الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار) - الشعراني: عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت 973 هـ) ط الحلبي، مصر 1373 هـ.

(ع)

- العصر الإسلامي - شوقي ضيف، ط دار المعارف، مصر 1976 م.
- العصر العباسي الأول - شوقي ضيف، ط. دار المعارف، مصر 1966.
- العقد الفريد - ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت 327 هـ)، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1965 م.

ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ـ ابن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن بن رشيق (ت 456 هـ) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط بيروت 1972 م، وتحقيق محمد قرقزان، ط دار المعرفة، بيروت 1988 م.

(غ)

ـ الغدير في الكتاب والسنة والآداب ـ محسن الأمين: محسن بن عبد الكريم بن علي العاملي (ت 1371 هـ) ط دار الكتاب، بيروت 1967 م.

(ف)

ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ـ ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت 709 هـ) تحقيق أهلواردت 1860 م، وط بيروت 1966 م.

ـ الفرج بعد الشدة ـ التنوخي: أبو علي المُحسَّن بن علي (ت 384 هـ) تحقيق عبود الشالجي، ط دار صادر، بيروت 1971 م.

ـ فصول في تاريخ الإسلام السياسي ـ هادي العلوي، ط مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، نيقوسيا 1999 م.

ـ الفهرست ـ ابن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم البغدادي (ت 380 هـ) ط فلوجل، ليبسك 1872 م، وتحقيق رضا تجدد، ط طهران، د.ت.

ـ فوات الوفيات ـ الكتبي: محمد بن شاكر الحلبي (ت 764 هـ)، ط السعادة، القاهرة 1951 م، وتحقيق إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت 1973 م.

(ق)

ـ القاموس المحيط ـ الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ) ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1986 م.

(ك)

- الكامل في التاريخ - ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد الجزري الشيباني (ت 630 هـ) ط مصر 1303 هـ، وط بيروت 1967 م، وط دار الكتب العلمية، بيروت 1995 م.
- الكامل في اللغة والأدب - المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت 286 هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، ط القاهرة 1956 م، وتحقيق محمد الدالي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1997 م.
- الكتاب في الحضارة الإسلامية - يحيى الجبوري، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998 م.
- كتاب المحن - أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت 333 هـ) تحقيق يحيى الجبوري، ط 2 دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988 م.
- الكشكول - العاملي: بهاء الدين محمد بن حسين (ت 1003 هـ) ط دار الكتاب اللبناني، بيروت 1983 م.

(ل)

- لباب الآداب - أسامة بن منقذ (ت 584 هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر، ط الرحمانية، مصر 1935 م.
- لسان العرب - ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711 هـ) ط دار صادر، بيروت 1968 م.
- لطائف المعارف - الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ) تحقيق الصيرفي والأبياري، ط القاهرة 1960 م.

(م)

- مجمع الأمثال - الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد (ت 518 هـ) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط دار الفكر، بيروت 1972 م.

- المحاسن والمساوىء ـ البيهقي: إبراهيم بن محمد (ت 320 هـ)، ط دار صادر، بيروت 1970 م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ـ الراغب الأصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد (ت 502 هـ) ط مصر 1326 هـ، وط مكتبة الحياة، بيروت 1961 م.
- المحبر ـ ابن حبيب: محمد بن حبيب البغدادي (ت 245 هـ) تصحيح إيلز شتيتر، ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن 1942 م.
- مختارات ابن الشجري ـ ابن الشجري: أبو السعادات هبة الله بن الشجري (ت 542 هـ) ضبطها وشرحها محمود حسن زناتي، ط 2 دار الكتب العلمية، بيروت 1980 م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ اليافعي: أبو السعادات عفيف الدين عبد الله بن أسعد (ت 768 هـ) ط حيدر آباد 37 ـ 1339 هـ، وط مؤسسة الأعلمي، بيروت 1970 م.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ـ سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت 654 هـ) المجلد الأول تحقيق إحسان عباس، ط. دار الشروق، بيروت 1985، المجلد الثامن وهو الأخير، ط حيدرآباد، الدكن 1370 م/ 1951 م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي: علي بن الحسين (ت 345 هـ)، ط باريس 1861 ـ 1930 م، وتحقيق سعيد اللحام، ط دار الفكر، بيروت 2000 م.
- المستجاد من فعلات الأجواد ـ التنوخي: القاضي أبو علي المُحسَّن بن علي (ت 384 هـ) تحقيق محمد كرد علي، مطبعة الترقي، دمشق 1946 م.
- المستقصى في أمثال العرب ـ الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت 538 هـ) ط حيدر آباد، الدكن 1962 م.
- مسند أحمد بن حنبل ـ ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل

الشيباني (ت 241 هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر، ط دار المعارف، مصر 1365 هـ/ 1946 م.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص - العباسي: عبد الرحيم بن أحمد (ت 963 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط السعادة، مصر 1947 م.
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) - ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626 هـ) ط مرجليوث 1907 - 1925 م، وتحقيق إحسان عباس، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993 م.
- معجم البلدان - ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626 هـ)، ط دار صادر، بيروت 1957 م.
- معجم الشعراء - المرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 384 هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط دار الكتب العربية، القاهرة 1960 م.
- المعجم الوسيط - إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إخراج إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد، ط القاهرة 60 - 1961 م.
- مقاتل الطالبيين - الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت 356 هـ) ط مصر 1368 هـ/ 1949 م.
- الملل والنحل - الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548 هـ) ط القاهرة 1968 م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمان بن علي (ت 597 هـ) ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن 1357 - 1359 هـ.
- المؤتلف والمختلف - الآمدي: أبو القاسم الحسن بن بشر (ت 370 هـ) تحقيق عبد الستار فراج، ط القاهرة 1961 م.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء - المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن

عمران (ت 384 هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، ط دار نهضة مصر، القاهرة 1965 م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ) ط مصر 1325 هـ، وتحقيق علي محمد البجاوي، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1963 م.

(ن)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت 874 هـ). ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة 63 ـ 1972 م، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ـ الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد (ت 577 هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار نهضة مصر، القاهرة 1967 م.
- نسب قريش ـ المصعب الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت 236 هـ) تحقيق ليفي بروفنسال، ط دار المعارف، مصر 1976 م.
- نكت الهيمان في نُكَت العميان ـ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ) تحقيق أحمد زكي، ط الجمالية، مصر 1329 هـ/ 1911 م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ) ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1955 م، صورته عنها المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة د.ت.

(هـ)

- الهاشميات ـ الكميت بن زيد الأسدي (ت 126 هـ) ط بيروت 1986 م.

(و)

- الواضح في أصول الفقه ـ الحنبلي: علي بن عقيل البغدادي (ت 513 هـ)

تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1420 هـ/ 1999 م.
- الوافي بالوفيات - الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ) باعتناء دريدرنغ، ط 2 فسبادن 1974 م.
- الوزراء والكتاب - الجهشياري: محمد بن عبدون (ت 331 هـ) تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط الحلبي، مصر 1938 م.
- وفيات الأعيان - ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681 هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط مصر 1948 م، وتحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت 1972 م، (تاريخ المقدمة).

(ي)

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط السعادة، مصر 1956 م.

فهارس الكتاب

1 ـ فهرس الآيات القرآنية

2 ـ فهرس الأحاديث النبوية

الحديث | الصفحة

3 ـ فهرس الشعر

المطلع	القافية	الشاعر	الصفحة
فالآن صرت	المصايرْ	الكميت بن زيد	105
إنما الدنيا	محتضرهْ	العكوك	155،154
كل من في الأرض	حضرهْ	العكوك	156
غصب المسكين	دُرَرِهْ	صالح بن عبد القدوس	149
ذاد وِرْدَ الغي	وطَرِهْ	العكوك	153
وقتلتهُ	بأسرِهِ	ديك الحن	176
من كان يفديه	أيورُها	شاعر	189
مورَّدةٌ	فأدارَها	ديك الجن	173
سل ديار الحي	منظرها	ابن الزيات	170
انظر إلى الشمس	زهرها	ديك الجن	173
سمحنا لدنيانا	أمورِها	القاضي الرشيد	215
(س)			
لا أحب الجورَ	عباسِ	أحمد بن أبي نعيم	179
قاض يرى الحد	باسِ	أحمد بن أبي نعيم	179
أبيت خميص البطن	نفسي	ابن الدمينة	108
عذبوني بعذاب	راسي	عمارة الكلبي	34
أصبح المُلْك	العباسِ	سديف بن ميمون	130
كأن الصبيريات	المكانسِ	سحيم بني الحسحاس	51
والشيخ لا يترك	رمسِهِ	صالح بن عبد القدوس	150،149
يا أيها الدارس	درسِهِ	صالح بن عبد القدوس	151
(ص)			
ولم أبخل على	الرخيضِ	ابن الدمينة	108
(ض)			
أمسلمة يا نجل	الأرضِ	أبو نخيلة	124

4 ـ فهرس الأعلام

(ب)

(ت)

(خ)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

(ي)

5 ـ فهرس القبائل والأمم والشعوب والجماعات

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ن)

(هـ)

6 ـ فهرس المواضع والبلدان

(ت)

(ث)

(ح)

(خ)

7 ـ فهرس الأديان والمذاهب والنحل وما إليها

8 ـ فهرس الموضوعات

الصفحة

الكتب الصادرة للمؤلف

1 ـ **الإسلام والشعر**. مكتبة النهضة ـ بغداد 1964 م.

2 ـ **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**. مكتبة النهضة ـ بغداد 1964 م. مؤسسة الرسالة بيروت 1981، 1983، 1998 م.

3 ـ **ديوان العباس بن مرداس السلمي**. وزارة الإعلام ـ بغداد 1968 م. مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1992 م.

4 ـ **الجاهلية** (مقدمة في الحياة العربية لدراسة الشعر الجاهلي). مطبعة المعارف ـ بغداد 1968 م.

5 ـ **شعر النعمان بن بشير الأنصاري**. مطبعة المعارف ـ بغداد 1968 م، دار القلم ـ الكويت 1985 م.

6 ـ **شعر عروة بن أذينة**. مكتبة الأندلس بغداد، طبع بيروت 1970 م، دار القلم ـ الكويت 1981، 1983 م.

7 ـ **لبيد بن ربيعة العامري**. مكتبة الأندلس ـ بغداد، طبع بيروت 1970 م، دار القلم ـ الكويت 1981 م.

8 ـ **شعر المتوكل الليثي**. مكتبة الأندلس ـ بغداد طبع بيروت 1971 م.

9 ـ **شعر الحارث بن خالد المخزومي**. مطبعة النعمان ـ النجف 1972 م. دار القلم ـ الكويت 1983 م.

10 ـ **الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه**. دار التربية ـ بغداد، طبع بيروت 1972 م، مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1979، 1982، 1985، 1986، 1990، 1995، 2000 م، جامعة قاريونس ـ بنغازي 1993 م.

11 ـ **شعر عبدة بن الطبيب**. دار التربية ـ بغداد، طبع بيروت 1972 م.

12 ـ **شعر عبدالله بن الزبير الأسدي**. وزارة الإعلام ـ بغداد 1974 م.

13 ـ **شعر أبي حية النميري**. وزارة الثقافة ـ دمشق 1975 م.

14 ـ **شعر عمرو بن شأس الأسدي**. مطبعة الآداب ـ النجف 1976 م. دار القلم ـ الكويت 1983 م.

15 ـ **شعر عمر بن لجأ التيمي**. مطبعة الحكومة ـ بغداد 1976 م. دار القلم ـ الكويت 1981 م.

16 ـ **الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية**. (ترجمة عن الإنجليزية) منشورات جامعة بغداد 1976 م.

17 ـ **ديوان الطغرائي** (بالاشتراك). مطبعة الحكومة ـ بغداد 1976 م. دار القلم ـ الكويت 1983 م.

18 ـ **شعر هدبة بن الخشرم العذري**. وزارة الثقافة ـ دمشق 1976 م. دار القلم ـ الكويت 1985 م.

19 ـ **أصول الشعر العربي** ـ د.س. مرجليوث. (ترجمة عن الإنجليزية). مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1978، 1981، 1988، جامعة قاريونس ـ بنغازي 1994 م.

20 ـ **عبدالله بن الزبعرى حياته وتحقيق شعره**. معهد المخطوطات العربية ـ القاهرة 1978 م. مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1981 م.

21 ـ **كتاب المحن ـ لأبي العرب التميمي**. (تحقيق) دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى 1983، الطبعة الثانية 1988 م.

22 ـ **ديوان أحمد بن يوسف الجابر**. دراسة وتحقيق. مركز الوثائق ـ جامعة قطر 1984 م.

23 ـ **الزينة في الشعر الجاهلي**. دار القلم ـ الكويت 1984 م.

24 ـ **قصائد جاهلية نادرة**. مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1982، 1988 م.

25 ـ **شعر خداش بن زهير العامري**. مجمع اللغة العربية ـ دمشق 1976 م.

26 ـ **الأقوال الكافية والفصول الشافية (في الخيل) للملك الرسولي** (تحقيق). دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1987 م.

27 ـ **الملابس العربية في الشعر الجاهلي**. دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1989 م.

28 ـ **كتاب الردة للواقدي** (تحقيق). دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1990 م.

29 ـ **كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل**. للوشاء (تحقيق) دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1991 م.

30 ـ **منهج البحث وتحقيق النصوص**. دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1993 م.

31 ـ **الخط والكتابة في الحضارة العربية**. دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1993 م.

32 ـ **أمالي المرزوقي**. (تحقيق). دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1995 م.

33 ـ **المستشرقون والشعر الجاهلي (بين الشك والتوثيق)**. دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1997 م.

34 ـ **الكتاب في الحضارة الإسلامية**. دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1998 م.

35 ـ **كتاب المنتخل للميكالي**. (تحقيق) دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 2000 م.

36 ـ **محمد بن عبد الملك الزيات سيرته، أدبه، تحقيق ديوانه**. دار البشير ـ عمان 2002 م.

37 ـ **المحاضرات والمحاورات للسيوطي**. (تحقيق) دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 2002 م.

38 ـ **محن الشعراء والأدباء**. دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 2003 م.



دار الغرب الإسلامي

بيروت – لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) – الحمراء ، بناية الأسود
تلفون: Tel: 009611-350331 / خليوي: Cellulaire: 009613-638535
فاكس: Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم : 411 / 2000 / 3 / 2003

التنضيد : كمبيوتايب - بيروت

الطباعة : دار صادر، ص . ب . 10 - بيروت